A0229

٤ - ٥

انوار التنزيل واسرار التأويل

للقاضي الامام العلامة

ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر

البيضاوي

القسم الخامس

سورة المؤمنين

مكّيّة وآيها مائة وثماني عشرة آية

بســـــــــــــــــــــــــــم ٱللّٰه ٱلرَّحْمٰن ٱلرّحيم

(١) قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ قد فازوا بأمانيّهم وقَدْ تثبت المتوقّع كما انّ لَمّا تنفيه وتدلّ على ثباته اذا حر ١٠
دخلت على الماضي ولذلك تقرّبه من الحال ولما كان المؤمنون متوقّعين ذلك من فضل اللّه صدّرت ركوع ١
بها بشارتهم ، وقرأ ورش عن نافع قَدَ ٱفْلَحَ بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ أفلحوا على
اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وأُفْلِحَ بالضمّ اجتزاء بالضمّة عن الواو وأُفْلِحَ على البناء
للمفعول (٢) ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ خائفون من اللّه سبحانه وتعالى متذلّلون له ملزمون
ابصارهم مساجدهم روى أنّه عم كان يصلّي رافعا بصره الى السماء فلمّا نزلت رمى ببصره نحو مسجده
وأنّه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (٣) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ عمّا
لا يعنيهم من قول او فعل مُعْرِضُونَ لما بهم من الجدّ ما شغلهم عنه وهو ابلغ من الّذين لا يلهون من
وجوه جعل الجملة اسميّة وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض
مقام الترك ليدلّ على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسبّبا وميلا وحضورا فانّ اصله ان يكون في عرض غير
عرضه وكذلك قوله (٤) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكٰوةِ فَاعِلُونَ وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة
ليدلّ على انّهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنيّة والماليّة والتجنّب عن المحرّمات وسائر ما
توجب المروءة اجتنابه ، والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاوّل لانّ الفاعل فاعل الحدث لا المحلّ
الّذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف (٥) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ لا يبذلونها (٦) إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ زوجاتهم او سرّيّاتهم ، وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ عليّ عنان
فرسي او حال اى حافظوها في كافّة الاحوال الّا في حال التزوّج او التسرّي او لفعل دلّ عليه غير
ملومين ، وانّما قال مَا اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه ، وافراد ذلك بعد تعميم
قوله والّذين هم عن اللغو معرضون لانّ المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ

جزء ١٨ ركوع ١ الضمير لحافظون او لمن دلّ عليه الاستثناء اى فان بذلوها لازواجهم ا[redacted] اماءهم فانهم غير ملومين على ذلك (٧) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ المستثنى فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ الكاملون [redacted] لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق رَاعُونَ قائمون بحفظها واصلاحها ، وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج لِأَمَانَتِهِمْ على الافراد لأمن الالباس او لانها في الاصل مصدر (٩) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ يواظبون عليها ويؤدّونها في اوقاتها ، ولفظ الفعل فيه لما للصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي ، وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فانّ الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها ، وفي تصدير الاوصاف وختمها بأمر الصلوة تعظيم لشأنها (١٠) أُولَٰٓئِكَ الجامعون لهذه الصفات هُمُ ٱلْوَارِثُونَ الاحقاء بأن يسمّوا ورّاثا دون غيرهم (١١) ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغةً فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوّتوها على انفسهم لانه سبحانه وتعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ انّث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا (١٢) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ من خلاصة سُلّت من بين الكدر مِّن طِينٍ متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة ومن بيانية او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى ، والانسان آدم عم خُلق من صفوة سُلّت من الطين او الجنس فانهم خُلقوا من سلالات جُعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نُطْفَةً بأن خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر او المسلول او الماء فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل للمبالغة كما عبّر عنه بالقرار (١٤) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً بأن احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فصيّرناها قطعة لحم فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَامًا بأن صلّبناها فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْمًا مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها ، واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ وهو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع ، وثُمّ لما بين الخلقين من التفاوت ، واحتج به ابو حنيفة على انّ من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ فتعالى شأنه في قدرته وحكمته أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ المقدّرين تقديرا فحذف المميّز لدلالة الخالقين عليه (١٥) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به (١٦) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ للمحاسبة والمجازاة (١٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكلّ ما فوقه

جزء ١٨ مثله فهو طريقه او لانّها طُرُق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ عن ذلك
ركوع ١ المخلوق الّذى هو السموات او عن جميع المخلوقات غَافِلِينَ مُهْمِلين أَمْرَهـا بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبّر امرها حتّى تبلغ منتهى ما قُدّر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلّقت به المشيئة (١٨) وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ بتقدير يكثر نفعه ويقلّ ضرّه او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فَأَسْكَنَّاهُ فجعلناه ثابتا مستقرًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذّر استنباطه لَقَادِرُونَ كما كنّا قادرين على انزاله ، وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الايعاد به ولذلك جُعل ابلغ من قوله قل ارأيتم إِنْ أَصْبَحَ ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين (١٩) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ بالماء جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فى الجنّات فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ تتفكّهون بها وَمِنْهَا ومن الجنّات ثمارها وزروعها تَأْكُلُونَ تغذّيا او ترتزقون وتحصّلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اى لكم فى ثمراتها انواع من الفواكه الرُّطَبُ والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (٢٠) وَشَجَرَةً عطف على جنّات وقرئت بالرفع على الابتداء اى وممّا انشأنا لكم به شجرة تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَآءَ جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طورُ سينينَ ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركّب منهما عَلَمٌ له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للألف لانّه فيعال كديماس من السَناء بالمدّ وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او مُلْحَقٌ بفعْلال كعلْباء من السين اذ لا فعْلاء بألف التأنيث بخلاف سَيْنَآء على قراءة الكوفيّين والشاميّ ويعقوب فانّه فَيْعَال ككَيْسان او فَعْلاء كصَحْراء لا فَعْلال اذ ليس فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ اى تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدّية لتنبت كما فى قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب فى رواية تُنْبِتُ وهو امّا من انبت بمعنى نبت كقول زهير

رأيتُ ذوى الحاجات عند بيوتهم ... قَطِينا لهم حتّى اذا أَنْبَتَ البقلُ

او على تقدير تُنْبِت زيتونَها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاوّل وتُثْمِرُ بِٱلدُّهْنِ وتَخْرُجُ بِٱلدُّهْنِ وتُخْرِجُ ٱلدُّهْنَ وتَنْبُتُ بِٱلدِّهَانِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ عطف على الدهن جارٍ على اعرابه عَطْفَ احدِ وصفَي الشيء على الآخر اى تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يُدْهَن به ويُسْرَج منه وكونه اداما يُصْبَغ فيه الخبز اى يغمس فيه للائتدام وقرئ وَصِبَاغٍ كدباغ فى دِبْغ (٢١) وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تعتبرون بحالها وتستدلّون بها نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهَا من الالبان او من العلف فانّ اللبن تتكوّن منه فمِنْ للتبعيض او للابتداء وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ فى ظهورها واصوافها وشعورها

*

جزء ١٨ ركوع ١ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ فتنتفعون باعيانها (٢٢) وَعَلَيْهَا وعلى الانعام فانّ منها ما يُحمَل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانّها هى المحمول عليها عندهم والمناسبُ للفلك فانّها سفائن البرّ قال ذو الرمّة • سفينة برّ تحت خدّى زمامُها • فيكون الضمير فيه كالضمير فى وبعولتهنّ احقّ بردّهنّ وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ركوع ٢ فى البرّ والبحر (٢٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ الى آخر القصص مسوقٌ لبيان كفران الناس ما عدّد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ استيناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائىّ غَيْرِهِ بالجرّ على اللفظ أَفَلَا تَتَّقُونَ افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذّبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التى لا تحصونها (٢٤) فَقَالَ ٱلْمَلَأُ الاشراف ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لعوامّهم مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ ان يرسل رسولا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً رسلا مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا ٱلْأَوَّلِينَ يعنون نوحا اى ما سمعنا به انّه نبىّ او ما كلّمهم به من الحثّ على عبادة اللّه سبحانه وتعالى ونفي إله غيره او من دعوى النبوّة وذلك امّا لفرط عنادهم او لانّهم كانوا فى فترة متطاولة (٢٥) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ اى جنون ولاجله يقول ذلك فَتَرَبَّصُوا بِهِ فاحتملوه وانتظروا حَتَّىٰ حِينٍ لعلّه يفيق من جنونه (٢٦) قَالَ بعد ما ايس من ايمانهم رَبِّ ٱنْصُرْنِي باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بِمَا كَذَّبُونِ بدل تكذيبهم ايّاى او بسببه (٢٧) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا بحفظنا نحفظه أن تخطئ فيه او يُفسد عليك مُفسدٌ وَوَحْيِنَا وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا بالركوب او نزول العذاب وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ روى انّه قيل لنوح اذا فار الماء من التنّور فاركبْ انت ومن معك فلمّا نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحلّه فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل ممّا يلى بابَ كندةَ وقيل عين وَرْدة من الشأم وفيه وجوه اخر ذكرتُها فى هود (٢٨) فَٱسْلُكْ فِيهَا فادخلْ فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما سلككم فى سقر مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ من كلّ امّتَى الذكر والانثى واحدَيْن مزدوجَيْن وقرأ حفص مِنْ كُلٍّ بالتنوين اى من كلّ نوعٍ زوجين واثنين تأكيدٌ وَأَهْلَكَ وأهل بيتك او من آمن معك إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ اى القول من اللّه باهلاكه لكفره وانّما جيء بعَلَى لانّ السابق ضارٌّ كما جيء باللام حيث كان نافعا فى قوله انّ ٱلّذين سبقت لهم منّا الحسنى وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بالدعاء لهم بالانجاء إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومَنْ هذا شأنه لا يُشفع له ولا يشفّع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله (٢٩) فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّانَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ كقوله فقطع دابر القوم ٱلّذين ظلموا

والحمد لله ربّ العالمين (٣٠) وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي فِي السفينة او في الارض مُنْزَلًا مُبَارَكًا يتسبّب لمزيد الخير في جزء ١٨
الدارين على قراءة ابي بكر وقرئ مَنْزِلًا بمعنى انزالا او موضع انزال وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ثناء مطابق ركوع ٢
لدعائه أَمَرَهُ بأن يشفعه به مبالغةً فيه وتوسّلا به الى الاجابة وانّما افرده بالامر والمعلّق به أن يستوي
هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بانّ في دعائه مندوحة عن دعائهم فانّه يحيط بهم (٣١) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
فيما فعل بنوح وقومه لَآيَاتٍ يستدلّ بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ لمصيبين قوم
نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات ، وإنْ هي المخفّفة واللامُ هي الفارقة (٣٢) ثُمَّ أَنْشَأْنَا
مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ هم عاد او ثمود (٣٣) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ هو هود او صالح ، وانّما جعل
القرن موضع الارسال ليدلّ على انّه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانّما اوحي اليه وهو بين اظهرهم
أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ تفسير لأرسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله أَفَلَا تَتَّقُونَ
عذاب الله (٣٤) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا لعلّه ذُكر بالواو لانّ كلامهم لم يتّصل بكلام الرسول ركوع ٣
بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ بلقاء ما فيها من
الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث وَأَتْرَفْنَاهُمْ ونعّمناهم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بكثرة الاموال
والاولاد مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ في الصفة والحال يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ (٣٥) مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ
تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حُذف مع الجارّ لدلالة ما قبله
عليه (٣٦) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ فيما يأمركم إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ حيث اذللتم انفسكم وإذًا جزاء
للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه (٣٧) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا مجرّدة عن
اللحوم والاعصاب أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ من الاجداث او من العدم تارةً اخرى الى الوجود ، وأنّكم تكرير
للاوّل أُكّد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انّكم مخرجون مبتدأٌ خبره الظرف المقدّم او فاعلٌ
للفعل المقدّر جوابا للشرط والجملة خبر الاوّل اي أنّكم اخراجكم اذا متّم او أنّكم اذا متّم وقع اخراجكم
ويجوز ان يكون خبر الاوّل محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لانّ اسمه جثّة
(٣٨) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ بَعُدَ التصديق او الصحّة لِمَا تُوعَدُونَ او بَعُدَ ما توعدون واللامُ للبيان كما في
هَيْتَ لك كانّهم لمّا صوّتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات
بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منوّنا للتنكير وبالضمّ منوّنا على انّه جمع
هيهة وغير منوّن تشبيها بقَبْلُ وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء
(٣٩) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا اصله إن الحيوةُ الّا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقامَ الاولى لدلالة الثانية
عليها حذرا عن التكرير واشعارا بانّ تعيّنها مُغنٍ عن التصريح بها كقوله • هي النفس ما حمّلتها

جزء ١٨ ركوع ٣

تتحمّل • ومعناه لا حيوة الّا هذه الحيوة لانّ إنْ نافية دخلت على هي الّتى فى معنى الحيوة الدالّة على الجنس فكانت مثل لَا الّتى تنفي ما بعدها نفيَ الجنس نَمُوتُ وَنَحْيَا يموت بعضنا ويولد بعض وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ بعد الموت (٤٠) إِنْ هُوَ ما هو إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فيما يدّعيه من ارساله له وفيما يعدنا من البعث وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ بمصدّقين (٤١) قَالَ رَبِّ ٱنْصُرْنِي عليهم وانتقمْ لى منهم بِمَا كَذَّبُونِ بسبب تكذيبهم اياى (٤٢) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عن زمان قليل وما صلةٌ لتوكيد معنى القلّة او نكرةٌ موصوفة لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ على التكذيب اذا عاينوا العذاب (٤٣) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدّعت منها قلوبهم فماتوا واستُدلّ به على انّ القرن قومُ صالحٍ بِٱلْحَقِّ بالوجه الثابت الّذى لا دافع له او بالعدل من اللّه كقولك فلان يقضى بالحقّ او بالوعد الصدق فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَآءً شبّههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ يحتمل الاخبار والدعاء وبُعْدًا مصدرُ بَعِدَ اذا هلك وهو من المصادر الّتى تُنْصَب بافعال لا يُسْتعمل اظهارها واللامُ لبيانِ من دُعى عليه بالبعد ، ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل (٤٤) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ هى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (٤٥) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا الوقت الّذى حُدّ لهلاكها ، ومِنْ مزيدةٌ للاستغراق وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ الاجلَ (٤٦) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى متواترين واحدا بعد واحد من الوِتْر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتَوْلَج وتَيْقُور والألف للتأنيث لانّ الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو وابن كثير بالتنوين على انّه مصدر بمعنى المواترة وقع حالا وأماله حمزة وابن عامر والكسائىّ كُلَّمَا جَآءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ اضافة الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجىء الى المرسَل اليهم لانّ الارسال الّذى هو مبدأ الامر منه والمجىء الّذى هو منتهاه اليهم فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا فى الاهلاك وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ لم نُبْقِ منهم الّا حكايات يُسْمَر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى ما يُتحدّث به تلهيا فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٧) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِآيَاتِنَا بالآيات التسع وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ وحجّة واضحة مُلْزِمة للخصم ويجوز أن يراد به العصا وافرادُها لانّها اوّل المعجزات وأُمّها تعلّقت بها معجزات شتّى كانقلابها حيّة وتلقّفها ما أفكتْه السحرةُ وانفلاقِ البحر وانفجارِ العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعةً وشجرةً خضراء مثمرة ورشاء ودلوًا وأن يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وأن يراد بهما المعجزات فانّها آيات للنبوّة وحجّة بيّنة على ما يدّعيه النبىّ (٤٨) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَٱسْتَكْبَرُوا عن الايمان والمتابعة وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ متكبّرين (٤٩) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ثنّى البشر لانّه يطلق للواحد كقوله بشرا سويّا كما يطلق للجمع كقوله فامّا ترينّ من البشر احدا ولم يثنّ المثل لانّه فى حكم المصدر ، وهذه القصص كما ترى تشهد بانّ قصارى

شُبَه المنكرين للنبوّة قياسُ حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة وفسادُه يظهر جزء ١٨
للمستبصر بأدنى تأمّل فانّ النفوس البشريّة وان تشاركت فى اصل القوى والادراك لكنّها متباينة الأَقْدام ركوع ٣
فيهما وكما ترى فى جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادّة يُمْكن ان يكون فى طرف الزيادة
اغنياء عن التفكّر والتعلّم فى اكثر الاشياء وأغلب الاحوال فيُدْرِكون ما لا يدرك غيرُهم ويعلمون ما
لا ينتهى اليه علمُهم واليه اشار بقوله قل انّما انا بشر مثلكم يوحى الىّ انّما الهكم اله واحد وَقَوْمُهُمَا
يعنى بنى اسرائيل لَنَا عَابِدُونَ خادمون منقادون كالعُبّاد (٥٠) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ بالغرق
فى بحرِ قُلْزُم (٥١) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ التورية لَعَلَّهُمْ لعلّ بنى اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى
فرعون وقومه لانّ التورية نزلت بعد اغراقهم يَهْتَدُونَ الى المعارف والاحكام (٥٢) وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً
بولادتها ايّاه من غير مسيس فالآية امرٌ واحدٌ مضاف اليهما او جعلنا ابنَ مريم آية بأن تكلّم فى المهد
وظهرت منه معجزات اخر وأمّه آية بأن ولدت من غير مسيس فحُذفت الاولى لدلالة الثانية عليها
وَآوَيْنَاهُمَا اِلَى رُبْوَةٍ ارض بيت المقدس فانّها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فانّ قُراها على
الرُّبَى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رِبَاوَةٍ بالضمّ والكسر ذَاتِ قَرَارٍ مستقرّ من ارض منبسطة
وقيل ذات ثمار وزروع فانّ ساكنيها يستقرّون فيها لاجلها وَمَعِينٍ وماء معين ظاهر جارٍ فعيل من مَعَنَ
الماء اذا جرى وأصله الابعاد فى الشىء او من الماعون وهو المنفعة لانّه نفّاع او مفعول من عانه اذا ادركه
بعينه لانّه لظهوره مُدْرَك بالعيون وصف مأواهما بذلك لانّه الجامع لاسباب التنزّه وطيب المكان
(٥٣) يَا أَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ نداءٌ وخطابٌ لجميع الانبياء لا على معنى انّهم خوطبوا بذلك دفعةً ركوع ٤
لانّهم أُرسلوا فى ازمنة مختلفة بل على معنى انّ كلّا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا
اوّليّا ويكون ابتداء كلام ذُكر تنبيها على انّ تهيئة اسباب التنعّم لم تكن له خاصّة وانّ اباحة
الطيّبات للانبياء شَرْعٌ قديمٌ واحتجاجا على الرهبانيّة فى رفض الطيّبات او حكايةٌ لما ذكر لعيسى
وأمّه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول ما رُزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم ،
والطيّبات ما يُستلذّ من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال ما لا يُعْصَى اللّه فيه والصافى ما لا
يُنْسَى اللّه فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل وَٱعْمَلُوا صَالِحًا فانّه المقصود منكم والنافع عند
ربّكم اِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ فأجازيكم عليه (٥٤) وَأَنَّ هٰذِهِ اى ولانّ هذه والمعلّل به فاتّقون او واعلموا
انّ هذه وقيل انّه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيّون بالكسر على
الاستئناف أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ملّتكم ملّةً واحدةً اى متّحدة فى العقائد واصول الشرائع او جماعتكم
جماعةً واحدةً متّفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ، ونصبُ امّة على الحال وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فى شقّ
العصا ومخالفة الكلمة (٥٥) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ فتقطّعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرّقوا
وتحزّبوا وأَمْرَهم منصوب بنزع الخافض او التمييز ، والضميرُ لما دلّ عليه الأمّة من اربابها او لها زُبُراً

قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم جزء ١٨
او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب ركوع ٤
فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل كُلُّ حِزْبٍ من المتحزبين بِمَا لَدَيْهِمْ من الدين فَرِحُونَ مُعْجَبون معتقدون انهم على الحق (٥٦) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم حَتَّى حِينٍ الى ان يقتلوا او يموتوا (٥٧) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ ان ما نعطيهم ونجعله لهم مددا مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره (٥٨) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذى نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بَلْ لَا يَشْعُرُونَ بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيه فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة فى الخير، وقرئ يُمِدُّهُم على الغيبة وكذلك يُسارِعُ ويُسْرِعُ ويحتمل ان يكون فيهما ضمير المُمَدّ به ويُسَارَعُ مبنيا للمفعول (٥٩) إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ من خوف عذابه مُشْفِقُونَ حذرون (٦٠) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ المنصوبة والمنزلة يُؤْمِنُونَ بتصديق مدلولها (٦١) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ شركا جليا ولا خفيا (٦٢) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا يعطون ما اعطوا من الصدقات وقرئ يَأْتُونَ ما أَتَوْا اى يفعلون ما فعلوا من الطاعات وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ خائفة ان لا يُقْبَل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم (٦٣) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ يرغبون فى الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفى عن اضدادهم وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعات او الثواب او الجنة او سابقونها اى ينالونها قبل الآخرة حيث عُجِّلَتْ لهم فى الدنيا كقوله هم لها عاملون (٦٤) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يعنى اللوح او صحيفة الاعمال يَنْطِقُ بِالْحَقِّ بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بزيادة عقاب او نقصان ثواب (٦٥) بَلْ قُلُوبُهُمْ قلوب الكفرة فِي غَمْرَةٍ فى غفلة غامرة لها مِنْ هَذَا من الذى وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة وَلَهُمْ أَعْمَالٌ خبيثة مِنْ دُونِ ذَلِكَ متجاوزة لما وُصفوا به او متخطية عما هم

عليه من الشرك هُمْ لَهَا عَامِلُونَ معتادون فعلها (٦٦) حَتَّى اِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ متنعّميهم بِالْعَذَابِ جزء ١٨
يعنى القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللّهمّ اشدُدْ وَطْأتَكَ على مُضَر واجعلها عليهم ركوع ٤
سنين كسنى يوسف فقحطوا حتّى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتّى ويجوز ان يكون الجواب (٦٧) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ فانّه مقدّر بالقول اى قيل لهم لا تجأروا اِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ تعليل للنهى اى لا تجأروا فانّه لا ينفعكم اذ لا تُمنعون منّا او لا يَلحقكم نصرٌ ومعونةٌ من جهتنا (٦٨) قَدْ كَانَتْ آيَاتِى تُتْلَى عَلَيْكُمْ يعنى القران فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ تُعرِضون مُدْبِرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع القَهْقَرَى (٦٩) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ الضمير للبيت وشُهرةُ استكبارهم وافتخارهم بانّهم قُوّامه اغنت عن سبق ذكره او لآياتى فانّها بمعنى كتابى والباء متعلّقة بمستكبرين لانّه بمعنى مكذّبين او لانّ استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سَامِرًا اى تسمرون بذكر القران والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سُمَّرًا جمع سامر تَهْجُرُونَ من الهَجْر بالفتح امّا بمعنى القطيعة او الهذيان اى تُعرِضون عن القران او تهذون فى شأنه او الهُجر بالضمّ اى الفُحش ويؤيّد الثانى قراءة نافع تُهْجِرُونَ من أَهْجَرَ وقرئ تُهَجِّرُونَ على المبالغة (٧٠) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ اى القران ليعلموا انّه الحقّ من ربّهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب اللّه فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمٰعيل واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه (٧١) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ بالامانة والصدق وحسن الخُلُق وكمال العلم مع عدم التعلّم الى غير ذلك ممّا هو صفة الانبياء فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجهَ له غيرها فانّ إنكار الشىء قطعا او ظنّا انّما يتّجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بُحِث عمّا يدلّ عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد (٧٢) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انّه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ لانّه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانّما قيّد الحكم بالاكثر لانّه كان منهم مَن ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلّة فطنته وعدم فكرته لا كراهةً للحقّ (٧٣) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ بأن كان فى الواقع آلهة شتّى لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ كما سبق تقريره فى قوله لو كان فيهما آلهة الّا اللّه لفسدتا وقيل لو اتّبع الحقّ اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالَم فلا يبقى او لو اتّبع الحقّ الّذى جاء به محمّد اهواءهم وانقلب شركا لجاء اللّه بالقيامة وأهلك العالم من فرط غضبه او لو اتّبع اللّه اهواءهم بأن انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهيّة ولم يقدر ان يُمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ بالكتاب الّذى هو ذكرهم اى

جزء ١٨ وعظهم او صيتهم او الذكر الّذى تمنّوه بقولهم لو انّ عندنا ذكرا من الاوّلين وقرئ بذكراهم
ركوع ٤ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ لا يلتفتون اليه (٧٤) أَمْ تَسْأَلُهُمْ قيل انّه قسيم قوله ام به جِنّةٌ خَرْجًا
اجرا على اداء الرسالة فَخَرَاجُ رَبِّكَ رزقه فى الدنيا او ثوابه فى العقبى خَيْرٌ لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك
عن عطائهم ، والخَرْج بازاء الدَخْل يقال لكلّ ما تخرجه الى غيرك والخراجُ غالب فى الضريبة على الارض
ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبّر به عن عطاء اللّه ايّاه وقرأ ابن عامر خَرْجًا فَخَرْجُ
وحمزة والكسائى خَرَاجًا فَخَرَاجُ للمزاوجة وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ تقرير لخيريّة خراجه (٧٥) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوجَ فيه يوجب اتّهامهم له ، واعلمْ انّه
سبحانه وتعالى الزمهم الحُجّةَ وأزاح العلل فى هذه الآيات بأن حصر اقسام ما يؤدّى الى الانكار والاتّهام
وبيّن انتفاءها ما عدا كراهة الحقّ وقلّة الفطنة (٧٦) وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَاطِ عن
الصراط السوىّ لَنَاكِبُونَ لعادلون عنه فانّ خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحقّ وسلوك طريقه
(٧٧) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ يعنى القحط لَلَجُّوا لثبتوا واللجاج التمادى فى الشىء
فِى طُغْيَانِهِمْ افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحقّ وعداوة الرسول والمؤمنين يَعْمَهُونَ عن الهدى روى
انّهم قحطوا حتّى اكلوا العِلْهِز فجاء ابو سفيان الى رسول اللّه صلعم فقال انشدك اللّهَ والرحمَ الست
تزعم انّك بُعثتَ رحمةً للعالمين قال بلى فقال قتلتَ الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت (٧٨) وَلَقَدْ
أَخَذْنَاهُمْ بِٱلْعَذَابِ يعنى القتل يومَ بدر فَمَا ٱسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ بل اقاموا على عتوّهم واستكبارهم واستكان
استفعل من الكون لانّ المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون أُشبعت فتحته
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ وليس من عادتهم التضرّع وهو استشهاد على ما قبله (٧٩) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا
عَذَابٍ شَدِيدٍ يعنى الجوع فانّه اشدّ من الاسر والقتل إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ متحيّرون آيسون من كلّ
ركوع ٥ خير حتّى جاءك اعتاهم يستعطفك (٨٠) وَهُوَ ٱلَّذِى أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ لتحسّوا بها ما نُصب من
الآيات وَٱلْأَفْئِدَةَ لتتفكّروا فيها وتستدلّوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينيّة والدنيويّة قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ
تشكرونها شكرا قليلا لانّ العمدة فى شكرها استعمالها فيما خُلقت لاجلها والاذعانُ لمانحها من غير
اشراك ، وما صلة للتأكيد (٨١) وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ خلقكم وبثّكم فيها بالتناسل وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ
تجمعون يوم القيامة بعد تفرّقكم (٨٢) وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَافُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ويختصّ
به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردّا لنسبته الى الشمس حقيقةً او لامره وقضائه تعاقبهما او
انتقاص احدهما وازدياد الآخر أَفَلَا تَعْقِلُونَ بالنظر والتأمّل أنّ الكلّ منّا وأنّ قدرتنا تعمّ الممكنات كلّها
وأنّ البعث من جملتها وقرئ بالياء على انّ الخطاب السابق لتغليب المؤمنين (٨٣) بَلْ قَالُوا اى كفّار
مكّة مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ آباؤهم ومن دان بدينهم (٨٤) قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ

استبعادا ولم يتأمّلوا انّهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا (٨٥) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هٰذَا مِنْ قَبْلُ جزء ١٨
إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ الّا اكاذيبهم الّتى كتبوها جمع أُسْطورة لانّه يُسْتعمل فيما يُتلهّى به ركوع ٥
كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع أَسطار جمع سَطَر (٨٦) قُلْ لِمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتّى جهلوا
مثلَ هذا الجليّ الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مُسْكةٌ من العلم انكارُه ولذلك اخبر عن جوابهم قبل
ان يجيبوا فقال (٨٧) سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ لانّ العقل الصريح قد اضطرّهم بأدنى نظر الى الاقرار بانّه خالقهما قُلْ
بعد ما قالوه أَفَلَا تَذَكَّرُونَ فتعلمون انّ مَنْ فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فانّ
بدء الخلق ليس اهون من اعادته ' وقرئ تَتَذَكَّرُونَ على الاصل (٨٨) قُلْ مَنْ رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ
ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ فانّهما اعظم من ذلك (٨٩) سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده
على ما يقتضيه لفظ السؤال قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ عقابَه فلا تشركوا به بعضَ مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على
بعض مقدوراته (٩٠) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ مُلْكُه غايةَ ما يمكن وقيل خزائنُه وَهُوَ يُجِيرُ
يُغيث من يشاء ويحرسه وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ولا يُغاث احد ولا يُمْنَع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩١) سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ فمن اين تُخْدَعون فتُصْرَفون عن الرشد مع
ظهور الامر وتظاهر الادلّة (٩٢) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِٱلْحَقِّ من التوحيد والوعد بالنشور وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
حيث انكروا ذلك (٩٣) مَا ٱتَّخَذَ ٱللّٰهُ مِنْ وَلَدٍ لتقدّسه عن مماثلة احد وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ يساهمه
فى الالوهيّة إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ جوابُ محاجّتهم وجزاء شرط حُذف
لدلالة ما قبله عليه اى لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كلّ واحد منهم بما خلقه واستبدّ به
وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده
وَحْدَه ملكوتُ كلّ شىء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى
واجب واحد سُبْحَانَ ٱللّٰهِ عَمَّا يَصِفُونَ من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده (٩٤) عَالِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ خبرُ مبتدإ محذوف وقد جرّه ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على
الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناءً على توافقهم فى انّه المتفرّد بذلك ولهذا رتّب عليه
فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ بالفاء (٩٥) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي إن كان لا بدّ من ان تريني لانّ مَا والنون للتأكيد ركوع ٦
مَا يُوعَدُونَ من العذاب فى الدنيا او الآخرة (٩٦) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ قرينا لهم فى العذاب
وهو امّا لهضم النفس او لانّ شُؤْمَ الظَّلَمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتّقوا فتنة لا تُصيبنّ
الّذين ظلموا منكم خاصّةً عن الحسن انّه تعالى اخبر نبيّه صلعم انّ له فى امّته نقمةً ولم يُطْلعه على

جزء ١٨ وقتها فأمره بهذا الدعاء ، وتكرير النداء وتصدير كلّ واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرّع وجؤار ركوع ٦ (٩٧) وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ لكنّا نؤخّره علما بانّ بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانّا لا نعذّبهم وأنت فيهم ولعلّه ردٌّ لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكّة (٩٨) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤدّ الى وَهْن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيّئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيّئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيّئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ بما يصفونك به او بوصفهم ايّاك على خلاف حالك وأقدر على جزائهم فكِل الينا امرهم (٩٩) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وساوسهم وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبّه حثّهم الناس على المعاصي بهمز الراضة للدوابّ على المشى والجمع للمرّات او لتنوّع الوساوس او لتعدّد المضاف اليه (١٠٠) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ يحوموا حولى في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القران وحلول الاجل لانّها احرى الاحوال بأن يُخاف عليها (١٠١) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ متعلّق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعانة بالله من الشيطان أن يزلّه عن الحلم ويُغريه على الانتقام او بقوله انّهم لكاذبون قَالَ تحسّرا على ما فرّط فيه من الايمان والطاعة لمّا اطّلع على الامر رَبِّ ارْجِعُونِ ردّنى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل في قفا وأطرقا (١٠٢) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ في الايمان الّذى تركته اى لعلّى آتى بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله وامّا الكافر فيقول ربّ ارجعون كَلَّا ردعٌ عن طلب الرجعة واستبعادٌ لها إِنَّهَا كَلِمَةٌ يعنى قوله ربّ ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هُوَ قَائِلُهَا لا محالة لتسلّط الحسرة عليه وَمِنْ وَرَائِهِمْ أمامهم والضمير للجماعة بَرْزَخٌ حائل بينهم وبين الرجعة إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ يوم القيامة وهو اقناط كلّى عن الرجوع الى الدنيا لما علم انّه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانّما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الآخرة (١٠٣) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيّد انّ الصور ايضا جمع الصورة فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفرّ المرء من اخيه وامّه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يَوْمَئِذٍ كما يفعلون اليوم وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانّه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار (١٠٤) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ موزونات عقائده واعماله اى ومن كانت له عقائد واعمال صالحة

يكون لها وزن عند الله وقدر فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون بالنجاة والدرجات (١٠٥) وَمَنْ خَفَّتْ جزء ١٨ مَوَازِينُهُ ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفّار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فَأُولَٰئِكَ ركوع ٦ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ غبنوها حيث ضيّعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ بدل من الصلة او خبر ثانٍ لاولئك (١٠٦) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ تحرقها واللفح كالنفح الّا انّه اشدّ تأثيرا وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ من شدّة الاحتراق والكلوح تقلّص الشفتين عن الاسنان وقرئ كَلِحُونَ (١٠٧) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ على اضمار القول اى يقال لهم الم تكن فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ تأنيب وتذكير لهم بما استحقّوا هذا العذاب لاجله (١٠٨) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدّية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائىّ شَقَاوَتُنَا بالفتح كالسّعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ عن الحقّ (١٠٩) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا من النار فَإِنْ عُدْنَا الى التكذيب فَإِنَّا ظَالِمُونَ لانفسنا (١١٠) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا اسكنوا سكوت هوان فى النار فانّها ليست مقام سؤال من خسأتُ الكلبَ اذا زجرته فخسأ وَلَا تُكَلِّمُونِ فى رفع العذاب او لا تكلّمون رأسا قيل انّ اهل النار يقولون الف سنة ربّنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حقّ القولُ منّى فيقولون الفا ربّنا أمتّنا اثنتين فيجابون ذلكم بانّه اذا دُعى الله وحده كفرتم فيقولون الفا يا مالك ليَقْض علينا ربّك فيجابون انّكم ماكثون فيقولون الفا ربّنا أخّرنا الى اجل قريب فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فيقولون الفا ربّنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمّركم فيقولون الفا ربّ ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ثمّ لا يكون لهم الّا زفير وشهيق وعواء (١١١) إِنَّهُ انّ الشأن وقرئ بالفتح اى لانّه كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفّة يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٢) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا هزوا وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ هنا وفى ص بالضمّ وهما مصدرا سَخِرَ زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيّين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السُخرة بمعنى الانقياد والعبوديّة حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافونى فى اوليائى وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ استهزاء بهم (١١٣) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا على اذاكم أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائىّ بالكسر استئنافا (١١٤) قَالَ اى الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائىّ على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ احياء او امواتا فى القبور عَدَدَ سِنِينَ تمييز لكم (١١٥) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ استقصارا لمدّة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار او لانّها كانت ايّام سرورهم وايّام السرور قصار او لانّها منقضية والمنقضى كالمعدوم فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ الّذين يتمكّنون من عدّ ايّامها ان اردت

جزء ۱۸ رکوع ۶ تحقيقها فانّا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكّرها واحصائها او الملائكة الّذين يعدّون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ ٱلْعَادِينَ بالتخفيف اى الظّلمة فانّهم يقولون ما نقول وَٱلْعَادِيِّينَ اى القدماء المعمّرين فانّهم ايضا يستقصرون (۱۱۶) قَالَ وفى قراءة حمزة والكسائىّ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ تصديق لهم فى مقالهم (۱۱۷) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اى لم نخلقكم تلهّيا بكم وانّما خلقناكم لنتعبّدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ معطوف على انّما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ الّذى يحقّ له الملك مطلقا فانّ من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون حال لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فانّ ما عداه عبيد له رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ الّذى يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انّه صفة الربّ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ يعبده افرادا او اشراكا لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ صفة اخرى لالها لازمة له فانّ الباطل لا برهان به جىء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على انّ التديّن بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عمّا دلّ الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ فهو مجاز له مقدار ما يستحقّه إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ انّ الشأن وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح عن الكافرين ثمّ امر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه فقال (۱۱۸) وَقُلْ رَبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ عن النبىّ صلعم من قرأ سورة المؤمنين بشّرته الملائكة بالرّوح والريحان وما تقرّ به عينه عند نزول ملك الموت وعنه صلعم انّه قال لقد أُنْزِلَتْ علىّ عشر آيات من اقامهنّ دخل الجنّة ثمّ قرأ قد افلح المؤمنون حتّى ختم العشر وروى انّ اوّلها وآخرها من كنوز الجنّة مَنْ عمل بثلاث آيات من اوّلها واتّعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح •

سُورَةُ ٱلنُّورِ

مدنيّة وآيها اربع وستّون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رکوع ۷ (۱) سُورَةٌ اى هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة أَنْزَلْنَاهَا صفتها ومن نصبها جعله مفسّرا لناصبها فلا يكون له محلّ الّا اذا قدّر اتْلُ او دونك او نحوه وَفَرَضْنَاهَا وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدّده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة فى ايجابها وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

إيضاح الدلالة لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال (٢) ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي اى فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرتفعا بالابتداء والخبر فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الّذى وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسّره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر وٱلزّانِ بلا ياء ، وانّما قدّم الزانية لانّ الزنا فى الاغلب يكون بتعرّضها للرجل وعرض نفسها عليه ولانّ مَفْسَدته تتحقّق بالاضافة اليها ، والجَلْد ضرب الجِلْد وهو حكم يخصّ بمن ليس بمُحْصَن لما دلّ على انّ حدّ المحصن الرجم وزاد عليه الشافعىّ تغريب الحرّ سنةً لقوله عم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية ما يدفعه لينسخ احدهما الآخر نسخا مقبولا او مردودا ولم فى العبد ثلاثة اقوال ، والاحصان بالحرّيّة والبلوغ والعقل والاصابة فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفيّة الاسلامَ ايضا وهو مردود برجمه صلعم يهوديّين ولا يعارضه مَنْ اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد بالمحصن الّذى يُقْتَصّ له من المسلم وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ رحمة فِي دِينِ ٱللَّهِ فى طاعته واقامة حدّه فتعطّلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عم لو سرقت فاطمة بنت محمّد لقطعت يدها ، وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمدّ على فَعَالة إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فانّ الايمان يقتضى الجدّ فى طاعة الله والاجتهاد فى اقامة احكامه وهو من باب التهييج وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ زيادة فى التنكيل فانّ التفضيح قد ينكّل اكثر ممّا ينكّل التعذيب ، والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافّة حول شىء من الطوف واقلّها ثلاثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمعٌ يحصل به التشهير (٣) ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ اذ الغالب انّ المائل الى الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لا ترغب فيها الصلحاء فانّ المشاكلة علّة للالفة والتضامّ والمخالفة سبب للنفرة والافتراق ، وكان حقّ المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الّا من هو زانٍ او مشرك لكنّ المراد بيان احوال الرجال فى الرغبة فيهنّ لانّ الآية نزلت فى ضَعَفة المهاجرين لمّا همّوا ان يتزوّجوا بغايا يُكْرين انفسهنّ لينفقن عليهم من اكسابهنّ على عادة الجاهليّة ولذلك قدّم الزانى وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ لانّه تشبّهٌ بالفسّاق وتعرّضٌ للتهمة وتسبّبٌ لسوء القالة والطعن فى النَّسَب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبّر عن التنزيه بالتحريم مبالغةً وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الّذى ورد فيه او منسوخ بقوله وأنكحوا الأيامى منكم فانّه يتناول المسافحات ويؤيّده انّه عم سئل عن ذلك فقال اوّله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرّم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطئ فيؤول الى نهى الزانى عن الزنا الّا بزانية والزانية ان يزنى بها الّا زانٍ وهو فاسد (٤) وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ يقذفونهنّ بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهنّ عقيب الزوانى واعتبار اربعة شهداء بقوله ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً والقذف بغيره مثل يا فاسق يا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن ، والاحصان ههنا بالحرّيّة والبلوغ والعقل والاسلام والعفّة عن الزنا ولا فرق

جزء ١٨ فيه بين الذكر والانثى وتخصيصُ المحصنات لخصوص الواقعة او لانّ قذف النساء اغلبُ وأشنعُ ، ولا ركوع ٧ يُشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا تُعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة ، وليكنّ ضربُه اخفَّ من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عَدَده وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً اىّ شهادة كانت لانّه مفترٍ وقيل شهادتهم فى القذف ، ولا يتوقّف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة فانّ الامر بالجلد والنهى عن القبول سيّان فى وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيبَ بينهما فيترتّبان عليه دفعةً كيف وحاله قبل الجلد اسوأُ ممّا بعده أَبَدًا ما لم يتب وعند ابى حنيفة الى آخر عمره وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ المحكوم بفسقهم (٥) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا عن القذف مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحدّ او الاستحلال من المقذوف ، والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يَلزمه سقوطُ الحدّ به كما قيل لانّ من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحلُّ المستثنى النصبُ على الاستثناء وقيل الى النهى ومحلُّه الجرُّ على البدل من هُمْ فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحلُّه النصب لانّه من موجَب وقيل منقطع متّصل بما بعده فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ علّة للاستثناء (٩) وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ نزلت فى هلال بن أُميّة رأى رجلا على فراشه ، وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على انّ الّا بمعنى غير فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم ، واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائىّ وحفص على انّه خبرُ شهادة بِٱللَّهِ متعلّق بشهادات لانّها اقربُ وقيل بشهادة لتقدّمها إِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّادِقِينَ اى فيما رماها به من الزنا وأصلُه على أنّه فحذف الجارّ وكسرت انّ وعلّق العامل عنه باللام تأكيدا (٧) وَٱلْخَامِسَةُ والشهادة الخامسة أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ فى الرمى ، هذا لعانُ الرجُل وحُكْمه سقوطُ حدّ القذف عنه وحصولُ الفُرْقة بينهما بنفسه فرقةَ فسْخ عندنا لقوله عم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقةَ طلاق عند ابى حنيفة ونفيُ الولد إن تُعرّض له فيه وثبوتُ حدّ الزنا على المرأة لقوله (٨) وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ اى الحدّ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلْكَاذِبِينَ فيما رمانى به (٩) وَٱلْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ فى ذلك ، ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ويعقوب أَنْ لَعْنَتُ ٱللَّهِ وأَنْ غَضِبَ ٱللَّهُ بتخفيف النون فيهما وكسر الضاد وفتح الباء من غضب ورفع الهاء من اسم اللّه والباقون بتشديد النون فيهما ونصب التاء وفتح الضاد وجرّ الهاء (١٠) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللَّهَ

ركوع ٨ تَوَّابٌ حَكِيمٌ متروك الجواب للتعظيم اى لَفضحكم وعاجلكم بالعقوبة (١١) إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاءُوا بِٱلْإِفْكِ بأبلغ ما يكون من الكذب من الأَفْك وهو الصرف لانّه قول مأفوك عن وجهه والمرادُ ما أُفك به على عائشة رضها وذلك انّه عم استصحبها فى بعض الغزوات فأذّن ليلةً فى القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثمّ عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عِقْدٌ من جَزْعِ ظَفارِ قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظنّ الّذى كان

برحلها انّها دخلت الهودج فرحله على مطيّتها وسار فلمّا عادت الى منزلها لم تجد ثمّ احدا فجلست كى يرجع اليها منشدٌ وكان صفوان بن المعطّل السُّلَمىّ قد عرّس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتّى اتيا الجيش فاتُّهمت به عُصْبَةٌ مِنْكُمْ جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد اللّه بن أُبَىّ وزيد بن رفاعة وحسّان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبر إنّ وقوله لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ مستأنف والخطاب للرسول وابى بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لاكتسابكم به الثوابَ العظيمَ وظهورِ كرامتكم على اللّه تعالى بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلّم فيكم والثناء على من ظنّ بكم خيرا لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ لكلّ جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصّا به وَٱلَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مُعْظَمه وقرأ يعقوب بالضمّ وهو لغة فيه مِنْهُمْ من الخائضين وهو ابن ابىّ فانّه بدأ به وأذاعه عداوةً لرسول اللّه صلعم او هو وحسّان ومسطح فانّهما شايعاه فى التصريح به والّذى بمعنى الّذين لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ فى الآخرة او فى الدنيا بأن جُلدوا وصار ابن ابىّ مطرودا مشهورا بالنفاق وحسّان اعمى اشلّ اليدين ومسطح مكفوف البصر (١٢) لَوْلَا هلّا اذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا بالّذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانّما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغةً فى التوبيخ واشعارا بأنّ الايمان يقتضى ظنّ الخير بالمؤمنين والكفّ عن الطعن فيهم وذبّ الطاعنين عنهم كما يذبّونهم عن انفسهم وانّما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانّه منزّل منزلته من حيث انّه لا ينفكّ عنه ولذلك يُتّسع فيه ما لا يُتّسع فى غيره وذلك لانّ ذكر الظرف اهمّ فانّ التحضيض على ان لا يخلّوا باوّله وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ كما يقول المستيقن المطّلع على الحال (١٣) لَوْلَا جَآءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فانّ ما لا حجّة عليه كذبٌ عند اللّه اى فى حكمه ولذلك رتّب الحدّ عليه (١٤) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لَوْلَا هذه لامتناع الشىء لوجود غيره والمعنى لولا فضلُ اللّه عليكم فى الدنيا بانواع النعم الّتى من جملتها الامهالُ للتوبة ورحمتُه فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقدّران لكم لَمَسَّكُمْ عاجلا فِيمَا أَفَضْتُمْ خُضْتم فيه عَذَابٌ عَظِيمٌ يستحقر دونه اللوم والجلد اذْ ظرف لمسّكم او افضتم تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقّى القولَ وتلقّفه وتلقّنه وقرئ تَتَلَقَّوْنَهُ على الاصل وتُلْقُونَهُ من لقيه اذا لقفه وتِلْقَوْنَهُ بكسر حرف المضارعة وتُلْقُونَهُ من القائه بعضهم على بعض وتَلِقُونَهُ وتَأْلِقُونَهُ من الوَلْق والألْق وهو الكذب وتَثْقَفُونَهُ من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتَقْفُونَهُ اى تتبعونه وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ اى وتقولون كلاما مختصّا بالافواه بلا مساعدة من القلوب مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ لانّه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله

جزء ١٨
ركوع ١

جزء ١٨ تعالى يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا سهلا لا تبعة له وَهُوَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ فى الوزر
ركوع ٨ واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علّق بها مسّ العذاب العظيم تلقّى الافك بألسنتهم والتحدّث به من غير تحقّق واستصغارهم لذلك وهو عند اللّه عظيم (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا ما ينبغي وما يصحّ لنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا يجوز أن تكون الاشارة الى القول المخصوص وأن تكون الى نوعه فانّ قذف آحاد الناس محرّم شرعا فضلا عن تعرّض الصدّيقة ابنة الصدّيق حرمة رسول اللّه صلعم سُبْحَانَكَ تعجّبٌ من ذلك الافك او ممّن يقول ذلك وأصله ان يُذْكَر عند كلّ متعجّب تنزيها للّه تعالى من أن يصعب عليه مثله ثمّ كثر فاستعمل لكلّ متعجّب او تنزيهٌ للّه من ان تكون حرمة نبيّه فاجرة فانّ فجورها ينفّر عنه ويخلّ بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ لعظمة المبهوت عليه فانّ حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلّقاتها (١٦) يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ كراهة ان تعودوا او فى ان تعودوا أَبَدًا ما دمتم احياء مكلّفين إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فانّ الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع (١٧) وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ الدالّة على الشرائع ومحاسن الآداب كى تتّعظوا وتتأدّبوا وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بالاحوال كلّها حَكِيمٌ فى تدابيره ولا يجوّز الكشخنة على نبيّه ولا يقرّره عليها (١٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ يريدون أَنْ تَشِيعَ ان تنتشر ٱلْفَاحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٩) فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ الحدّ والسعير الى غير ذلك وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ما فى الضمائر وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فعاقبوا فى الدنيا على ما دلّ عليه الظاهر واللّه سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حبّ الاشاعة (٢٠) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ تكرير للمنّة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرّة
ركوع ٩ (٢١) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزّى وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ بيان لعلّة النهى عن اتّباعه ، والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفّرة لها مَا زَكَى ما طهر من دنسها مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا آخر الدهر وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ بحمله على التوبة وقبولها وَٱللَّهُ سَمِيعٌ لمقالهم عَلِيمٌ بنيّاتهم (٢٢) وَلَا يَأْتَلِ ولا يحلف افتعالٌ من الألية او ولا يقصّر من الألو ويؤيّد الاوّل انّه قرئ وَلَا يَتَأَلَّ وانّه نزل فى ابى بكر الصدّيق رضه وقد حلف لا يُنفق على مسطح بعدُ وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين أُولُو ٱلْفَضْلِ مِنْكُمْ فى الدين وَٱلسَّعَةِ فى المال وفيه دليل على فضل ابى بكر وشرفه أَنْ يُؤْتُوا على

ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات أُولِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ جزء ١٨
صفات لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها لانّ الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها ركوع ٩
فيكون ابلغ في تعليل المقصود وَلْيَعْفُوا ما فرط منهم وَلْيَصْفَحُوا بالاغماض عنه أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مع كمال قدرته فتخلّقوا بأخلاقه روى انّه عم قرأها على ابى بكر رضه فقال بلى أُحِبّ ورجع الى مسطح نفقته (٢٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ العفائف ٱلْغَافِلَاتِ ممّا قُذِفن به ٱلْمُؤْمِنَاتِ بالله ورسوله استباحةً لعرضهنّ وطعنا في الرسول والمؤمنين كابن أُبَىّ لُعِنُوا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لما طعنوا فيهنّ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ لعظم ذنوبهم قيل هو حُكْمُ كلّ قاذف ما لم يَتُبْ وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبىّ صلعم ولذلك قال ابن عبّاس رضه لا توبة له ولو فتّشتَ وعيدات القران لم تجد اغلظ ممّا نزل في افك عائشة رضها (٢٤) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانّه موصوف وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدّم والفصل أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يعترفون بها بانطاق الله ايّاها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب (٢٥) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ جزاءهم المستحقّ وَيَعْلَمُونَ لمعاينتهم الامر أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ الثابت بذاته الظاهر الوهيّته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحقّ البيّن اى العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة (٢٦) ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَٱلطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ اى الخبائث يتزوّجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله أُولَٰئِكَ يعنى اهل بيت النبىّ صلعم او الرسول وعائشة وصفوان مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم تقرّر عليه وقيل الخبيثات والطيّبات من الاقوال والاشارة الى الطيّبين والضمير في يقولون للآفكين اى مبرّءون ممّا يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اى مبرّءون من ان يقولوا مثل قولهم لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ يعنى الجنّة ولقد برّأ الله اربعةً باربعة يوسف عم بشاهد من اهلها وموسى عم من قول اليهود بالحجر الّذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشةَ بهذه
الآيات مع هذه المبالغات وما ذلك الّا لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته (٢٧) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا ركوع ١٠
تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ الّتى تسكنونها فانّ الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الّا باذن حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشىء اذا ابصره فانّ المستأذن مستعلم للحال مستكشف انّه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الّذى هو خلاف الاستيحاش فانّ المستأذن مستوحش خائف ان لا يُؤْذَن له فاذا اذن له استأنس او تتعرّفوا هل ثَمّ انسان من الانس

*

جزء ١٨ وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا بأن تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه هم التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ركوع ١٠ ثلاث مرّات فان اذن له دخل والّا رجع ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ اى الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتةً او من تحيّة الجاهليّة كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حُيّيتم صباحا وحُيّيتم مساء ودخل فربّما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروى انّ رجلا قال للنبيّ صلعم أأستأذن على امّي قال نعمْ قال انّها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلّما دخلتُ قال أتحبّ ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذنْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ متعلّق بمحذوف اى أُنزل عليكم او قيل لكم هذا ارادةَ ان تذكّروا وتعملوا بما هو اصلح لكم (٢٨) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا يأذن لكم فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ حتّى يأتي من يأذن لكم فانّ المانع من الدخول ليس الاطّلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادةً مع انّ التصرّف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستُثني ما اذا عرض فيه حرقٌ او غرقٌ او كان فيه منكرٌ ونحوها وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ولا تلحّوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ الرجوع اطهرُ لكم عمّا لا يخلو الالحاحُ والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة او انفعُ لدينكم ودنياكم وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ فيعلم ما تأتون وما تذرون ممّا خوطبتم به فيجازيكم عليه (٢٩) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ كالرُبُط والحوانيت والخانات والخانقات فِيهَا مَتَاعٌ استمتاع لَكُمْ كالاستكنان من الحرّ والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوتَ المسكونة وغيرَها وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ وعيد لمن دخل مَدْخلا لفساد او تطلّع على عورات (٣٠) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ اى ما يكون نحو محرّم وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ الّا على ازواجهم او ما ملكتْ أيمانُهم ولما كان المستثنى منه كالشاذّ النادر بخلاف الغضّ اطلقه وقيّد الغضّ بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصّة سترها ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ انفع لهم او اطهر لما فيه من البُعْد عن الريبة إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ لا يخفى عليه اجالةُ أبصارهم واستعمالُ سائر حواسّهم وتحريكُ جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كلّ حركة وسكون (٣١) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ فلا ينظرن الى ما لا يحلّ لهنّ النظر اليه من الرجال وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ بالتستّر او التحفّظ عن الزنا وتقديمُ الغضّ لانّ النظر بَريدُ الزنا وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ كالحلي والثياب والأصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحلّ ان تُبْدَى له إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فانّ في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعمّ المحاسن الخلقيّة والتزيينيّة والمستثنى هو الوجه والكفّان لانّها ليست بعورة والاظهرُ انّ هذا في الصلوة لا في النظر فانّ كلّ بدن الحرّة عورةٌ لا يحلّ لغير الزوج والمَحْرَم النظرُ الى شيء منها الّا لضرورة كالمعالجة وتحمّل الشهادة وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ سترا لأعناقهنّ وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام بضمّ الجيم وَلَا يُبْدِينَ

زِينَتَهُنَّ كرّره لبيان من يحلّ له الابداء ومن لا يحلّ له إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ فانّهم المقصودون بالزينة ولهم ان جزء ١٨
ينظروا الى جميع بدنهنّ حتّى الفرج بكره أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ ركوع ١٠
إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ لكثرة مداخلتهم عليهنّ واحتياجهنّ الى مداخلتهم وقلّة توقّع الفتنة من قبلهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسّة القرائب ولهم ان ينظروا منهنّ ما يبدو عند المهنة والخدمة ، وانّما لم يذكر الاعمام والاخوال لانّهم فى معنى الاخوان او لانّ الأحوط أن يتستّرن عنهم حذرا ان يصفوهنّ لابنائهم أَوْ نِسَائِهِنَّ يعنى المؤمنات فانّ الكافرات لا يتحرّجن عن وصفهنّ للرجال او النساء كلّهنّ وللعلماء فى ذلك خلاف أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ يعمّ الاماء والعبيد لما روى انّه عم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنّعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطّت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عم انّه ليس عليك بأس انّما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبىّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهِمّ والممسوحون وفى المجبوب والخصىّ خلاف وقيل البُلْه الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء ، وقرأ ابن عامر وابو بكر غَيْرَ بالنصب على الحال أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطّلاع او لعدم بلوغهم حدّ الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة ، والطفل جنس وُضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ليتقعقع خلخالها فيُعلَم انّها ذات خلخال فانّ ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادلّ على المنع من رفع الصوت وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط سيّما فى الكفّ عن الشهوات وقيل توبوا ممّا كنتم تفعلونه فى الجاهليّة فانّه وان جُبّ بالاسلام لكنّه يجب الندم عليه والعزم على الكفّ عنه كلّما يتذكّر ، وقرأ ابن عامر أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ وفى الزخرف أَيُّهُ السَّاحِرُ وفى الرحمن أَيُّهُ الثَّقَلَانِ بضمّ الهاء فى الوصل فى الثلاثة والباقون بفتحها ووقف ابو عمرو والكسائىّ عليهنّ بالالف ووقف الباقون بغير الف لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ بسعادة الدارين

(٣٢) وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ لمّا نهى عمّا عسى يُفضى الى السفاح المُخِلّ بالنسب المقتضى للالفة وحُسن التربية ومزيد الشفقة المؤدّية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغةً فيه عقّبه بأمر النكاح الحافظ له والخطابُ للاولياء والسادة وفيه دليلٌ على وجوب تزويج المَوْلِيّة والمملوك وذلك عند طلبهما واشعارٌ بانّ المرأة والعبد لا يستبدّان به اذ لو استبدّا لما وجب على الولىّ والمَوْلَى ، وأَيَامَى مقلوب أَيَايِم كيَتَامَى جمع أَيِّم وهو العَزَب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيّبا قال

فانْ تَنْكِحى أَنْكِحْ وإنْ تتأيّمى … وإنْ كنتُ أَفْتَى منكمُ أَتأَيَّمُ

وتخصيص الصالحين لانّ إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهمّ وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ردٌّ لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعنّ فقر

جزء ١٨ الخاطب او المخطوبة من المناكحة فانّ فى فضل اللّه غُنْيَة عن المال فانّه غادٍ ورائحٌ او وعدٌ من اللّه
ركوع ١٠ بالاغناء لقوله عم اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروطة بالمشيئة كقوله تعالى وان خفتم عَيْلة فسوف يغنيكم اللّه من فضله ان شاء وَٱللّٰهُ وَاسِعٌ ذو سعة لا تنفد نعمتُه اذ لا تنتهى قدرته عَلِيمٌ يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته (٣٣) وَلْيَسْتَعْفِفِ وليجتهد فى العفّة وقمع الشهوة ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما يُنْكَح به او بالوجدان التمكّن منه حَتَّى يُغْنِيَهُمُ ٱللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ فيجدوا ما يتزوّجون به وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَابَ المكاتبةَ وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتُك على كذا من الكتاب لانّ السيّد كتب على نفسه عتْقه اذا ادّى المال او لانّه ممّا يُكْتَب لتأجيله او من الكَتْب بمعنى الجمع لانّ العوض فيه يكون منجّما بنجوم يُضَمّ بعضها الى بعض مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ عبدا كان او امة ، والموصول بصلته مبتدأٌ خبره فَكَاتِبُوهُمْ او مفعولٌ لمضمرٍ هذا تفسيره ، والفاء لتضمّن معنى الشرط ، والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لانّ الكتابة معاوضة تتضمّن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفيّة باطلاقه على جواز الكتابة الحاليّة ضعيفٌ لانّ المُطْلَق لا يَعُمّ مع انّ العجز عن الاداء فى الحال يمنع صحّتها كما فى السَّلَم فيما لا يوجد عند المَحِلّ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدمُ الجواز وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ ٱللّٰهِ ٱلَّذِى آتَاكُمْ امرٌ للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفى معناه حطّ شىء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقلّ ما يتموّل وعن علىّ رضه يحطّ الربع وعن ابن عبّاس الثلث وقيل ندبٌ لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدّوا ويعتقوا وقيل امرٌ لعامّة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سَهْمَهم من الزكوة ويحلّ للمولى وان كان غنيّا لانّه لا يأخذه صدقةً كالدائن والمشترى ويدلّ عليه قوله عم فى حديث بَرِيرة هو لها صدقةٌ ولنا هديّةٌ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ اماءكم عَلَى ٱلْبِغَآءِ على الزنا كانت لعبد اللّه بن ابىّ ستّ جوار يكرههنّ على الزنا وضرب عليهنّ الضرائب فشكت بعضهنّ الى رسول اللّه صلعم فنزلت إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا تعفّفا شرطٌ للاكراه فانّه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جوازُ الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهىّ عنه وايثارُ إِنْ على اذا لانّ ارادة التحصّن من الاماء كالشاذّ النادر لِتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ ٱللّٰهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ اى لهنّ او له ان تاب والاوّل اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ولا يَرِد عليه انّ المُكْرَهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لانّ الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حُرِّم على المُكْرَه القتل وأُوجب عليه القصاص (٣٤) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ يعنى الآيات التى بُيِّنت فى هذه السورة وأُوضحت فيها الاحكامُ والحدودُ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ وحفص بالكسر

لانّها واضحات تصدّقها الكتب المتقدّمة والعقول المستقيمة من بَيَّنَ بمعنى تَبَيَّنَ او لانّها بَيَّنت الاحكامَ والحدودَ جزء ١٨
وَمَثَلًا مِنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصّةً عجيبةً مثل قصصهم وهى قصّة ركوع ١٠
عائشة رضها فانّها كقصّة يوسف ومريم وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ يعنى ما وُعظ به فى تلك الآيات وتخصيص
المتّقين لانّهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القران والصفاتُ المذكورة صفاته (٣٥) ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمٰوَاتِ ركوع ١١
وَٱلْأَرْضِ النور فى الاصل كيفيّة تُدْرِكها الباصرةُ اوّلا وبواسطتها سائرُ المُبْصَرات كالكيفيّة الفائضة من
النيّرَيْن على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصحّ اطلاقه على اللّه تعالى الّا بتقدير
مضاف كقولك زيدٌ كَرَمٌ بمعنى ذو كرم او على تجوّز امّا بمعنى منوّر السموات والارض وقد قرئ به فانّه
تعالى نوّرها بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار او بالملائكة والانبياء او مدبّرها من قولهم للرئيس
الفائق فى التدبير نور القوم لانّهم يهتدون به فى الامور او موجدها فانّ النور ظاهر بذاته مُظْهِر لغيره
وأصلُ الظهور هو الوجود كما انّ اصل الخفاء هو العدم واللّه سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما
عداه او الّذى به تُدْرَك او يُدْرِك اهلُها من حيث انّه يطلق على الباصرة لتعلّقها به او لمشاركتها له فى
توقّف الادراك عليه ثمّ على البصيرة لانّها اقوى ادراكا فانّها تدرك نفسها وغيرها من الكلّيّات والجزئيّات
الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرّف فيها بالتركيب والتحليل ثمّ انّ هذه الادراكات
ليست لذاتها والّا لما فارقتها فهى اذنْ من سبب يُفيضها عليها وهو اللّه تعالى ابتداء او بتوسّط من
الملائكة والانبياء ولذلك سُمّوا انوارا ويقرب منه قول ابن عبّاس رضه معناه هادى مَن فيهما فهم بنوره
يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسّيّة والعقليّة وقصور
الادراكات البشريّة عليهما وعلى المتعلّق بهما والمدلول لهما مَثَلُ نُورِهِ صفة نوره العجيبة الشأن واضافته
الى ضميره سبحانه دليل على انّ اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كَمِشْكٰوةٍ كصفة مشكوة وهى الكُوّة الغير
النافذة وقرأ الكسائىّ برواية الدورىّ بالامالة فِيهَا مِصْبَاحٌ سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوةُ الأُنبوبة
فى وسط القنديل والمصباحُ الفتيلة المشتعلة ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ فى قنديل من الزجاج ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ مُضِيء متلألئ كالزُهَرة فى صفائه وزُهْرته منسوب الى الدُرّ او فُعّيل كمرّيق من الدَرْء
فانّه يدفع الظلامَ بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الّا انّه قُلبت همزته ياء ويدلّ عليه قراءةُ حمزة وابى
بكر على الاصل وقراءةُ ابى عمرو والكسائىّ دِرّىء كشرّيب وقد قرئ به مقلوبا يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
اى ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رُويتْ ذُبالته بزيتها وفى ابهام الشجرة
ووصفها بالبركة ثمّ ابدال الزيتونة عنها تفخيمٌ لشأنها، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء
للمفعول من اوقد وحمزة والكسائىّ وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ
تَوَقَّدُ من تتوقّد ويَوَقَّدُ بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ تقع الشمس

عليها حينا بعد حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالّتى تكون على قلّة او صحراء واسعة فانّ ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشأم فانّ زيتونه اجود الزيتون او لا فى مَضْحًى تُشْرِق الشمسُ عليها دائما فتحرقها او فى مَقْنَأَة تغيب عنها دائما فتتركها نيـّا وفى الحديث لا خير فى شجرة ولا نبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ اى يكاد يضىء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وبيصه نُورٌ عَلَى نُورٍ نور متضاعف فانّ نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبطُ المشكوة لأشعّته ، وقد ذُكر فى معنى التمثيل وجوهٌ الاوّل انّه تمثيلٌ للهُدَى الّذى دلّ عليه الآياتُ البيّناتُ فى جلاء مدلولهـا وظهور ما تضمّنته من الهدى بالمشكوة المنعوتة او تشبيهٌ للهدى من حيث انّه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانّما ولى الكافُ المشكوةَ لاشتمالها عليه وتشبيهُه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيلٌ لما نوّر اللّه به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكوة المنبثّ فيها من مصباحها ويؤيّده قراءة أُبَىّ مَثَلُ نُورِ ٱلْمُؤْمِنِ او تمثيلٌ لما منح اللّه به عباده من القوى الدّرّاكة الخمس المترتّبة الّتى مَنُوط بهـا المعاش والـمعادُ وهى الحسّاسةُ الّتى تدرك بهـا المحسوسـات بالحواسّ الخمس والخياليّةُ الّـتى تحفظ صُوَر تلـك المحسوسات لتعرضهـا على القوّة العقليّة متى شاءت والعاقلةُ الّتى تدرك الحـقـائـق الكلّيّة والمفكّرةُ الّتى تؤلّف المعقولات لتستنتج منها عِلْمَ ما لم يُعْلَم والقوّةُ القدسيّةُ الّتى تتجلّى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصّةُ بالانبياء والاولياء المعنيّة بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة فى الآية وهى المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فانّ الحسّاسة كالمشكوة لانّ محلّها كالكُوَى ووَجْهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخياليّة كالزجاجة فى قبول صُوَر المُدْرَكات من الجوانب وضبطها للانوار العقليّة وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلّيّة والمعارف الالهيّة والمفكّرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لا نهاية لها الزيتونة المثمرة بالزيت الّذى هو مادّةُ المصابيح الّتى لا تكون شرقيّة ولا غربيّة لتجرّدها عن اللواحق الجسميّة او لوقوعهـا بين الصُوَر والمعـانى منصرّفةً فى القبيلين منتفعةً من الجانبين والقوّة القدسيّة كالزيت فانّها لصفائها وشدّة ذكائها تكاد تُضىء بالمعارف من غير تفكّر ولا تعلّم او تمثيلٌ للقوّة العقليّة فى مراتبها بذلك فانّها فى بدء امرها خالية عن العلوم مستعدّة لقبولها كالمشكوة ثمّ تنتقش بالعلوم الضروريّة بتوسّط احساس الجزئيّات بحيث تتمكّن من تحصيل النظريّات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار وذلك التمكّن اِن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوّة قدسيّة فكالّتى يكاد زيتها يضىء لانّها تكاد تَعْلَمُ ولو لم تتّصل بملك الوَحْى والالهام الّذى مثله النار من حيث انّ العقول تشتعل عنه ثمّ اذا حصلَتْ لها العلوم بحيث تتمكّن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح فاذا استحضرتها كانت نورا على نور يَهْدِى ٱللّٰهُ لِنُورِهِ لهذا النور الثاقب مَنْ يَشَآءُ فانّ الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها وَيَضْرِبُ ٱللّٰهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ

ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او جزء ١٨
خفيّا وفيه وعد ووعيد لمن تدبّرها ولمن لم يكترث بها (٣٦) فِى بُيُوتٍ متعلّق بما قبله اى كمشكوة فى ركوع ١١
بعض بيوت او يوقد فى بيوت فيكون تقييدا للممثّل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فانّ قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافى جمعُ البيوت وَحْدَةَ المشكوة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبّح وفيها تكرير مؤكّد لا بيذكر لانّه من صلة أنْ فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبّحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لانّ الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكيرُ للتعظيم أَذِنَ ٱللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ بالبناء او التعظيم وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ عامّ فيما يتضمّن ذكره حتّى المذاكرة فى افعاله والمباحثة فى احكامه يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ينزّهونه او يصلّون له فيها بالغَدَوات والعشيّات والغُدُوّ مصدر أُطْلق للوقت ولذلك حَسُن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ وَٱلْإِيصَالِ وهو الدخول فى الاصيل وقرأ ابن عامر وابو بكر يُسَبَّحُ بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يَدُلّ عليه وقرئ تُسَبِّحُ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدوّ (٣٧) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ لا تشغلهم معاملة رابحة وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان أُريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهمّ من قسمى التجارة فانّ الربح يتحقّق بالبيع ويتوقّع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانّه اصلها ومبدأها وقيل الجَلَب لانّه الغالب فيها ومنه يقال تَجَرَ فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانّهم تجار وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ عوّض فيه الاضافة من التاء المعوّضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله • وأَخْلَفوك عِدَ الامرِ ٱلّذى وعدوا • وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ما يجب إخراجه من المال للمستحقّين يَخَافُونَ يَوْمًا مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَارُ تضطرب وتتغيّر من الهول او تتقلّب احوالُها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلّب القلوب من توقّع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اىّ ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم (٣٨) لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ متعلّق بيسبّح او لا تلهيهم او يخافون أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا احسنَ جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنّة وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ اشياء لم يَعِدْها على اعمالهم ولم تخطر ببالهم وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان (٣٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ والّذين كفروا حالهم على ضدّ ذلك فانّ اعمالهم الّتى يحسبونها صالحة نافعة عند اللّه يجدونها لاغية مخيّبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يُرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيُظَنّ انّه ماء يَسْرُب اى يجرى ، والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية الخالية عن النبات وغيره وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَآءً اى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدّة الخيبة عند مسيس الحاجة حَتَّىٰ إِذَا جَآءَهُ

جزء ١٨ جاء ما توقّعه ماء او موضعه لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ممّا ظنّه وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِنْدَهُ عقابه او زبانيته او وجده
ركوع ١١ محاسبا ايّاه فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ استعراضا او مجازاة وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ لا يشغله حساب عن حساب روي انّها نزلت في عُتْبة بن ربيعة بن أُميّة تعبّد في الجاهليّة والتمس الدين فلمّا جاء الاسلام كفر (٤٠) أَوْ كَظُلُمَاتٍ عطف على كسراب وأَوْ للتخيير فانّ اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحقّ كالظلمات المتراكمة من لُجّ البحر والامواج والسحاب او للتنويع فانّ اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانّها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ عميق منسوب الى اللجّ وهو مُعْظَم الماء يَغْشَاهُ يغشى البحر مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ اى امواج مترادفة متراكمة مِنْ فَوْقِهِ من فوق الموج الثاني سَحَابٌ غطّى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظُلُمَاتٌ اى هذه ظلمات بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وقرأ ابن كثير ظُلُمَاتٍ بالجرّ على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها في رواية البزّيّ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ وهي اقرب ما يرى اليه لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله

اذا غيّر النأي المحبّين لم يكد   رسيس الهوى من حبّ ميّة يبرح

والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُ نُورًا ومن لم يقدّر
ركوع ١٢ له الهداية ولم يوفّقه لاسبابها فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ خلاف الموفّق الّذي له نور على نور (٤١) أَلَمْ تَرَ الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ينزّه ذاته عن كلّ نقص وآفة اهل السموات والارض ومَن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدلّ عليه من مقال او دلالة حال وَٱلطَّيْرُ على الاوّل تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيّدها بقوله صَافَّاتٍ فانّ اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجوّ صافّة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجّة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كُلٌّ كلّ واحد ممّا ذكر او من الطير قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ اى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ او علم كلّ على تشبيه حاله في الدلالة على الحقّ والميل الى النفع على وجه يخصّه بحال من علم ذلك مع انّه لا يبعد ان يُلْهِم اللهُ الطيرَ دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيّشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء (٤٢) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فانّه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انّها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ مرجع الجميع (٤٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا يسوقه ومنه البضاعة المُزْجَاة فانّها يزجيها كلّ احد ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ بأن يكون قزعا فيضمّ بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صحّ بَيْنَهُ اذ المعنى بين اجزائه ،

جزء ١٨ ركوع ١٣

وقرأ نافع برواية ورش يُوَلِّفُ غير مهموز ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا متراكما بعضه فوق بعض فَتَرَى ٱلْوَدْقَ المطر يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ من فتوقه جمع خَلَل كجبال فى جبل وقرئ مِنْ خَلَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ من الغمام وكلّ ما علاك فهو سماء مِنْ جِبَالٍ فِيهَا من قِطَع عِظام تشبه الجبال فى عظمها او جمودها مِنْ بَرَدٍ بيان للجبال والمفعولُ محذوف اى ينزّل مبتدئا من السماء من جبال فيها من بَرَد بَرَدًا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعةً موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المُظِلّة وفيها جبال من بَرَد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطعٌ يَمْنعه والمشهورُ انّ الابخرة اذا تصاعدت ولم تحلّلها حرارة فبلغت الطبقةَ الباردةَ من الهواء وقوى البَرْدُ هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتدّ البَرْد تقاطر مطرا وان اشتدّ فان وصل الى الاجزاء البخاريّة قبل اجتماعها نزل ثلجا والّا نزل بَرَدا وقد يبرد الهواء بَرْدا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكلّ ذلك لا بدّ ان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انّها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالّها واوقاتها واليه اشار بقوله فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَآءُ والضمير للبَرَد يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ ضوء برقه وقرئ بالمدّ بمعنى العلوّ وبادغام الدال فى السين وبُرَقِهِ بفتح الراء وهو جمع بُرْقة وهى المقدار من البَرْق كالغُرْفة وبضمّها للاتباع يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَارِ بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انّه توليد للضدّ من الضدّ وقرئ يُذْهِبُ على زيادة الباء (٤٤) يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحرّ والبرد والظلمة والنور او بما يعمّ ذلك إِنَّ فِى ذَٰلِكَ فيما تقدّم ذكره لَعِبْرَةً لِأُولِى ٱلْأَبْصَارِ لدلالةً على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزّهه عن الحاجة وما يُفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ حيوان يدبّ على الارض وقرأ حمزة والكسائىّ خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ بالاضافة مِنْ مَآءٍ هو جزء مادّته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكلّ اذ من الحيوانات ما يتولّد لا من النطفة وقيل من ماء متعلّقٌ بدابّة وليس بصلة لخلق فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِ كالحيّة وانّما سمّى الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ كالانس والطير وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَىٰ أَرْبَعٍ كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فانّ اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمَنْ عن الاصناف ليوافق التفصيلُ الجملةَ والترتيبُ لتقديم ما هو اعرفُ فى القُدْرة يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ممّا ذكر وممّا لم يذكر بسيطا ومركّبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقُوى والافعال مع اتّحاد العنصر بمقتضى مشيئته إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ فيفعل ما يشاء (٤٥) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ للحقائق بانواع الدلائل وَٱللَّهُ يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ بالتوفيق للنظر فيها والتدبّر لمعانيها إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هو دين الاسلام الموصل الى درك الحقّ

*

جزء ١٨ والفوز بالجنّة (٤٦) وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالرَّسُولِ نزلت فى بِشْر المنافق خاصم يهوديّا فدعاه الى كعب
ركوع ١٢ ابن الاشرف وهو يدعوه الى النبىّ صلعم وقيل فى مُغيرة بن وائل خاصم عليّا رضه فى ارض فأبى ان يحاكمه
الى الرسول وَأَطَعْنَا اى واطعناهما ثُمَّ يَتَوَلَّى بالامتناع عن قبول حكمه فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ بعد
قولهم هذا وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من اللّٰه تعالى بانّ جميعهم
وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلبُ الايمان عنهم لتولّيهم ، والتعريف
فيه للدلالة على انّهم ليسوا بالمؤمنين الّذين عرفتَهم وهم المخلصون فى الايمان والثابتون عليه
(٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللّٰهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ليحكم النبىّ فانّه الحاكم ظاهرا والمدعوّ اليه وذكرُ اللّٰه
لتعظيمه والدلالة على انّ حكمه فى الحقيقة حكم اللّٰه إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ فاجأ فريق منهم الاعراض
اذا كان الحقّ عليهم لعلمهم بانّك لا تحكم لهم وهو شرح للتولّى ومبالغة فيه (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ
اى الحكم لا عليهم يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ منقادين لعلمهم بانّه يحكم لهم وإليه صلةُ ليأتوا او لمذعنين
وتقديمه للاختصاص (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ كفر او ميل الى الظلم أَمِ ارْتَابُوا بأن رأوا منك تهمةً فزال يقينهم
وثقتهم بك أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ فى الحكومة بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ اضراب عن
القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاوّل ووجهُ التقسيم انّ امتناعهم امّا لخلل فيهم او فى الحاكم والثانى
امّا ان يكون محقّقا عندهم او متوقّعا وكلاهما باطل لانّ منصب نبوّته وفرط امانته يمنعه فتعيّن
الاوّل وظلمهم يعمّ خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصلُ لنفى ذلك عن غيرهم سيّما المدعوّ
ركوع ١٣ الى حكمه (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللّٰهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ على عادته تعالى فى إتباع ذكر الحقّ المبطلَ والتنبيه على ما ينبغى بعد انكاره
لما لا ينبغى ، وقرئ قَوْلُ بالرفع ولِيُحْكَمَ على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليُفعَلَ
الحكمُ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فيما يأمرانه او فى الفرائض والسنن وَيَخْشَ اللّٰهَ على ما صدر عنه من
الذنوب وَيَتَّقْهِ فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو بكر وابو عمرو بسكون
الهاء وحفص بسكون القاف فشبّه تقه بكتف وخفّف والهاء ساكنة فى الوقف بالاتّفاق فَأُولٰئِكَ
هُمُ الْفَائِزُونَ بالنعيم المقيم (٥٢) وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ انكار للامتناع عن حكمه لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ
بالخروج عن ديارهم واموالهم لَيَخْرُجُنَّ جواب لأقسموا على الحكاية قُلْ لَا تُقْسِمُوا على الكذب طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ
اى المطلوبُ منكم طاعةٌ معروفةٌ لا اليمينُ على الطاعة النفاقيّة المنكرة او طاعة معروفة امثلُ منها او ليكن
طاعة وقرئت بالنصب على أَطيعوا طاعةً إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فلا يخفى عليه سرائركم
(٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ امر بتبليغ ما خاطبهم اللّٰه به على الحكاية مبالغةً فى تبكيتهم

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ على محمّد مَا حُمِّلَ من التبليغ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ من الامتثال وَإِنْ تُطِيعُوهُ في حكمه جزء ١٨
تَهْتَدُوا الى الحقّ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ التبليغ الموضح لما كُلّفتم به وقد أدّى وانّما بقى ما ركوع ١٣
حُمّلتم فان ادّيتم فلكم وان تولّيتم فعليكم (٥٤) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ خطاب
للرسول والامّة او له ولمن آمن معه ومن للبيان لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ليجعلنّهم خلفاء متصرّفين في
الارض تصرّف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم اللّه واقسم ليستخلفنّهم او
الوعد في تحقّقه منزّل منزلة القسم كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يعنى بنى اسرائيل استخلفهم في
مصر والشأم بعد الجبابرة ، وقرأ ابو بكر بضمّ التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضمّ الالف والباقون بفتحهما
واذا ابتدءوا كسروا الالف وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَى لَهُمْ وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت
وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف أَمْنًا منهم وكان رسول
اللّه صلعم واصحابه مكثوا بمكّة عشر سنين خائفين ثمّ هاجروا الى المدينة وكانوا يُصبحون في السلاح
ويُمسون فيه حتّى انجز اللّه وعده فأظهرهم على العرب كلّهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل
على صحّة النبوّة بالاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود
عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يَعْبُدُونَنِي حالٌ من الّذين لتقييد
الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا
حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين وَمَنْ كَفَرَ ومن ارتدّ او كفر هذه النعمة بَعْدَ ذَلِكَ بعد الوعد
او حصول الخلافة فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ الكاملون في فسقهم حيث ارتدّوا بعد وضوح مثل هذه الآيات
او كفروا تلك النعمة العظيمة (٥٥) وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ في سائر ما امركم به
ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا اللّه فانّ الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول
للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هى فيه بقوله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ كما علّق به الهدى
(٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ لا تحسبنّ يا محمّد الكفّار معجزين للّه عن ادراكهم
واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين ، وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على انّ الضمير فيه لمحمّد والمعنى كما
هو في القراءة بالتاء او الّذين كفروا فاعلٌ والمعنى لا يحسبنّ الكفّار في الارض احدا معجزا للّه فيكون
معجزين في الارض مفعوليه او لا يحسبنّهم معجزين فحذف المفعول الاوّل لانّ الفاعل والمفعولين لشيء
واحد فاكتفى بذكر الاثنين عن الثالث وَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ عطف عليه من حيث المعنى كانّه قيل الّذين
كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم النار لانّ المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز
وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ المأوى الّذى يصيرون اليه (٥٧) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ركوع ١٤
رجوع الى تتمّة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الالهيّات الدالّة على وجوب الطاعة فيما سلف من

جزء ١٨ ركوع ١٤ لاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمرادُ به خطاب الرجال والنساء غلّب فيه الرجال لما روى انّ غلامَ أَسْمَاء بنت ابى مُرْشد دخل عليها فى وقتٍ كَرِهَتْه فنزلت وقيل ارسل رسول اللّه صلعم مُدْلِجَ بن عمرو الانصارىّ وكان غلاما وقتَ الظهيرة ليدعو عُمَرَ فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددتُ انّ اللّه نهى آباءنا وابناءنا وخدمَنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا آلّا باذن ثمّ انطلق معه الى النبىّ صلعم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا ٱلْحُلُمَ مِنْكُمْ والصبيان الّذين لم يبلغوا من الأحرار فعبّر عن البلوغ بالاحتلام لانّه اقوى دلائله ثَلٰثَ مَرَّاتٍ فى اليوم والليلة مرّة مِنْ قَبْلِ صَلٰوةِ ٱلْفَجْرِ لانّه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحلّه النصب بدلا من ثلث مرّات او الرفع خبرا لمحذوف اى هى من قبل صلوة الفجر وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ اى ثيابكم لليقظة لِلقيلولة مِنَ ٱلظَّهِيرَةِ بيان للحين وَمِنْ بَعْدِ صَلٰوةِ ٱلْعِشَآءِ لانّه وقت التجرّد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثَلٰثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ اى هى ثلاثة اوقات يختلّ فيها تستّركم ويجوز ان يكون مبتدأً خبرُه ما بعده وأصلُ العورةِ الخلل ومنها أَعْوَرَ المكانُ ورجلٌ أَعْوَرُ، وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائىّ ثَلٰثَ بالنصب بدلا من ثلث مرّات لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ بعد هذه الاوقات فى ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافى آية الاستيذان فينسخها لانّه فى الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك فى الاحرار والبالغين طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ اى هم طوّافون استيناف ببيان العُذْر المرخّص فى ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بانّها عورات بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كَذٰلِكَ مثل ذلك التبيين يُبَيِّنُ ٱللّٰهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ اى الاحكام وَٱللّٰهُ عَلِيمٌ باحوالكم حَكِيمٌ فيما شرع لكم (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنْكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا ٱسْتَأْذَنَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ الّذين بلغوا من قبلهم فى الاوقاتُ كلّها واستدلّ به من اوجب استيذان العبد البالغ على سيّدته وجوابه انّ المراد بهم المعهودون الّذين جُعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللّٰهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَٱللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ كرّره تأكيدا ومبالغةً فى الامر بالاستيذان (٥٩) وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ العجائز اللّاتى قعدن عن الحيض والحمل ٱللّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا لا يطمعن فيه لكبرهنّ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ اى الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لانّ اللام فى القواعد بمعنى اللّاتى او لوصفها بها غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ غير مظهرات زينةً ممّا أُمرن باخفائه فى قوله ولا يُبْدين زينتهنّ وأصلُ التبرّج التكلّف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبَرَج سعة العين بحيث يُرَى بياضها محيطا بسوادها كلّه لا يغيب منه شىء الّا انّه خصّ بتكشّف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ من الوضع لانّه ابعد من

النهمة وَٱللَّهُ سَمِيعٌ لمقالهنّ للرجال عَلِيمٌ بمقصودهنّ (٦٠) لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى جزء ۱۸
ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ نفيٌ لما كانوا يتحرّجون من مؤاكلة الاصحّاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من رکوع ۱۴
بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسّط فيه اذا خرج الى الغزو وخلّفهم على المنازل مخافة ان لا
يكون ذلك من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة
ان يكونوا كَلًّا عليهم وهذا انّما يكون اذا عُلم رضى صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اوّل
الاسلام ثمّ نُسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبيّ الّا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفيٌ للحرج
عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنۢ بُيُوتِكُمْ من
البيوت الّتى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لانّ بيت الولد كبيته لقوله عم انت وما
لك لابيك وقوله عم انّ اطيبَ ما يأكل المرء من كسبه وانّ ولده من كسبه أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرّفكم من ضيعة او ماشية وكالة
او حفظا وقيل بيوت المماليك ، والمفاتح جمع مِفْتَح وهو ما يُفْتَح به وقرئ مِفْتَاحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ او
بيوت صديقكم فانّهم ارضى بالتبسّط في اموالهم وأسرّ به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا
كلّه انّما يكون اذا عُلم رضى صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصّص هؤلاء فانّه يُعتاد التبسّط
بينهم او كان في اوّل الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفيّة به على انّ لا قَطْع بسرقة مال المَحْرَم
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا مجتمعين او متفرّقين نزلت في بني ليث بن عمرو بن
كنانة كانوا يتحرّجون ان يأكل الرجل وحده او في قوم من الأنصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون
الّا معه او في قوم تحرّجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطبائع في القذارة والنهمة (٦١) فَإِذَا دَخَلْتُم
بُيُوتًا من هذه البيوت فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ على اهلها الّذين هم منكم دينا وقرابة تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحيّة فانّه طلب الحيوة وهي من عنده تعالى
وانتصابها بالمصدر لانّها بمعنى التسليم مُبَارَكَةً لانّها يُرجى بها زيادة الخير والثواب طَيِّبَةً تطيب بها
نفس المستمع وعن أنس انّه عم قال لي متى لقيتَ احدا من امّتي فسلّم عليه يَطُلْ عمرك واذا دخلت
بيتك فسلّم عليهم يكثر خير بيتك وصلّ صلوة الضحى فانّها صلوة الابرار الاوّابين كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ
ٱلْآيَاتِ كرّره ثلاثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاوّلين بما هو المقتضي لذلك
وهذا بما هو المقصود منه فقال لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ اى الحقّ والخير في الامور (٦٢) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ اى رکوع ۵
الكاملون في الايمان ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ من صميم قلوبهم وَإِذَا كَانُوا مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ كالجمعة
والأعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ أَمْرٍ جَمِيعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ

جزء ١٨ ركوع ١٥ يستأذنوا رسول اللّٰه فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانّه كالمصداق لصحّته والمميّز للمخلص فيه عن المنافق فانّ ديدنه التسلّل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس رسول اللّٰه صلعم بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكّدا على اسلوب ابلغ فقال إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فانّه يفيد انّ المستأذن مؤمن لا محالة وانّ الذاهب بغير اذن ليس كذلك فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ما يعرض لهم من المهامّ وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ تفويض للامر الى رأى الرسول واستدلّ به على انّ بعض الاحكام مفوّضة الى رأيه ومن منع ذلك قيّد المشيئة بأن تكون تابعة لعلمه بصدقه فكانّ المعنى فأذن لمن علمت انّ له عذرا وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ بعد الاذن فانّ الاستيذان ولو لعذر قصور لانّه تقديم لامر الدنيا على امر الدين إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ لفرطات العباد رَّحِيمٌ بالتيسير عليهم (٦٣) لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا لا تقيسوا دعاءه ايّاكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فانّ المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرّمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظّم مثل يا نبىّ اللّٰه ويا رسول اللّٰه مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فانّ دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربّه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرّة ويردّه فانّ دعاءه مستجاب قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ ينسلّون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلّل تدرّج وتدخّل لِوَاذًا ملاوذة بأن يستتر بعضكم ببعض حتّى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانّه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمّنه معنى الاعراض او يصدّون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صدّ عنه دونه وحذف المفعول لانّ المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير للّٰه فانّ الامر له حقيقة او للرسول فانّه المقصود بالذكر أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ محنة فى الدنيا أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الآخرة واستدلّ به على انّ الامر للوجوب فانّه يدلّ على انّ ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فانّ الامر بالحذر عنه يدلّ على خشية المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب (٦٤) أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ايّها المكلّفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص ، وانّما اكّد علمه بقد لتأكيد الوعيد وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات ، وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ لا يخفى عليه خافية ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة النور أُعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كلّ مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى •

سُورَةُ ٱلْفُرْقَانِ

مكّيّة وآيها سبع وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ تكاثر خيره من البَرَكة وهى كثرة الخير او تزايد على كلّ شىء جزء ١٨
وتعالى عنه فى صفاته وافعاله فانّ البركة تتضمّن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من ركوع ١٩
كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بُرُوك الطير على الماء ومنه البِرْكة لدوام الماء فيها وهو لا يُتصرّف فيه ولا يُستعمل الّا للّه تعالى ، والفرقان مصدرُ فَرَقَ بين الشيئين اذا فصل بينهما سمّى به القران لفصله بين الحقّ والباطل بتقريره او المُحِقّ والمُبْطِل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض فى الانزال ، وقرئ عَلَىٰ عِبَادِهِ وهم رسول اللّه وامّته كقوله تعالى لقد انزلنا اليكم او الانبياء على انّ الفرقان اسم جنس للكتب السماويّة لِيَكُونَ العبدُ او الفرقانُ لِلْعَالَمِينَ للجنّ والانس نَذِيرًا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنّها لقوّة دليلها أُجْرِيت مجرى المعلوم وجُعلت صلة (٢) ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ بدل من الاوّل او مدح مرفوع او منصوب وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا كزعم النصارى وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ كقول الثنويّة أَثْبَتَ له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثمّ نبّه على ما يدلّ عليه فقال وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من موادّ مخصوصة وصُوَرٍ وأشكال معيّنة فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا فقدّره وهيّأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوّعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدّره للبقاء الى اجل مسمّى وقد يُطْلَق الخلق لمجرّد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كلّ شىء فقدّره فى ايجاده حتّى لا يكون متفاوتا (٣) وَٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لمّا تضمّن الكلامُ اثباتَ التوحيد والنبوّة اخذ فى الردّ على المخالفين فيهما لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ لانّ عَبَدتهم ينحتونهم ويصوّرونهم (٤) وَلَا يَمْلِكُونَ ولا يستطيعون لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا دَفْعَ ضَرٍّ وَلَا نَفْعًا ولا جَلْبَ نفع وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اوّلا وبَعْثَه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهيّة لعَرائه عن لوازمها واتّصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على انّ الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء (٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ كذب مصروف عن وجهه ٱفْتَرَاهُ اختلقه وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ اى اليهود فانّهم يلقون اليه أخبار الامم وهو يعبّر عنها بعبارته وقيل جَبْرٌ ويَسار وعَدّاس وقد سبق فى قوله انّما يعلّمه بشر فَقَدْ جَآءُوا ظُلْمًا بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقّفا من اليهود وَزُورًا بنسبة ما هو برىء منه اليه ، وأتى وجاء يُطْلَقان

بمعنى فَعَلَ فيعدّيان تعديته (٩) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ما سطره المتقدّمون ٱكْتَتَبَهَا كتبها لنفسه او جزء ١٨
استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانّه أُمّيّ وأصله اكتتبها كاتبٌ له فحُذف اللام وأُفضي الفعل الى ركوع ١٦
الضمير فصار اكتتبها ايّاه كاتبٌ ثمّ حُذف الفاعل وبُني الفعل للضمير فاستتر فيه فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ليحفظها فانّه أُمّيّ لا يقدر ان يكرّر من الكتاب او لتُكْتَب (٧) قُلْ أَنْزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي
ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لانّه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمّنه اخبارا عن مغيّبات مستقبلة واشياء
مكنونة لا يعلمها الّا عالمُ الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاوّلين إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا فلذلك
لا يعجّل عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصبّ عليكم العذاب صبّا
(٨) وَقَالُوا مَالِ هٰذَا ٱلرَّسُولِ ما لهذا الّذى يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكّم يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ كما نأكل
وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صحّ دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا
وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فانّ تميّز الرسل عمّن عداهم ليس بامور جسمانيّة وانّما
هو باحوال نفسانيّة كما اشار اليه تعالى بقوله قل انّما انا بشر مثلكم يوحى الىّ أنّما الهكم اله واحد
لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا لنعلم صدقه بتصديق الملك (٩) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ فيستظهر به
ويستغنى عن تحصيل المعاش أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا هذا على سبيل التنزّل اى ان لم يلق
اليه كنز فلا أقلّ من ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيّش بريعه وقرأ حمزة والكسائىّ
بالنون والضمير للكفّار وَقَالَ ٱلظَّالِمُونَ وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا
إِنْ تَتَّبِعُونَ ما تتّبعون إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا سُحر فغُلب على عقله وقيل ذا سَحْر وهو الرئة اى بشرا لا
ملكا (١٠) ٱنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ اى قالوا فيك الاقوال الشاذّة واخترعوا لك الاحوال النادرة فَضَلُّوا
عن الطريق الموصل الى معرفة خواصّ النبىّ والمميّز بينه وبين المتنبّئ فخبطوا خبط عشواء فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا الى القدح فى نبوّتك او الى الرشد والهدى (١١) تَبَارَكَ ٱلَّذِي إِنْ شَآءَ جَعَلَ لَكَ فِي الدنيا ركوع ١٠
خَيْرًا مِنْ ذٰلِكَ ممّا قالوا لكن اخّره الى الآخرة لانّه خير وابقى جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ بدل من
خيرا وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا عطف على محلّ الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لانّ الشرط
اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله

وإنْ اتاه خليلٌ يومَ مَسْأَلَةٍ   يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ

ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على انّه جواب بالواو
(١٢) بَلْ كَذَّبُوا بِٱلسَّاعَةِ فقصرت انظارهم على الحطام الدنيويّة وظنّوا انّ الكرامة انّما هى بالمال فطعنوا

فيك بفقرك او فلذلك كذّبوك لا لما تمحّلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب جزء ١٨
ويصدّقونك بما وعد اللّه لك فى الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم ايّاك فانّه اعجب منه وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ ركوع ١٧
كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنّم فيكون صَرْفُه باعتبار المكان (١٣) إِذَا رَأَتْهُم
اذا كانت بمرأى منهم كقوله عم لا تتراءى ناراهما اى لا تتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى
من الاخرى على المجاز والتأنيث لانّه بمعنى النار او جهنّم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ هو اقصى ما يمكن ان تُرى
منه سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا صوت تغيّظ شبّه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يُسْمَع من
جوفه هذا وانّ الحيوة لمّا لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق اللّه فيها حيوة فترى
وتتغيّظ وتزفر وقيل انّ ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف (١٤) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا فى
مكان ومنها بيانٌ تقدّم فصار حالا ضَيِّقًا لزيادة العذاب فانّ الكرب مع الضيق والرَّوح مع السعة
ولذلك وصف اللّه الجنّة بانّ عرضها كعرض السموات والارض مُقَرَّنِينَ قُرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل
دَعَوْا هُنَالِكَ فى ذلك المكان ثُبُورًا هلاكا اى يتمنّون الهلاك وينادونه فيقولون تعالَ يا ثبوراه فهذا
حينُك (١٥) لَا تَدْعُوا ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا اى يقال لهم ذلك وَٱدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا لانّ عذابكم انواع كثيرة
كلّ نوع منها ثبور لشدّته او لانّه يتجدّد لقوله تعالى كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها
ليذوقوا العذاب او لانّه لا ينقطع فهو فى كلّ وقت ثبور (١٦) قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ
ٱلْمُتَّقُونَ الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكّم او الى الكنز والجنّة ،
والراجع الى الموصول محذوف ، واضافة الجنّة الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها او التمييز عن
جنّات الدنيا كَانَتْ لَهُمْ فى علم اللّه او اللوح ولانّ ما وعده اللّه فى تحقّقه كالواقع جَزَآءً على
اعمالهم بالوعد وَمَصِيرًا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم أن يتفضّل بها على غيرهم برضاهم مع
جواز أن يراد بالمتّقين من يتّقى الكفر والتكذيب لانّهم فى مقابلتهم (١٧) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ما يشاءونه
من النعيم ولعلّه تقصر هِمَمُ كلّ طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر انّ الناقص لا يُدْرِك شأوَ الكامل
بالتشهّى وفيه تنبيه على انّ كلّ المرادات لا تحصل الّا فى الجنّة خَالِدِينَ حال من احد ضمائرهم
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا الضمير فى كان لما يشاءون والوعد الموعود اى كان ذلك موعودا حقيقا بأن
يُسْأَل ويُطْلَب او مسئولا سأله الناس فى دعائهم ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربّنا
وأدخلهم جنّات عدن الّتى وعدتهم ، وما فى عَلَى من معنى الوجوب لامتناع الخُلْف فى وعده ولا يلزم منه
الالجاء الى الانجاز فانّ تعلّق الارادة بالموعود مقدّم على الوعد الموجب للانجاز (١٨) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ يعمّ كلّ
معبود سواه واستعمالُ مَا امّا لانّ وضعه اعمّ ولذلك يطلق لكلّ شبَحٍ يُرى ولا يُعْرَف او لانّه اريد به

جزء ۱۸ ركوع ۱۷ الوصف كانّه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عُبّادها او يخصّ الملائكة وعزيرا والمسيح لقرينة السؤال والجواب او الاصنام يُنْطقها اللّٰه او تتكلّم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدى والارجل فَيَقُولُ اى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هٰؤُلَاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعَبَدة وأصله اضللتم ام ضلّوا فغيّر النظم ليَلِىَ حرفَ الاستفهام المقصودَ بالسؤال وهو المتولّى للفعل دونه لانّه لا شبهة فيه والّا لما توجّه العتاب ، وحذف صلة ضلّ للمبالغة (۱۹) قَالُوا سُبْحَانَكَ تعجّبا ممّا قيل لهم لانّهم امّا ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شىء او اشعارا بانّهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها للّٰه عن الأنداد مَا كَانَ يَنْبَغِى لَنَا يصحّ لنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصحّ لنا ان ندعو غيرنا ان يتولّى احدا دونك وقرئ نُتَّخَذَ على البناء للمفعول من اتّخذ الّذى له مفعولان كقوله واتّخذ اللّٰه ابرٰهيم خليلا ومفعوله الثانى من اولياء ومِنْ للتبعيض وعلى الاوّل مزيدة لتأكيد النفى وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ بانواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات حَتَّى نَسُوا ٱلذِّكْرَ حتّى غفلوا عن ذكرك او التذكّر لآلائك والتدبّر فى آياتك ، وهو نسبةٌ للضلال اليهم من حيث انّه بكسبهم واسنادٌ له الى ما فعل اللّٰه بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجّةً علينا للمعتزلة وَكَانُوا فى قضائك قَوْمًا بُورًا هالكين مصدرٌ وُصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع او جمعُ بائر كعائذ وعُوذ (۲۰) فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ التفات الى العَبَدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذّبكم المعبودون بِمَا تَقُولُونَ فى قولكم انّهم آلهةٌ او هؤلاء اضلّونا والباء بمعنى فى او مع المجرور بدل من الضمير ، وعن ابن كثير بالياء اى كذّبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا فَمَا يَسْتَطِيعُونَ اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صَرْفًا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انّه ليتصرّف اى يحتال وَلَا نَصْرًا يعينكم عليه (۲۱) وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ ايّها المكلّفون نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا هى النار والشرط وان عمّ كلّ من كفر وفسق لكنّه فى اقتضاء الجزاء مقيّد بعدم المُزاحِم وِفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا (۲۲) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ اى الّا رسلا انّهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأُقيمت الصفة مقامه كقوله تعالى وما منّا الّا له مقامٌ معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ، وقرئ يُمَشَّوْنَ اى تمشّيهم حوائجهم او الناس وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ ايّها الناس لِبَعْضٍ فِتْنَةً ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسَلين بالمرسَل اليهم ومناصبتهم لهم العداوةَ وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول اللّٰه صلعم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر

أَتَصْبِرُونَ علّةٌ للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيّكم يصبر ونظيرُه قوله تعالى ليبلوكم جزء ۱۸
أيّكم احسنُ عملا او حثٌّ على الصبر على ما افتتنوا به وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا بمن يصبر او بالصواب فيما ركوع ۱۷
يبتلى به وغيرِه (۲۳) وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لا يأملون لِقَآءَنَا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون جزء ۱۹
لقاءنا بالشرّ على لغة تهامة وأصلُ اللقاء الوصول الى الشىء ومنه الرؤية فانّه وصول الى المرئىّ والمرادُ به ركوع ۱
الوصول الى جرائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاوّل لَوْلَا هلّا أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ فتخبرنا بصدق محمّد وقيل فيكونوا رسلا الينا أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا فيأمرنا بتصديقه واتّباعه لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ فى شأنها حتّى ارادوا لها ما يتّفق لأفراد من الانبياء الّذين هم اكملُ خلق اللّه فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك وَعَتَوْ وتجاوزوا الحدّ فى الظلم عُتُوًّا كَبِيرًا بالغا أقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سُدّت دونه مطامح النفوس القدسيّة ، واللامُ جواب قسم محذوف وفى الاستيناف بالجملة حُسْنٌ واشعارٌ بالتعجّب من استكبارهم وعتوّهم كقوله

وجارةُ جَسّاسٍ أَبَأْنا بنابها كُلَيْبا غَلَتْ نابٌ كليبٌ بَواؤُها

(۲۴) يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ملائكة الموت او العذاب ، ويوم نصب باذكرْ او بما دلّ عليه لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ فانّه بمعنى يُمْنَعون البشرى او يُعْدَمونها ويومئذ تكريرٌ او خبرٌ وللمجرمين تبيينٌ او خبر ثانٍ او ظرف لما يتعلّق به اللام او لبشرى إنْ قُدّرتْ منوّنةً غيرَ مبنيّة مع لا فانّها لا تعمل ، وللمجرمين امّا عامّ يتناول حكمُه حكمَهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى لعامّة المجرمين حينئذ نفيُ البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر وامّا خاصّ وُضع موضعَ ضميرهم تسجيلا على جُرْمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا عطف على المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذةً وطلبا من اللّه ان يمنع لقاءهم وهى ممّا كانوا يقولون عند لقاء عدوّ او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرّما عليكم الجنّة او البشرى وقرئ حُجْرًا بالضمّ وأصله الفتح غيرَ انّه لمّا اختصّ بموضع مخصوص غُيّر كقِعْدَك وعَمْرَك ولذلك لا يُتصرّف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفُه بمحجورا للتأكيد كقولهم موتٌ مائتٌ (۲۵) وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا اى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقِرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ما هو شَرْطُ اعتباره وهو تشبيهُ حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا على سلطانهم فعمد الى اشيائهم فمزّقها وأبطلها ولم يُبْقِ لها اثرا ، والهباء غبار يُرى فى شعاع يطلع من الكوّة من الهَبْوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبّه عملهم المحبط بالهباء فى حقارته وعدم نفعه ثمّ بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يُمْكن نظمُه او تفرّقه نحو اغراضهم الّتى كانوا يتوجّهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انّه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قِرَدة خاسئين (۲۶) أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا مكانا يُسْتقرّ فيه فى اكثر الاوقات للتجالس والتحادث وَأَحْسَنُ مَقِيلًا مكانا يُؤْوَى اليه للاسترواح بالازواج والتمتّع بهنّ تجوّزا له

جزء ١٩ ركوع ١ من مكان القيلولة على التشبيه او لانّه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنّة وفي احسن رمزٌ الى ما يتميّز به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارةً الى انّ مكانهم وزمانهم اطيب ما يُتخيّل من الامكنة والازمنة والتفضيلُ امّا لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترَفين في الدنيا وروى انّه يُفْرَغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنّة في الجنّة واهل النار في النار (٢٧) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ اصله تتشقّق فحذفت التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بِٱلْغَمَامِ بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الّا ان يأتيهم اللّه في ظلل من الغمام والملائكة وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وَنُنْزِلُ وقرئ وَنَزَلَتْ وَأُنْزِلَ وَنَزَلَ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بحذف نون الكلمة (٢٨) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ الثابت له لانّ كلّ ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الّا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحقّ لانّه متأخّر او صفته والخبر يومئذ او للرحمن وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا شديدا (٢٩) وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ من فرط الحسرة وعضّ اليدين وأكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانّها من روادفهما ، والمرادُ بالظالم الجنس وقيل عُقْبة بن ابى مُعَيْط كان يُكْثِر مجالسةَ النبيّ صلعم فدعاه الى ضيافته فأبى ان يأكل من طعامه حتّى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أُبَيّ بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأتَ فقال لا ولكن آلى ان يأكل من طعامى وهو في بيتى فاستحييتُ منه فشهدتُ له فقال لا أَرْضَى منك الّا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار النَّدْوة ففعل ذلك فقال عم لا أَلْقاك خارجا من مكّة الّا علوتُ رأسك بالسيف فأُسر يومَ بدر فأمر عليّا فقتله وطعن ابيّا بأُحُد في المبارزة فرجع الى مكّة ومات يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحقّ ولم يتشعّب به طُرُق الضلالة (٣٠) يَٰوَيْلَتَىٰ وقرئ بالياء على الاصل لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا يعنى من اضلّه وفُلانٌ كناية عن الأعلام كما انّ هَنًا كناية عن الأجناس (٣١) لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ عن ذكر اللّه او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وتمكّنتُ منه وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يعنى الخليل المضلّ او ابليس لانّه حمله على مخالّته ومخالفة الرسول او كلّ من تشيطن من جنّ وانس لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا يواليه حتّى يؤدّيه الى الهلاك ثمّ يتركه ولا ينفعه فَعُولٌ من الخذلان (٣٢) وَقَالَ ٱلرَّسُولُ محمّد يومئذ او في الدنيا بثّا الى اللّه يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى قريشا ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا بأن تركوه وصدّوا عنه وعنه عم من تعلّم القران وعلّق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يومَ القيامة متعلّقا به يقول يا ربّ عبدك هذا اتّخذنى مهجورا اقْضِ بينى وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انّه هُجْر واساطير الاوّلين فيكون اصلها مهجورا فيه فحذف الجارّ ويجوز ان يكون بمعنى الهُجْر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه فانّ الانبياء اذا شكوا الى اللّه قومهم عجّل لهم العذاب (٣٣) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا

لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انّه خالق الشرّ والعدوّ جزء ١٩ يحتمل الواحد والجمع وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا الى طريق قهرهم وَنَصِيرًا لك عليهم (٣٤) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ركوع ١ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ اى أُنزل عليه كخبّر بمعنى اخبر لئلّا يناقض قوله جُمْلَةً وَاحِدَةً دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لانّ الاعجاز لا يختلف بنزوله جملةً او مفرّقا مع انّ للتفريق فوائدَ منها ما اشار اليه بقوله كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ اى كذلك انزلناه مفرّقا لنقوّى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لانّ حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان امّيّا وكانوا يكتبون فلو أُلقى عليه جملةً لَعَيِى بحفظه ولعلّه لم يستتبّ له فانّ التلقّف لا يتأتّى الّا شيأ فشيأ ولانّ نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانّه اذا نُزّل منجّما وهو يتحدّى بكلّ نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوّة قلبه ولانّه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحاليّة الى الدلالات اللفظيّة فانّه يُعين على البلاغة ، وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرّقا فانّه مدلول عليه بقوله لولا نزّل عليه القران جملة واحدة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وُقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللامُ على الوجهين متعلّق بمحذوف وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وقرأناه عليك شيأ بعد شيء على تُؤدة وتمهّل فى عشرين سنة او ثلاث وعشرين وأصلُ الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها (٣٥) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ سؤال عجيب كانّه مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوّتك إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ الدامغ له فى جوابه وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلّا كانت هذه حالَه الّا اعطيناك من الاحوال ما يحقّ لك فى حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بُعثتَ له (٣٦) ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ اى مقلوبين او مسحوبين عليها او متعلّقةً قلوبهم بالسُفليّات متوجّهةً وجوهُهم اليها وعنه عم يُحشَر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على الدوابّ وصنف على الأقدام وصنف على الوجوه وهو ذمّ منصوب او مرفوع او مبتدأٌ خبره أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا والمفضّل عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبّئكم بشرّ من ذلك مثوبةً عند اللّه مَنْ لعنه اللّه وغضب عليه كانّه قيل انّ حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انّهم شرّ مكانا واضلّ سبيلا وقيل انّه متّصل بقوله اصحاب الجنّة يومئذ خير مستقرّا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازيّ للمبالغة (٣٧) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَجَعَلْنَا ركوع ٣ مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا يوازره فى الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافى ذلك مشاركته فى النبوّة لانّ المتشاركين فى الامر متوازرون عليه (٣٨) فَقُلْنَا ٱذْهَبَا إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا يعنى فرعون وقومه بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا فذهبا اليهم فكذّبوهما فدمّرناهم فاقتصر على حاشيتَى القصّة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزامُ الحجّة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيبُ باعتبار الحكم لا الوقوع ، وقرئ

جزء ١٩ ركوع ٢ فَدَمَّرْنَاهُمْ فَدَمَّرَاهُمْ فَدَمِّرَانِّهِمْ على التأكيد بالنون الثقيلة (٣٩) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ كذّبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكلّ او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة أَغْرَقْنَاهُمْ بالطوفان وَجَعَلْنَاهُمْ وجعلنا اغراقهم او قصّتهم لِلنَّاسِ آيَةً عبرة وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع الضمير تظليما لهم (٤٠) وَعَادًا وَثَمُودَا عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لانّ المعنى ووعدنا الظالمين ، وقرأ حمزة وحفص وَثَمُودَ على تأويل القبيلة وَأَصْحَابَ الرَّسِّ قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث اللّه اليهم شعيبا فكذّبوه فبينما هم حول الرسّ وهى البئر الغير المطويّة فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرسّ قرية بفَلْج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبُعث اليهم نبىّ فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجّار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبىّ ابتلاهم اللّه بطير عظيم كان فيها من كلّ لون وسمّوها عَنْقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الّذى يقال له فتخ او دمخ وتنقضّ على صبيانهم فتخطفهم اذا أعْوزها الصيدُ ولذلك سمّيت مُغْرِبا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثمّ انهم قتلوه فأُهْلكوا وقيل هم قوم كذّبوا نبيّهم ورسّوه اى دسّوه فى بئر وَقُرُونًا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بَيْنَ ذَٰلِكَ اشارة الى ما ذكر كَثِيرًا لا يعلمها الّا اللّه (٤١) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ بيّنّا له القصص العجيبة من قصص الأوّلين انذارا واعذارا فلمّا اصرّوا أُهْلكوا كما قال وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا فتّتناه تفتيتا ومنه التِبْر لفتات الذهب والفضّة ، وكلًّا الاوّل منصوب بما دلّ عليه ضربنا كانذرنا والثانى بتبّرنا لانّه فارغ (٤٢) وَلَقَدْ أَتَوْا يعنى قريشا مرّوا مرارًا فى متاجرهم الى الشأم عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ يعنى سَدُوم عُظْمَى قُرَى قوم لوط أُمْطرت عليها الحجارة أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا فى مرار مرورهم فيتّعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب اللّه بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا بل كانوا كفرة لا يتوقّعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتّعظوا فمرّوا بها كما مرّت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب او لا يخافونه على اللغة التهامية (٤٣) وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ما يتّخذونك الّا موضع هزء او مهزوءا به أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا محكىّ بعد قول مُضْمَر والاشارةُ للاستحقار واخراجُ بعث اللّه رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكّم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الّذى زعم انّه بعثه اللّه رسولا (٤٤) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يوردها ممّا يسبق الى الذهن انّها حجج ومعجزات لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى مثله يقيّد الحكم المُطْلَق من حيث المعنى دون اللفظ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلّنا فانّه يفيد نفى ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انّه لا يُهْملهم وان امهلهم (٤٥) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ بأن اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجّة ولا يتبصّر دليلا

وانّما قدّم المفعول الثانى للعناية به أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصى وحالُه جزء ١٩
هذا فالاستفهام الاوّل للتقرير والتعجيب والثانى للانكار (٤٤) أَمْ تَحْسَبُ بل اتحسب أَنَّ أَكْثَرَهُمْ ركوع ٢
يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ فتجدى لهم الآيات او الحجج فتهتمّ بشأنهم وتطمع فى ايمانهم وهو اشدّ مذمّة ممّا
قبله حتّى حُقّ بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانّه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحقّ
وكابر استكبارا وخوفا على الرئاسة إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم
تدبّرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا من الانعام لانّها تنقاد لمن يتعهّدها
وتميّز من يحسن اليها ممّن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنّب ما يضرّها وهؤلاء لا ينقادون لربّهم
ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الّذى هو اعظم المنافع ولا يتّقون العقاب
الّذى هو اشدّ المضارّ ولانّها ان لم تعتقد حقّا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرّا
بخلاف هؤلاء ولانّ جهالتها لا تضرّ بأحد وجهالة هؤلاء تؤدّى الى هيج الفتن وصدّ الناس عن الحقّ
ولانّها غير متمكّنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذمّ وهؤلاء مقصّرون ومستحقّون اعظم العقاب
على تقصيرهم (٤٥) أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ الم تنظر الى صُنعه كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ كيف بسطه او الم تنظر الى الظلّ ركوع ٣
كيف مدّه ربّك فغيّر النظم اشعارا بانّ المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالةُ حدوثه وتصرّفه
على الوجه النافع باسباب ممكنة على انّ ذلك فعلُ الصانع الحكيم كالمشاهَد المرئىّ فكيف بالمحسوس منه
او الم ينته علمك الى انّ ربّك كيف مدّ الظلّ وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال
فانّ الظلمة الخالصة تنفّر الطبع وتسدّ النظر وشعاع الشمس يسخّن الجوّ ويبهر البصر ولذلك وصف به
الجنّة فقال وظلّ ممدود وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثابتا من السُكنى او غير متقلّص من السُكون بأن
يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا فانّه لا يظهر للحسّ حتّى تطلع
فيقع ضوءها على بعض الأجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الّا بسبب حركتها (٤٦) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا اى
ازلناه بايقاع الشمس موقعه لمّا عبّر عن احداثه بالمدّ بمعنى التسيير عبّر عن ازالته بالقبض الى نفسه
الّذى هو فى معنى الكفّ قَبْضًا يَسِيرًا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون
ويتحصّل به ما لا يُحصى من منافع الخلق وثُمّ فى الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادئ اوقات
ظهورها وقيل مدّ الظلّ لمّا بنى السماء بلا نيّر ودحا الارض تحتها فألقت عليها ظلّها ولو شاء لجعله
ثابتا على تلك الحالة ثمّ خلق الشمس عليه دليلا اى مسلّطا عليه مستتبعا ايّاه كما يستتبع الدليلُ
المدلولَ او دليلُ الطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحوّل بتحوّلها ثمّ قبضناه الينا قبضا يسيرا
شيئا فشيئا الى ان ينتهى غايةَ نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المُظلّة
والمُظلّ عليها (٤٧) وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا شبّه ظلامه باللباس فى ستره وَالنَّوْمَ سُبَاتًا راحة
للأبدان بقطع المشاغل وأصلُ السبت القطع او موتا كقوله وهو الّذى يتوفّاكم بالليل لانّه قطع الحيوة

جزء ١٩ ومنه المسبوت للميّت وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بَعْث من
ركوع ٣ النوم بَعْثَ الاموات فيكون اشارة الى انّ النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عم يا بُنَىّ
كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (٥٠) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ قرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نُشُرًا ناشرات للسحاب جمع نَشُور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على انّه مصدر وُصف به وعاصم بُشْرًا تخفيف بُشُر جمع بَشُور بمعنى مبشّر بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ يعنى قدّام المطر وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا مطهّرا لقوله ليطهّركم به وهو اسم لما يُتطهّر به كالوَضوء والوَقود لما يُتوضّأ به ويُوقد به قال عم التراب طَهور المؤمن طَهورُ اناء احدكم اذا ولغ الكلبُ فيه أنْ يُغْسَل سَبْعا احداهنّ بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفَعُولٌ وإنْ غلب فى المعنيين لكنّه قد جاء للمفعول كالضَّبُوث وللمصدر كالقَبُول وللاسم كالذَّنُوب وتوصيف الماء به اشعارٌ بالنعمة فيه وتتميم للمنّة فيما بعده فانّ الماء الطهور اهنأ وانفع ممّا خالطه ما يزيل طَهوريّته وتنبيهٌ على انّ ظواهرهم لمّا كانت ممّا ينبغى ان يطهّروها فبواطنهم بذلك اولى (٥١) لِنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا بالنبات وتذكير ميتا لانّ البلدة فى معنى البلد ولانّه غير جارٍ على الفعل كسائر ابنية المبالغة فأُجْرى مجرى الجامد وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَامًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا يعنى اهل البوادى الّذين يعيشون بالحيا ولذلك نكّر الانعام والاناسىّ وتخصيصهم لانّ اهل المُدُن والقُرى يقيمون بقُرْب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الأنعام غُنْيةٌ عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يُعْوِزها الشرب غالبا مع انّ مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والأنعامُ قنية الانسان وعامّةُ منافعهم وعلّية معايشهم منوطة بها ولذلك قدّم سقيها على سقيهم كما قدّم عليه احياء الارض فانّه سبب لحياتها وتعيّشها ، وقرئ نَسْقِيَهُ وسَقَى وأَسْقَى لغتان وقيل اسقاه جعل له سُقْيا وأَنَاسِىَ بحذف ياء وهو جمع إِنْسىّ او انسان كظَرَابىّ فى ظَرِبان على انّ اصله أَنَاسِينُ فقلبت النون ياء (٥٢) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ صرّفنا هذا القول بين الناس فى القران وسائر الكتب او المطرَ بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطلّ وغيرهما وعن ابن عبّاس رضه ما عامٌ امطرُ من عام ولكنّ اللّه قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية او فى الانهار والمنابع لِيَذَّكَّرُوا ليتفكّروا ويعرفوا كمال القدرة وحقّ النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا الّا كفرانَ النعمة وقلّة الاكتراث لها او جحودَها بأن يقولوا مُطرنا بنَوْء كذا ومن لا يرى الأمطار الّا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انّها من خلق اللّه والانواء وسائط وأمارات بجعله تعالى (٥٣) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا نبيّا يُنْذر اهلها فيخفّ عليك اعباء النبوّة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابلْ ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحقّ (٥٤) فَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وَجَاهِدْهُم بِهِۦ بالقران

او بنزك طاعتهم الّذى يدلّ عليه فَلَا تُطِعِ والمعنى انّهم يجتهدون فى ابطال حقّك فقابلْهم بالاجتهاد فى جزء ١٩
مخالفتهم وازاحة باطلهم جِهَادًا كَبِيرًا لانّ مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف ركوع ٣
او لانّ مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوّهم وظهورهم او لانّه جهاد مع كلّ الكفرة لانّه مبعوث الى كافّة القُرَى (٥٥) وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ خلّاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مَرَجَ دابّته اذا خلّاها هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ قامع للعطش من فرط عذوبته وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ بليغ الملوحة وقرئ مَلِحٌ على فَعِل ولعلّ اصله مالح فخفّف كبَرِد فى بَارِد وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا حاجزا من قُدْرته وَحِجْرًا مَّحْجُورًا وتنافرا بليغا كانّ كلّا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوّذ عنه وقيل حدًّا محدودا وذلك كدجْلة تدخل البحر فتشقّه فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغيّر طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهرُ العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحرُ الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع انّ مقتضى طبيعة اجزاء كلّ عنصر أن تضامّت وتلاصقت وتشابهت فى الكيفيّة (٥٦) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا يعنى الّذى خمّر به طينة آدم او جعله جزءا من مادّة البشر لتجتمع وتسلّس وتقبّل الاشكال والهيآت بسهولة او النطفة فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا اى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا يُنْسَب اليهم وذوات صِهْر اى اناثا يصاهر بهنّ كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا حيث خلق من مادّة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربّما يخلق من نطفة واحدة توءمَيْن ذكرا وانثى (٥٧) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ يعنى الاصنام او كلّ ما عُبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقلّ بالنفع والضرّ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمرادُ بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هيّنا مَهينا لا وَقْعَ له عنده من قولهم ظَهَرْت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلّمهم الله ولا ينظر اليهم (٥٨) وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا للمؤمنين والكافرين (٥٩) قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ على تبليغ الرسالة الّذى يدلّ عليه الا مبشّرا ونذيرا مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ الا فعلَ من شاء أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ان يتقرّب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصوّر ذلك بصورة الاجر من حيث انّه مقصودُ فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتدّ بانفاعك نفسك بالتعرّض للثواب والتخلّص عن العقاب اجرا وافيا مرضيّا به مقصورا عليه واشعارا بانّ طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انّها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من يشاء ان يتّخذ الى ربّه سبيلا فليفعلْ (٦٠) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانّه الحقيق بأن يُتوكّل عليه دون الاحياء الّذين يموتون فانّهم اذا ماتوا ضاع من توكّل عليهم وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ونزّهه عن صفات النقصان مُثْنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغ

جزء ١٩ ركوع ٣ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ ما ظهر منها وما بطن خَبِيرًا مطّلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ قد سبق الكلام فيه ولعلّ ذكره زيادةُ تقرير لكونه حقيقا بأن يُتوكّل عليه من حيث انّه الخالق للكلّ والمتصرّف فيه وتحريضٌ على الثبات والتأنّي في الامر فانّه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كلّ مراد خلق الاشياء على تُؤدة وتدرّج ، والرحمن خبر للّذي ان جعلته مبتدأ ولمحذوف ان جعلته صفة للحيّ او بدل من المستكنّ في استوى وقرئ بالجرّ صفةً للحيّ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا فاسأل عمّا ذُكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو اللّه تعالى او جبريل او من وجده في الكتب المتقدّمة ليصدّقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى إن انكروا إطلاقه على اللّه فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده ، والسؤال كما يعدّى بعَنْ لتضمّنه معنى التفتيش يعدّى بالباء لتضمّنه معنى الاعتناء وقيل انّه صلة خبيرا (٦١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ لانّهم ما كانوا يطلقونه على اللّه او لانّهم ظنّوا انّه اراد به غيره ولذلك قالوا أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا اى للّذى تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده او لأمرك لنا من غير عرفان وقيل لانّه كان معرّبا لم يسمعوه ، وقرئ يَأْمُرُنَا بالياء على انّه قول بعضهم لبعض وَزَادَهُمْ اى الامر بالسجود للرحمن نُفُورًا

ركوع ٤ عن الايمان (٦٢) تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا يعني البروج الاثنى عشر سمّيت به وهي القصور العالية لانّها للكواكب السيّارة كالمنازل لسكّانها واشتقاقه من التبرّج لظهوره وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائيّ سُرُجًا وهي الشمس والكواكب الكبار وَقَمَرًا مُنِيرًا مضيئا بالليل وقرئ وقُمْرًا اى ذا قُمْر وهو جمع قَمْراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرُشْد والرَشَد والعُرْب والعَرَب (٦٣) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً اى ذَوَىْ خِلفة يخلف كلّ منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي ان يُعْمَل فيه او بأن يَعْتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خَلَفَ كالرِكْبة والجِلْسة لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ بأن يتذكّر آلاء اللّه ويتفكّر في صُنْعه فيعلم ان لا بدّ له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ان يشكر اللّه على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكّرين والشاكرين من فاته وِرْده في احدهما تداركه في الآخر ، وقرأ حمزة أَن يَذْكُرَ من ذكر بمعنى تذكّر وكذلك لِيَذْكُرُوا ووافقه الكسائيّ فيه (٦٤) وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ مبتدأ خبره اولئك يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانّهم الراسخون في عبادته على انّ عباد جمع عابد كتاجر وتجار هَوْنًا هيّنين او مشيا هيّنا مصدرٌ وُصف به والمعنى انّهم يمشون بسكينة وتواضع وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَٰمًا تسلّما منكم ومتاركةً لكم لا خير بيننا ولا شرّ او سدادا من القول يَسْلَمون فيه من الايذاء والاثم ولا

جزء ١٩ ركوع ٤

تنافيه آية القتال لتنسخه فانّ المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام (٦٥) وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا في الصلوة وتخصيص البيتوتة لانّ العبادة بالليل احمز وابعد من الرئاء وتأخير القيام للروىّ وهو جمع قائم او مصدر أُجْرِى مجراه (٦٦) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانّهم مع حُسْن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحقّ وَجِلون من العذاب مبتهلون الى اللّه في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا اى بئست مستقرّا وفيها ضميرٌ مُبْهَمٌ يفسّره المميّز والمخصوص بالذمّ ضميرٌ محذوف به ترتبط الجملة باسم انّ او أَحْزَنَتْ وفيها ضميرُ اسم انّ ومستقرّا حالٌ او تمييزٌ والجملة تعليل للعلّة الاولى او تعليل ثانٍ وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من اللّه (٦٧) وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا لم يجاوزوا حدّ الكرم وَلَمْ يَقْتُرُوا ولم يضيّقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر والكوفيّون بضمّ الياء وكسر التاء من اقتر وقرئ بالتشديد والكلّ واحد وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا وَسطا عَدْلا سُمّى به لاستقامة الطرفين كما سمّى سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يَفْضل عنها ولا يَنْقص وهو خبرٌ ثانٍ او حالٌ مؤكّدة ويجوز ان يكون الخبرَ وبين ذلك لَغْوا وقيل انّه اسمُ كان لكنّه مبنىّ لاضافته الى غير متمكّن وهو ضعيف لانّه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه (٦٨) وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ اى حرّمها بمعنى حرّم قتلها إِلَّا بِٱلْحَقِّ متعلّق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون وَلَا يَزْنُونَ نفى عنهم امّهات المعاصى بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بانّ الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة بأضداده ولذلك عقّبه بالوعيد تهديدا لهم فقال وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ أَيَّامًا اى شدائد يقال يومٌ ذو أيّام اى صعب (٦٩) يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بدل من يلق لانّه في معناه كقوله • متى تأتنا تُلْمِمْ بنا في ديارنا • تجدْ حطبا جزلا ونارا تأجّجا • وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا وابن كثير ويعقوب يُضَعَّفْ بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرئ وَيُخْلَدْ على بناء المفعول مخفّفا وقرئ مثقّلا وتضعيف العذاب مضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدلّ عليه قوله (٧٠) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويُثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدّل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بأن يوفّقه لاضداد ما سلف منه او بأن يثبت له بدل كلّ عقاب ثوابا وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا فلذلك يعفو عن السيّآت ويُثيب على الحسنات (٧١) وَمَن تَابَ عن المعاصى بتركها والندم

جزء ١٩ عليها وَعَمِلَ صَالِحًا بتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعة فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ يرجع الى
ركوع ٣ الله بذلك مَتَابًا مرضيّا عند الله ماحيا للعقاب محصّلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذى يحبّ
التائبين ويصطنع بهم او فانّه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا ، وهو تعميم بعد تخصيص
(٧٢) وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فانّ مشاهدة
الباطل شركة فيه وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ ما يجب ان يُلغى ويُطّرح مَرُّوا كِرَامًا مُعرِضين عنه مُكرِمين انفسهم
عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عمّا
يُستهجن التصريح به (٧٣) وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ بالوعظ او القراءة لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا
لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصّرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يُبصر بل اكبّوا عليها سامعين
بآذانٍ واعية مبصرين بعيونٍ راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لا يلقانى زيدٌ مسلّما
وقيل الهاء للمعاصى المدلول عليها باللغو (٧٤) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فانّ المؤمن اذا شاركه اهله فى طاعة الله سُرّ بهم قلبه وقرّت بهم
عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقّع لحوقهم به فى الجنّة ، ومن ابتدائيّة او بيانيّة كقولك
رأيتُ منك أسدا ، وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر وَذُرِّيَّتِنَا وقرأ ابن عامر والحرميّان وحفص
وَذُرِّيَّاتِنَا بالالف ، وتنكير الاعين لارادة تنكير القرّة تعظيما وتقليلها لانّ المراد اعين المتّقين وهى قليلة
بالاضافة الى عيون غيرهم وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا يقتدون بنا فى امر الدين باضافة العلم والتوفيق
للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللَّبْس كقوله ثمّ يُخرجكم طفلا او لانّه مصدر فى اصله او
لانّ المراد واجعلْ كلّ واحد منّا او لانّهم كنفس واحدة لاتّحاد طريقتهم واتّفاق كلمتهم وقيل جمعُ
آمّ كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم (٧٥) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ اعلى مواضع الجنّة وهى
اسم جنس أُريد به الجمع لقوله وهم فى الغرفات آمنون وللقراءة بها وقيل هى من اسماء الجنّة بِمَا صَبَرُوا
بصبرهم على المشاقّ من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمّل المجاهدات وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا
دعاء بالتعمير والسلامة اى يحيّيهم الملائكة ويسلّمون عليهم او يحيّى بعضهم بعضا ويسلّم عليه او
تبقية دائمة وسلامة من كلّ آفة ، وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر يَلْقَوْنَ من لقى (٧٦) خَالِدِينَ فِيهَا لا يموتون
ولا يخرجون حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا مقابل ساءت مستقرّا معنى ومثله اعرابا (٧٧) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى
ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيّأته او لا يعتدّ بكم لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ لولا عبادتكم فانّ شرف
الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والّا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا
دعاؤكم معه آلهة وما ان جُعلت استفهاميّة فمحلّها النصب على المصدر كانّه قيل اىّ عبء يعبؤ بكم
فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصّرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال

اذا لم يبالغ فيه وقرئ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلْكَافِرُونَ اى الكافرون منكم لانّ توجّه الخطاب الى الناس عامّةً بما وُجِد فى جنسهم من العبادة والتكذيب فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتّى يكبّكم فى النار وانّما أُضْمِر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انّه ممّا لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانّه لُوزم بين القتلى لزاما ، وقرئ لَزَامًا بالفتح بمعنى اللزوم كالثَّبات والثُّبوت ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الفرقان لقى اللّه وهو مؤمن بانّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأُدْخِل الجنّة بغير نَصَب • جزء ١٩ ركوع ٢

سُورَةُ ٱلشُّعَرَاءِ

مكّيّة الّا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخره وآيها مائتان وثمان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) طٰسٓمٓ قرأ حمزة والكسائىّ وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها وأظهر نونه حمزة لانّه فى الاصل منفصل ممّا بعده تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ الظاهر اعجازه وصحّته ، والاشارة الى السورة او القران على ما مرّ فى اوّل البقرة (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ قاتل نفسك وأصل البخع ان يُبلغ بالذبح البِخاعُ وهو عِرْقٌ مستبطِن القفار وذلك اقصى حدّ الذبح وقرئ بَاخِعُ نَفْسِكَ بالاضافة ، ولَعَلَّ للاشفاق اى اشفقْ على نفسك ان تقتلها حَسْرةً أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ لئلّا يؤمنوا او خيفةَ أنْ لا يؤمنوا (٣) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ آيَةً دلالةً مُلْجِئةً الى الايمان او بليّةً قاسرةً عليه فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ منقادين وأصله فظلّوا لها خاضعين فأُقْحِمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وتُرِك الخبر على اصله وقيل لمّا وُصِفت الأعناق بصفات العقلاء أُجْرِيت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عُنُقٌ من الناس لفوج منهم وقرئ خَاضِعَةً ، فظلّت عطف على ننزّل عَطْفَ وَأَكُنْ على فَأَصَّدَّقَ لانّه لو قيل أَنْزَلْنا بدله لصحّ (٤) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ موعظة او طائفة من القران مِنَ ٱلرَّحْمٰنِ بوحيه الى نبيّه مُحْدَثٍ مجدّد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ الّا جدّدوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا اى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا فى تكذيبه بحيث ادّى بهم الى الاستهزاء به المخبَر به عنهم ضمنا فى قوله فَسَيَأْتِيهِمْ اى اذا مسّهم عذاب اللّه يوم بدر او يوم القيامة أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ من انّه كان حقّا ام باطلا وكان حقيقا بأن يصدَّق ويعظَّم قدره او يكذَّب فيُستخفّ امره (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ اولم ينظروا الى عجائبها كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ صنف كَرِيمٍ محمود كثير المنفعة وهو صفة لكلّ ما يُحْمَد ويُرْضَى وههنا ركوع ٥

جزء ۱۹ يحتمل ان تكون مقيّدة لما يتضمّن الدلالةَ على القدرة وأن تكون منبّهة على انّه ما مِنْ نبت الّا وله
ركوع ۵ فائدةٌ امّا وحده او مع غيره وكلّ لاحاطة الأزواج وكَمْ لكثرتها (۷) إنَّ فِي ذٰلِكَ انّ فى انبات تلك
الأصناف او فى كلّ واحد لَآيَةً على انّ مُنْبتها تامّ القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ فى علم اللّه وقضائه فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام (۸) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ الغالب
القادر على الانتقام من الكفرة ٱلرَّحِيمُ حيث امهلهم او العزيز فى انتقامه ممّن كفر الرحيم لمن تاب وآمن
ركوع ۶ (۹) وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى مقدّر باذكرْ او ظرف لما بعده أَنِ ٱئْتِ اى ائتِ او بأن ائتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ
بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم (۱۰) قَوْمَ فِرْعَوْنَ بدل من الاوّل او عطف بيان له ولعلّ
الاقتصار على القوم للعلم بانّ فرعون كان اولى بذلك أَلَا يَتَّقُونَ استيناف اتبعه ارسالَه اليهم للانذار
تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم
وهم وان كانوا غُيّبا حينئذ أُجْرُوا مجرى الحاضرين فى كلام المرسَل اليهم من حيث انّه مبلّغه اليهم
وإسماعه مبدأ إسماعهم مع ما فيه من مزيد الحثّ على التقوى لمن تدبّره وتأمّل مَوْرِدَه وقرئ بكسر
النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى ألا يا ناس ٱتقونِ كقوله ألا يا ٱسجدوا

(۱۱) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (۱۲) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَٰرُونَ رتّب
استدعاء ضمّ اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا
عنه وازدياد الحُبْسة فى اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانّها اذا
اجتمعت مَسّت الحاجةُ الى مُعينٍ يقوّى قلبَه وينوب منابَه متى تعتريه حُبْسة حتّى لا تختلّ دَعْوتُه ولا
تنبتر حُجّتُه وليس ذلك تعلّلا منه وتوقّفا فى تلقّى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيدَ
عذره ٭ وقرأ يعقوب وَيَضِيقَ وَلَا يَنْطَلِقَ بالنصب عطفا على يكذّبون فيكونان من جملة ما خاف
(۱۳) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ اى تَبِعَةُ ذنب فحُذف المضاف او سُمّى باسمه والمرادُ قتل القبطىّ وانّما سمّاه ذنبا على
زعمهم وهذا اختصار قصّته المبسوطة فى مواضع فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس
تعلّلا وانّما هو استدفاع للبليّة المتوقّعة كما انّ ذاك استمداد واستظهار فى امر الدعوة وقولُه (۱۴) قَالَ كَلَّا
فَٱذْهَبَا بِآيَاتِنَا اجابةٌ له الى الطلبتين بوعده للدفع اللازم رَدْعَه عن الخوف وضمّ اخيه اليه فى الارسال ٭
والخطابُ فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانّه معطوف على الفعل الّذى يدلّ عليه كلّا كانّه قيل ارتدعْ يا
موسى عمّا تظنّ فاذهبْ انت والّذى طلبته إِنَّا مَعَكُمْ يعنى موسى وهٰرون وفرعون مُسْتَمِعُونَ سامعون
لما يجرى بينكما وبينه فأُظْهِركم عليه مَثّل نفْسَه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجرى بينهم
وترقّبا لامداد اوليائه منهم مبالغةً فى الوعد بالاعانة ولذلك تَجوّز بالاستماع الّذى هو بمعنى الاصغاء
للسمع الّذى هو مُطْلَق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثانٍ او الخبر وحده ومعكم لغو (۱۵) فَأْتِيَا
فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ افرد الرسول لانّه مصدرٌ وُصف به فانّه مشترك بين المُرْسَل والرسالة قال

لقد كَذَبَ الواشون ما فُهْتُ عندهم   بسِرٍّ ولا ارسلتُهم برسول

ولذلك ثُنّى تارةً وأُفْرِد اخرى او لاتّحادهما للاخوّة او لوحدة المرسل والمرسَل به او لانّه اراد انّ كلّ واحد منّا (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اى ارسل لتضمّن الرسول معنى الارسال المتضمّن معنى القول والمرادُ خلّهم يذهبوا معنا الى الشأم (١٧) قَالَ اى فرعون لموسى بعدما اتياه فقالا له ذلك أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا فى منازلنا وَلِيدًا طفلا سُمّى به لقربه من الولادة وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثمّ خرج الى مدين عشر سنين ثمّ عاد اليهم يدعوهم الى اللّه ثلاثين ثمّ بقى بعد الغرق خمسين (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ يعنى قتل القبطىّ وبّخه به معظّما ايّاه بعدما عدّ عليه نعمته وقرئ فِعْلَتَكَ بالكسر لانّها كانت قتلة بالوكز وَأَنْتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ بنعمتى حتّى عمدتَ الى قتل خواصّى او ممّن تكفّرهم الآن فانّه عم كان يعايشهم بالتقيّة فهو حال من احدى التاءين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانّه من الكافرين بالاهيّته او بنعمته لمّا عاد عليه بالمخالفة او من الّذين كانوا يكفرون فى دينهم (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا اِذًا وَأَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعْلَ أُولى الجهل والسفه او من الخاطئين لانّه لم يتعمّد قتْلَه او من الذاهلين عمّا يؤول اليه الوكز لانّه اراد به التأديب او الناسين من قوله أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا حكمة وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ردّ اوّلا بذلك ما وبّخه به قدحا فى نبوّته ثمّ كرّ على ما عدّ عليه من النعمة ولم يصرّح بردّه لانّه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبّه على انّه كان فى الحقيقة نقمة لكونه مسبّبا عنها فقال (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِى إِسْرَائِيلَ اى وتلك التربية نعمة تمنّها علىّ ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدُك بنى اسرائيل وقصْدُهم بذبح ابنائهم فانّه السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انّه مقدّر بهمزة الانكار اى أَوتلك نعمة تمنّها علىّ وهى ان عبّدت ومحلُّ أن عبّدت الرفع على انّه خبرُ محذوف او بدلُ نعمة او الجرُّ باضمار الباء او النصبُ بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مُبْهمة وأَن عبّدت عطف بيانها والمعنى تعبيدُك بنى اسرائيل نعمةٌ تمنّها علىّ، وانّما وحّد الخطاب فى تمنّها وجمع فيما قبله لانّ المنّة كانت منه وَحْده والخوف والفرار منه ومن ملئه (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ لمّا سمع جوابَ ما طعن به فيه ورأى انّه لم يَرْعَوِ بذلك شرع فى الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار على حقيقة المرسل (٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا عرّفه بأظهر خواصّه وآثاره لما امتنع تعريف الأفراد الّا بذكر الخواصّ والافعال واليه اشار بقوله اِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ اى ان كنتم موقنين الاشياء محقّقين لها علمتم انّ هذه الاجرام المحسوسة مُمْكنةٌ لتركّبها وتعدّدها وتغيّر احوالها فلها مُبْدئ واجب لذاته وذلك المبدئ لا بدّ وأن يكون مبدئا لسائر الممكنات ما يمكن ان يُحَسّ بها وما لا يمكن والّا لزم تعدّدُ الواجب او استغناءُ بعض الممكنات عنه وكلاهما مُحال ثمّ ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الّا

جزء ١٩ ركوع ٦ بلوازمه الخارجيّة لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب فى ذاته (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ جوابَه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انّه ربّ السموات وهى واجبة متحرّكة لذاتها كما هو مذهب الدهريّة او غيرُ معلوم افتقارُها الى مؤثّر (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ عدولا الى ما لا يمكن ان يُتوهّم فيه مثْلُه ويُشكّ فى افتقاره الى مصوّرٍ حكيم ويكونُ اقربَ الى الناظر واوضحَ عند المتأمّل (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ اسأله عن شىء ويجيبنى عن آخر وسمّاه رسولا على السخرية (٢٧) قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا تشاهدون كلّ يوم انّه يأتى بالشمس من المشرق ويحرّكها على مدارٍ غيرِ مدار اليوم الّذى قبله حتّى يبلّغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امورُ الكائنات إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ان كان لكم عقل علمتم أنْ لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اوّلا ثمّ لمّا رأى شدّة شكيمتهم خاشنَهم وعارضهم بمثل مقالهم (٢٨) قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ عدولا الى التهديد عن المحاجّة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج ، واستدلّ به على ادّعائه الالوهيّة وانكاره الصانع وانّ تعجّبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبيّة الى غيره ولعلّه كان دهريّا اعتقد انّ مَنْ ملك قُطرا او تولّى أَمْرَه بقوّة طالعه استحقّ العبادةَ من اهله ، واللام فى المسجونين للعهد اى ممّن عرفت حالهم فى سجونى فانّه كان يطرحهم فى هوّة عميقة حتّى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لأسجننّك (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ اى اتفعل ذلك ولو جئتُك بشىء يُبين صدْقَ دعواى يعنى المعجزة فانّها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدّعى نبوّته فالواو للحال وَليَها الهمزةُ بعد حذف الفعل (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ فى انّ لك بيّنة او فى دعواك فانّ مدّعى النبوّة لا بدّ له من حجّة (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ظاهرٌ ثعبانيّته واشتقاق الثعبان من ثَعَبْت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ روى انّ فرعون لمّا رأى الآية الاولى قال فهل غيرُها فأخرج يده قال فما فيها فأدخلها فى ابطه ثمّ نزعها ولها

ركوع ٧ شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسدّ الافق (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ مستقرّين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ فائق فى علم السحر (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ بَهَرَه سلطانُ المعجزة حتّى حطّه عن دعوى الربوبيّة الى مؤامرتهم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ اى اخّرْ امرهما وقيل احبسهما وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ شُرَطا يحشرون السحرة (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ يفضلون عليه فى هذا الفنّ وأمالها ابن عامر وابو عمرو والكسائىّ وقرئ بِكُلِّ سَاحِرٍ (٣٧) فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ

لما وُقِّت به من ساعات يوم معيَّن وهو وقت الضحى من يوم الزينة (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ جزء ١٩
فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثّا على مبادرتهم اليه كقول تأبّط شرّا ركوع ٧

هل انت باعثُ دينارٍ لحاجتنا   او عَبْدَ ربّ اخا عَوْنِ بنِ مِخْراقِ

اى ابعثْ احدهما الينا سريعا (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ ٱلْغَالِبِينَ لعلّنا نتّبعهم فى دينهم إنْ غلبوا والترجّى باعتبار الغلبة المقتضية للاتّباع ومقصودُهم الاصلىّ ان لا يتّبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانّهم اذا اتّبعوهم لم يتّبعوا موسى (٤٠) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ التزم لهم الاجرَ والقُرْبةَ عنده زيادةً عليه ان غلبوا فإذًا على ما يقتضيه من الجواب الجزاء ، وقرئ نَعِمْ بالكسر وهما لغتان (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ اى بعدما قالوا له إمّا ان تلقى وإمّا ان نكون نحن الملقين ولم يُرِدْ به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذنَ فى تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسّلا به الى اظهار الحقّ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَالِبُونَ اقسموا بعزّته على انّ الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى انفسهم واتيانهم بأقصى ما يُمْكن ان يؤتى به من السحر (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ تبتلع وقرأ حفص تَلْقَفُ بالتخفيف مَا يَأْفِكُونَ ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيّلون حبالهم وعصيّهم انّها حيّات تسعى او أَفْكَهم تسميةً للمأفوك به مبالغةً (٤٥) فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَاجِدِينَ لعلمهم بانّ مثله لا يتأتّى بالسحر وفيه دليل على انّ منتهى السحر تمويه وتزويق يخيّل شيئا لا حقيقة له وانّ التبحّر فى كلّ فنّ نافعٌ ، وانّما بدّل الخرورَ بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدلّ على انّهم لمّا رأوا ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم كانّهم أُخذوا فطُرحوا على وجوههم وانّه تعالى القاهم بما خوّلهم من التوفيق (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ بدل من أُلقى بدل الاشتمال او حال باضمارِ قَدْ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ابدال للتوضيح ودفعِ التوهّم والاشعارِ على انّ الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما (٤٨) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فعلّمكم شيئا دون شىء ولذلك غلبكم او فواعدكم على ذلك وتواطأتم عليه وأراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انّهم آمنوا عن بصيرة وظهور حقّ ، وقرأ حمزة والكسائىّ وابو بكر وروح أَآمَنْتُمْ بهمزتين فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وبالَ ما فعلتم وقوله (٤٩) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ بيان له (٥٠) قَالُوا لَا ضَيْرَ لا ضرر علينا فى ذلك إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ بما توعدنا به فانّ الصبر عليه محّاء للذنوب موجب للثواب والقرب من اللّه تعالى او بسبب من أسباب الموت والقتل انفعها وأرجاها (٥١) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا

*

جزء ١٩ لأن كنّا أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ من أتباع فرعون او من اهل المَشْهَد والجملة فى المعنى تعليلٌ ثانٍ لنفى الضير
ركوع ٧ او تعليلٌ للعلّة المتقدّمة ، وقرئ إِنْ كُنَّا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة
ركوع ٨ المُدِلّ بأمره نحو إِنْ احسنتُ اليك فلا تَنْسَ حقّى (٥٢) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي وذلك بعد
سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحقّ ويُظهِر لهم الآيات فلم يزيدوا الّا عتوّا وفسادا وقرأ ابن كثير
ونافع أَنِ ٱسْرِ بِعِبَادِي بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ أَنْ سِرْ من السير إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ
يتبعكم فرعون وجنوده وهو علّة الامر بالاسراء اى اسر بهم حتّى اذا اتّبعوكم مصبحين كان لكم تقدّم
عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر
فيدخلون مدخلكم فأُطْبِقه عليهم فأغرقهم (٥٣) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ حين أُخْبِر بسُراهم فِي ٱلْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
العساكرَ ليتّبعوهم (٥٤) إِنَّ هٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ على ارادة القول وانّما استقلّهم وكانوا ستّمائة الف
وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ رُوِى انّه خرج وكانت مقدّمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة
ومنها ثوبٌ شَرَاذِمُ لما بلى وتقطّع وقليلون باعتبار انّهم اسباط كلّ سبط منهم قليل (٥٥) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ
لفاعلون ما يغيظنا (٥٦) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ وانّا لجمعٌ من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور
اشار اوّلا الى عدم ما يمنع اتّباعهم من شوكتهم ثمّ الى تحقّق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم
ووجوب التيقّظ فى شأنهم حثّا عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظنّ به ما يكسر سلطانه ،
وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر والكوفيّون حَاذِرُونَ والاوّل للثبات والثانى للتجدّد وقيل الحاذر المُؤْدى
فى السلاح وهو ايضا من الحذر لانّ ذلك انّما يُفْعَل حذرا وقرئ حَادِرُونَ بالدال المهملة اى اقوياء قال

أُحِبُّ الصبيَّ السَّوْءَ من اجل أُمِّه وأُبْغِضُه مِنْ بُغْضِها وَهْوَ حادِرُ

او تامّوا السلاح فانّ ذلك يوجب حدارة فى اجسامهم (٥٧) فَأَخْرَجْنَاهُمْ بأن خلقنا داعية الخروج بهذا
السبب فحملتهم عليه مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٨) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهيّة
(٥٩) كَذٰلِكَ مثلَ ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك المقام الّذى كان لهم على انّه صفة مقام
او الامرُ كذلك فيكون خبرا لمحذوف وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٦٠) فَأَتْبَعُوهُمْ وقرئ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ
داخلين فى وقت شروق الشمس (٦١) فَلَمَّا تَرَاءَى ٱلْجَمْعَانِ تقاربا بحيث رأى كلّ منهما الآخر وقرئ
تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ لمُلْحَقون وقرئ لَمُدَّرِكُونَ من ادّرك الشىء اذا
تتابع ففنى اى لمتتابعون فى الهلاك على ايديهم (٦٢) قَالَ كَلَّا لن يدركوكم فانّ الله وعدكم الخلاص
منهم إِنَّ مَعِيَ رَبِّي بالحفظ والنصرة سَيَهْدِينِ طريقَ النجاة منهم روى انّ مؤمن آل فرعون كان بين
يدى موسى فقال أَيْنَ أُمِرْتَ فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أُمِرْتُ بالبحر ولعلّى أُومَر بما
أَصْنَع (٦٣) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ بحر القلزم او النيل فَٱنْفَلَقَ اى فضرب فانفلق

وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ كالجبل المنيف الثابت فى مقرّه جزء ١٩
فدخلوا فى شعابها كلُّ سبْط فى شعْب (٦٤) وَأَزْلَفْنَا وقرّبنا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ فرعونَ وقومه حتّى دخلوا على ركوع ٨
اثرهم مَداخلَهم (٦٥) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
(٦٦) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ باطباقه عليهم (٦٧) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وأيّةَ آية وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
وما تنبّه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احدٌ ممّن بقى فى مصر من القبط وبنو اسرائيل بعدما نجوا
سألوا بقرة يعبدونها واتّخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتّى نرى اللّه جهرة (٦٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
المنتقم من اعدائه ٱلرَّحِيمُ باوليائه (٦٩) وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ على مشركى العرب نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ (٧٠) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ركوع ٩
وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ سألهم ليُريهم انّ ما يعبدونه لا يستحقّ العبادة (٧١) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا
عَاكِفِينَ فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجّحا به وافتخارا ، ونظلّ ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا
يعبدونها بالنهار دون الليل (٧٢) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف
ذلك لدلالة إِذْ تَدْعُونَ عليه وقرئ يُسْمِعُونَكُمْ اى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع
اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها (٧٣) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ على عبادتكم لها أَوْ يَضُرُّونَ من اعرض عنها
(٧٤) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ اضربوا عن ان يكون لهم سَمْعٌ او يُتوقّع منهم ضرٌّ او نفعٌ
والتجئوا الى التقليد (٧٥) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٦) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ فانّ التقدّم لا
يدلّ على الصحّة ولا ينقلب به الباطل حقّا (٧٧) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي يريد انّهم اعداء لعابديهم من حيث
انّهم يتضرّرون من جهتهم فوق ما يتضرّر الرجل من جهة عدوّه او انّ المُغرى بعبادتهم اعدى اعدائهم
وهو الشيطان لكنّه صوّر الامرَ فى نفسه تعريضا لهم فانّه انفع فى النصح من التصريح واشعارا بانّها
نصيحةٌ بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول ، وافراد العدوّ لانّه فى الاصل مصدر او بمعنى النسب
إِلَّا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ استثناء منقطع او متّصل على انّ الضمير لكلّ معبود عَبَدوه وكان من آبائهم مَنْ عبد
اللّه (٧٨) ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ لانّه يهدى كلّ مخلوق لما خُلق له من امور المعاش والمعاد كما قال
والّذى قدّر فهدى هدايةً مدرّجةً من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكّن بها من جلب المنافع ودفع
المضارّ مبدأُها بالنسبة الى الانسان هدايةُ الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهدايةُ الى
طريق الجنّة والتنعّم بلذائذها ، والفاء للسببيّة ان جُعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جُعل صفةَ ربّ
العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدّم الخلق واستمرار الهداية وقوله (٧٩) وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ
على الاوّل مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللّذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين
للدلالة على انّ كلّ واحدة من الصلات مستقلّة باقتضاء الحكم (٨٠) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ عطف على

جزء ١٩ ركوع ٩ يطعمني ويسقين لانّه من روادفهما من حيث انّ الصحّة والمرض في الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانّما لم ينسب المرض اليه لانّ المقصود تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فانّ الموت من حيث انّه لا يُحَسّ به لا ضرر فيه وانّما الضرر في مقدّماته وهي المرض ثمّ انّه لأهل الكمال وصلةٌ الى نيل المحابّ الّتي تستحقر دونها الحيوةُ الدنيويّةُ وخلاصٌ من انواع المحن والبليّات ولانّ المرض في غالب الامر انّما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الأخلاط والأركان من التنافي والتنافر والصحّةُ انّما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم

(٨١) وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ في الآخرة (٨٢) وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامّة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لأن يُغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحَمْلُ الخطيئة على كلماته الثلاث انّي سقيم بل فعله كبيرهم هذا هي أختي ضعيفٌ لانّها معاريض وليست خطايا (٨٣) رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا كمالا في العلم والعمل أستعدّ به لخلافة الحقّ ورئاسة الخلق وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ووفّقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الّذين لا يشوب صلاحهم كبيرُ ذنبٍ ولا صغيرُه (٨٤) وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ جاها وحُسْنَ صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امّة الّا وهم يحبّون له مُثْنون عليه او صادقا من ذرّيّتي يجدّد اصلَ ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمّد صلعم (٨٥) وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ في الآخرة وقد مرّ معنى الوراثة فيها (٨٦) وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ بالهداية والتوفيق للايمان إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ طريقَ الحقّ وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعلّه كان لظنّه انّه كان يُخفي الايمان تقيّةً من نمرود ولذلك وعده به او لانّه لم يُمنَع بعدُ من الاستغفار للكفّار (٨٧) وَلَا تُخْزِنِى بمعاتبتي على ما فرّطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الورّاث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجوازِ التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالّين وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يَوْمَ يُبْعَثُونَ الضمير للعباد لانّهم معلومون او للضالّين

(٨٨) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٩) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ لا ينفعان احدا الّا مخلصا سليمَ القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الّا مالُ مَن هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله في سبل البرّ وارشد بنيه الى الحقّ وحثّهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عبادا للّه مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء ممّا دلّ عليه المال والبنون اي لا ينفع غنًى الّا غناه وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة مَن اتى اللّه بقلب سليم تنفعه (٩٠) وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ بحيث يرونها من الموقف فيتبجّحون بانّهم المحشورون اليها (٩١) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ فيرونها مكشوفة ويتحسّرون على انّهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد (٩٢) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٣) مِن دُونِ ٱللَّهِ

جزء ١٩ اين آلهتكم الّذين تزعمون انّهم شفعاؤكم هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ بدفع العذاب عنكم أَوْ يَنْتَصِرُونَ بدفعه عن
ركوع ٦ انفسهم لانّهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال (٩٤) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ اى الآلهة وعبدتهم ، والكبكبة تكرير الكبّ لتكرير معناه كانّ من القى فى النار ينكبّ مرّة بعد اخرى حتّى يستقرّ فى قعرها (٩٥) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ متّبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه أَجْمَعُونَ تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده او للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه فى قوله (٩٦) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٧) تَٱللّٰهِ إِنْ كُنَّا لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ على انّ اللّه يُنطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيّده الخطاب فى قوله (٩٨) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ اى فى استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة كما فى قالوا والخطاب للمبالغة فى التحسّر والندامة والمعنى انّهم مع تخاصمهم فى مبدإ ضلالهم معترفون بانهماكهم فى الضلالة متحسّرون عليها (٩٩) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ (١٠٠) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء (١٠١) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ اذ الاخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الّا المتّقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممّن نعدّهم شفعاء واصدقاء او وقعنا فى مهلكة لا يخلّصنا منها شافع ولا صديق ، وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وقلّة الصديق او لانّ الصديق الواحد يسعى اكثر ممّا يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدوّ لانّه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل (١٠٢) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً تمنٍّ للرجعة أُقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير او شرطٌ حذف جوابه فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ جواب التمنّى او عطف على كرّة اى لو انّ لنا ان نكرّ فنكون (١٠٣) إِنَّ فِى ذٰلِكَ فيما ذكر من قصّة ابرهيم لَآيَةً لحجّة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانّها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطّن المتأمّل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينيّة والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوّر الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون انتهى لهم الى الاستماع والقبول وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ اكثر قومه مُؤْمِنِينَ به (١٠٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ القادر على
ركوع ١٠ تعجيل الانتقام ٱلرَّحِيمُ بالامهال لكى يؤمنوا هم او احد من ذرّيّتهم (١٠٥) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ القوم مؤنّثة ولذلك تصغّر على قويمة ، وقد مرّ الكلام فى تكذيبهم المرسلين (١٠٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ لانّه كان منهم أَلَا تَتَّقُونَ اللّه فتتركوا عبادة غيره (١٠٧) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ مشهور بالامانة فيكم (١٠٨) فَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ وَأَطِيعُونِ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة للّه سبحانه (١٠٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ على ما انا عليه من الدعاء والنصح مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١١٠) فَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ وَأَطِيعُونِ كرّره للتأكيد والتنبيه على دلالة كلّ واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم

جزء ١٩ اليه فكيف اذا اجتمعا • وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء فى أَجْرِىَ فى الكلمات
ركوع ١٠ الخمس (١١١) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ الاقلّون جاهًا ومالا جمعُ الارذل على الصحّة وقرأ يعقوب
وأَتْبَاعُكَ وهو جمعُ تابعٍ كشاهدٍ وأَشْهادٍ او تَبَعٍ كَبَطَلٍ وأَبْطالٍ وهذا من سخافة عقلهم وقصور
رأيهم على الحطام الدنيويّة حتّى جعلوا اتّباعَ المُقِلّين فيها مانعا عن اتّباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه
ودليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى انّ اتّباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانّما هو لتوقّع مال ورفعة فلذلك
(١١٢) قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ انّهم عملوه اخلاصا او طمعا فى طعمة وما علىّ الّا اعتبار الظاهر
(١١٣) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّى ما حسابهم على بواطنهم الّا على اللّه فانّه المطّلع عليها لَوْ تَشْعُرُونَ
لَعلِمْتم ذلك ولكنّكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون (١١٤) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ جواب لما اوهم قولهم
من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتّباعهم المانع عنه وقوله (١١٥) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
كالعلّة له اى ما انا الّا رجل مبعوث لانذار المكلّفين عن الكفر والمعاصى سواءٌ كانوا أعزّاء او اذلّاء فكيف
يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علىّ الّا انذارُكم إنذارا بيّنا بالبرهان الواضح ولا علىّ ان
اطردهم لاسترضائكم (١١٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ عمّا تقول لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ من المشتومين
او المضروبين بالحجارة (١١٧) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحقّ
لا تخويفهم له واستخفافهم عليه (١١٨) فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا فاحكمْ بينى وبينهم من الفُتاحة وَنَجِّنِى
وَمَنْ مَعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ من قصدهم او شؤم عملهم (١١٩) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ المملوء
(١٢٠) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ بعد انجائه ٱلْبَاقِينَ من قومه (١٢١) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً شاعت وتواترت وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
ركوع ١١ مُؤْمِنِينَ (١٢٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٣) كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ انّثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل
اسم ابيهم (١٢٤) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٥) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٦) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
(١٢٧) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ تصديرُ القصص بها دلالةٌ على انّ البعثة
مقصورة على الدعاء الى معرفة الحقّ والطاعة فيما يقرّب المدعوّ الى ثوابه ويبعّده عن عقابه وكان الانبياء
متّفقين على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرّئين عن المطامع الدنيّة والاغراض الدنيويّة
(١٢٨) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ بكلّ مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آيَةً عَلَما للمارّة تَعْبَثُونَ ببنائها
اذ كانوا يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه
للعَبَث بمن يمرّ عليهم او قصورا يفتخرون بها (١٢٩) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ مآخذ الماء وقيل قصورا مَشيدة
وحصونا لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ فتحكمون بنيانها (١٣٠) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بسوط او سيف بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ

جزء ١٩ منسلّطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة (١٣١) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ بترك هذه الاشياء وَأَطِيعُونِ
ركوع ١١ فيما ادعوكم اليه فانّه انفع لكم (١٣٢) وَٱتَّقُوا ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ كرّره مرتّبا على امداد اللّه
ايّاهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه
بالانقطاع ثمّ فصّل بعض تلك النعم كما فصّل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتّقون
مبالغة في الايقاظ والحثّ على التقوى فقال (١٣٣) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٤) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ثمّ اوعدهم
فقال (١٣٥) إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ في الدنيا والآخرة فانّه كما قدر على الانعام قدر على
الانتقام (١٣٦) قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَاعِظِينَ فانّا لا نرعوى عمّا نحن عليه وتغيير
شقّ النفى عمّا يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلّة اعتدادهم بوعظه (١٣٧) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خَلْقُ ٱلْأَوَّلِينَ ما هذا
الّذى جئتنا به الّا كذب الاوّلين او ما خَلْقنا هذا الّا خَلْقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خُلُق بضمّتين اى ما هذا الّذى جئت به الّا عادة الاوّلين كانوا
يلفّقون مثله او ما هذا الّذى نحن عليه من الدين الّا خُلُق الاوّلين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او
ما هذا الّذى نحن عليه من الحيوة والموت الّا عادة قديمة لم يزل الناس عليها (١٣٨) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ
على ما نحن عليه (١٣٩) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بسبب التكذيب بريح صرصر إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
ركوع ١٢ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٤٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٤١) كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٤٢) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ
صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٣) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٤) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٥) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٤٦) أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ انكار لأن يتركوا كذلك او تذكير
بالنعمة في تخلية اللّه ايّاهم وأسباب تنعّمهم آمنين ثمّ فسّره بقوله (١٤٧) فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٨) وَزُرُوعٍ
وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ لطيف ليّن للطف التمر او لانّ النخل أُنثى وطلع اناث النخل الطف وهو ما
يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدلّ منكسر من كثرة الحمل ، وافراد النخل لفضله
على سائر اشجار الجنّات او لانّ المراد بها غيرها من الاشجار (١٤٩) وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ
بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فانّ الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن
كثير وابو عمرو فَرِهِينَ وهو ابلغ (١٥٠) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥١) وَلَا تُطِيعُوٓا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ استعير الطاعة
التى هى انقياد الآمر لامتثال الأمر او نسب حكم الآمر الى أمره مجازا (١٥٢) ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف وَلَا يُصْلِحُونَ على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم
(١٥٣) قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ الّذين سُحروا كثيرا حتّى غلب على عقلهم او من ذوى السَّحْر

جزء ١٩ وهي الرئة اى من الأناسيّ فيكون (١٥٤) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تأكيدا له فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ
ركوع ١٢ في دعواك (١٥٥) قَالَ هٰذِهِ نَاقَةٌ اى بعدما اخرجها اللّه من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لَهَا شِرْبٌ نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها (١٥٦) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ كضرب وعقر فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ عظّم اليوم لعظم ما يحلّ فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب (١٥٧) فَعَقَرُوهَا اسند العقر الى كلّهم لانّ عاقرها انّما عقر برضاهم ولذلك أُخذوا جميعا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم (١٥٨) فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ اى العذاب الموعود إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانّه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما أُخذوا بالعذاب وانّ قريشا انّما
ركوع ١٣ عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم (١٦٠) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٦١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٣) فَاتَّقُوا ٱللّٰهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٦٥) أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانّهنّ قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاوّل كلّ من ينكح وعلى الثاني الناس (١٦٦) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ لأجل استمتاعكم رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ لبيان ما إن اريد به جنس الاناث او للتبعيض إن اريد به العضو المباح منهنّ فيكون تعريضا بانّهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ متجاوزون عن حدّ الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة (١٦٧) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ عمّا تدّعيه او عن نهينا وتقبيح أمرنا لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ من المنفيين من بين اظهرنا ولعلّهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال (١٦٨) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ ٱلْقَالِينَ من المبغضين غاية البغض لا أقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انّي لعملكم قال لدلالته على انّه معدود في زمرتهم مشهور بانّه من جملتهم (١٦٩) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ اى من شومه وعذابه (١٧٠) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ اهل بيته والمتّبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم (١٧١) إِلَّا عَجُوزًا هي امرأة لوط فِي ٱلْغَابِرِينَ مقدّرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانّها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كائنة فيمن بقى في القرية

فانّها لم تخرج مع لوط (١٧٢) ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ اهلكناهم (١٧٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا وقيل امطر اللّه على جزء ١٩
شذّاذ القوم حجارة فأهلكهم فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنْذَرِينَ اللام فيه للجنس حتّى يصحّ وقوع المضاف اليه فاعل ركوع ١٣
ساء والمخصوص بالذمّ محذوف وهو مطرهم (١٧٤) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥) وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٧٦) كَذَّبَ أَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ الايكة غَيْضة تُنْبت ناعمَ الشجر يريد غيضة ركوع ١٤
بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث اللّه اليهم شعيبا كما بعثه الى مدين وكان اجنبيّا منهم فلذلك
قال (١٧٧) اذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتفّ وكان
شجرهم الدَّوْم وهو المُقْل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وقرئت كذلك مفتوحة على انّها لَيْكَةُ وهي اسم بلدتهم وانّما كُتبت ههنا وفي صٓ بغير الف اتّباعا للفظ
(١٧٨) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٩) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٨٠) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٨١) أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ أَتمّوه وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ الناقصين حقوق الناس بالتطفيف
(١٨٢) وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ بالميزان السويّ وهو إن كان عربيّا فان كان من القِسْط ففِعْلاس
بتكرير العين والّا ففِعْلال وقرأ حمزة والكسائيّ وحفص بكسر القاف (١٨٣) وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ
ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بالقتل والغارة وقطع الطريق (١٨٤) وَٱتَّقُوا
ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ وذوى الجبلّة الاوّلين يعني من تقدّمهم من الخلائق (١٨٥) قَالُوا إِنَّمَا
أَنْتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٨٦) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا اتوا بالواو للدلالة على انّه جامع بين وصفين منافيين
للرسالة مبالغةً في تكذيبه وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَاذِبِينَ في دعواك (١٨٧) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ
قطعة منها ولعلّه جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين إِنْ كُنْتَ
مِنَ ٱلصَّادِقِينَ في دعواك (١٨٨) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ وبعذابه مُنْزِلٌ عليكم ما اوجبه لكم عليه في وقته
المقدّر له لا محالة (١٨٩) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ على نحو ما اقترحوا بأن سلّط عليهم
الحرّ سبعة ايّام حتّى غلت انهارهم فأظلّتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا
إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٩٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ
هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسليةً لرسول اللّه صلعم وتهديدا للمكذّبين
به واطّراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاءً وعدمَ مبالاة
به يدفع أن يقال انّه كان بسبب اتّصالات فلكيّة او كان ابتلاءً لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم
(١٩٢) وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٩٣) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٤) عَلَىٰ قَلْبِكَ تقرير لحقّيّة تلك القصص وتنبيه ركوع ١٥

جزء ١٩ على اعجاز القران ونبوّة محمّد صلعم فانّ الاخبار عنها ممّن لم يتعلّمها لا يكون الّا وحيا من اللّه ، ركوع ١٥ والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لانّ المعانى الروحانيّة انّما تنزل اوّلا على الروح ثمّ تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلّق ثمّ تصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيّلة ، والروح الامين جبريل عم فانّه امين اللّه على وحيه ، وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائىّ بتشديد الزاء ونصب الروح الامين لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ عمّا يؤدّى الى عذاب من فعل او ترك (١٩٥) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ واضح المعنى لئلّا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلّق بنزل ويجوز ان يتعلّق بالمنذرين اى لتكون ممّن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمّد صلعم (١٩٦) وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ وانّ ذكره او معناه لفى الكتب المتقدّمة (١٩٧) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً على صحّة القران او نبوّة محمّد صلعم أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِى إِسْرَائِيلَ ان يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا ، وقرأ ابن عامر تَكُنْ بالتاء وَآيَةٌ بالرفع على انّها الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل او الفاعل وأن يعلمه بدل ولهم حال او انّ الاسم ضمير القصّة وآيةٌ خبرُ أن يعلمه والجملة خبرُ تكن (١٩٨) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ كما هو زيادة فى اعجازه او بلغة العجم (١٩٩) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتّباع العجم ، والاعجمين جمع اعجمىّ على التخفيف ولذلك جُمع جَمْعَ السلامة (٢٠٠) كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ ادخلناه فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدلّ الآية على انّه بخلق اللّه وقيل للقران اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثمّ لم يؤمنوا به عنادا (٢٠١) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ المُلجِىء الى الايمان (٢٠٢) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فى الدنيا والآخرة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ باتيانه (٢٠٣) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ تحسّرا وتأسّفا (٢٠٤) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فيقولون امطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلبُ النَظِرة (٢٠٥) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٦) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٧) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ لم يُغْنِ عنهم تمتّعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه (٢٠٨) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ انذروا اهلها الزاما للحجّة (٢٠٩) ذِكْرَىٰ تذكرةً ومحلّها النصبُ على العلّة او المصدر لانّها فى معنى الانذار او الرفعُ على انّها صفةُ منذرين باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة او خبرُ محذوف والجملةُ اعتراضيّة وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار (٢١٠) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَاطِينُ كما زعم المشركون انّه من قبيل ما يُلقى الشياطين على الكهنة (٢١١) وَمَا يَنْبَغِى لَهُمْ وما يصحّ لهم ان ينزلوا به وَمَا يَسْتَطِيعُونَ وما يقدرون (٢١٢) إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لكلام الملائكة لَمَعْزُولُونَ لانّه مشروط بمشاركة فى صفاء الذات وقبول فيضان الحقّ والانتقاش بالصور الملكوتيّة ونفوسهم خبيثة ظلمانيّة شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقران مشتمل على حقائق ومغيّبات لا

يُمْكِن تلقّيها الّا من الملائكة (٢١٣) فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ تهييج لازدياد جزء ١٩
الاخلاص ولطف لسائر المكلّفين (٢١٤) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ الاقربَ منهم فالاقربَ فانّ الاهتمام ركوع ١٥
بشأنهم اهمّ روى انّه لمّا نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتّى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتُكم
انّ بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدّقيّ قالوا نعم قال فانّي نذير لكم بين يدى عذاب شديد
(٢١٥) وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ليّن جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا
اراد ان ينحطّ ، ومنْ للتبيين لانّ مَن اتّبع اعمّ ممّن اتّبع لدين او غيره او للتبعيض على انّ المراد
من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدّقون باللسان (٢١٦) فَإِنْ عَصَوْكَ ولم يتّبعوك فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا
تَعْمَلُونَ ممّا تعملونه او من اعمالكم (٢١٧) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ الّذى يقدر على قهر اعدائه ونصر
اوليائه يكفك شرّ مَنْ يعصيك منهم ومن غيرهم ، وقرأ نافع وابن عامر فَتَوَكَّلْ على الابدال من جواب
الشرط (٢١٨) ٱلَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ الى التهجّد (٢١٩) وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ وتردّدك فى تصفّح احوال
المتهجّدين كما روى انّه لمّا نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما
يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر اللّه
والتلاوة او تصرّفك فيما بين المصلّين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أمَمْتهم وانّما وصفه اللّه
بعلمه بحاله الّتى بها يستأهل ولايته بعد وصفه بانّ من شأنه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكّل
وتطمينا لقلبه عليه (٢٢٠) إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ لما تقوله ٱلْعَلِيمُ بما تنويه (٢٢١) هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ
ٱلشَّيَاطِينُ (٢٢٢) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ لمّا بيّن انّ القران لا يصحّ ان يكون ممّا تنزّلت به الشياطين
اكّد ذلك بأن بيّن انّ محمّدا صلعم لا يصلح ان يتنزّلوا عليه من وجهين احدهما انّه انّما يكون
على شرير كذّاب كثير الاثم فانّ اتّصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتوادّ وحالُ محمّد
صلعم على خلاف ذلك وثانيهما قوله (٢٢٣) يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ اى الافّاكون يُلقون السمع الى الشياطين
فيتلقّون منهم ظنونا وأمارات لنقصان علمهم فيضمّون اليها على حسب تخيّلاتهم اشياء لا يطابق
اكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يحفظها الجنّىّ فيقرّها فى اذن وليّه فيزيد فيها اكثر من مائة
كذبة ولا كذلك محمّد صلعم فانّه اخبر عن مغيّبات كثيرة لا تُحصَى وقد طابق كلّها وقد فُسّر
الاكثر بالكلّ لقوله كلّ افّاك والاظهر انّ الاكثريّة باعتبار اقوالهم على معنى انّ هؤلاء قلّ من يَصْدُق
منهم فيما يحكى عن الجنّىّ وقيل الضمائر للشياطين اى يلقون السمع الى الملإ الاعلى قبل ان يُرْجَموا
فيختطفون منهم بعض المغيّبات ويوحون به الى اوليائهم او يُلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم
وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ فيما يوحون به اليهم اذ يُسمعونهم لا على نحو ما تكلّمت به الملائكة لشرارتهم
او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم (٢٢٤) وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ وأتباع محمّد ليسوا كذلك وهو

جزء ١٩ ركوع ١٥ استيناف ابطل كونه شاعرا وقرّره بقوله (٢٢٥) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ لانّ اكثر مقدّماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم فى النسيب بالحُرَم والغزل والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح فى الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومَدْح من لا يستحقّه والاطراء فيه والبه اشار بقوله (٢٢٦) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وكانّه لمّا كان إعجاز القران من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا فى المعنى بانّه ممّا تنزّلت به الشياطين وفى اللفظ بانّه من جنس كلام الشعراء تكلّم فى القسمين وبيّن منافاة القران لهما ومضادّة حال الرسول لحال اربابهما ٬ وقرأ نافع يَتْبَعُهُمْ على التخفيف وقرئ بتسكين العين تشبيها لبَعُه بعَضُد (٢٢٧) إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا (٢٢٨) وَٱنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الّذين يكثرون ذكر اللّه ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على اللّه والحثّ على طاعته ولو قالوا هَجْوا ارادوا به الانتصار ممّن هجاهم ومكافحة هُجاة المسلمين كعبد اللّه بن رَواحة وحسّان بن ثابت والكَعْبَيْن وكان عم يقول لحسّان قُلْ وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انّه عم قال له اُهْجُهم فوالّذى نفسي بيده لهو اشدّ عليهم من النَّبْل وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الّذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى ايّ منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضى اللّه عنهما حين عَهِد اليه وقرئ أَيَّ مُنْفَلَتٍ يَنْفَلِتُونَ من الانفلات وهو النجاة والمعنى انّ الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب اللّه وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات ٬ عن النبيّ صلعم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بنوح وكذّب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذّب بعيسى وصدّق بمحمّد صلعم ٠

سُورَةُ ٱلنَّمْلِ

مكّيّة وآيها خمس وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٦ (١) طس تِلْكَ آيَاتُ ٱلْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ الاشارة الى آى السورة ٬ والكتاب المبين امّا اللوح وابانته أنّه خُطّ فيه ما هو كائن فهو يُبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلّق علمنا به وتقديمه فى الحَجّر باعتبار الوجود او القران وابانته لما أُودع فيه من الحِكَم والأحكام او لصحّته باعجازه وعطفه على القران كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وَكِتَابٌ بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (٢) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبران لمحذوف (٣) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكٰوةَ الّذين يعملون

الصالحات من الصلوة والزكوة وَهُمْ بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ من تتمّة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير جزء ١٩
النظم للدلالة على قوّة يقينهم وثباته وانّهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضيّة كانّه قيل وهؤلاء الّذين ركوع ١٩
يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فانّ تحمّل المشاقّ انّما يكون لخوف العاقبة والوثوق
على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص (٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ زيّن
اعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة الّتى وجب عليهم ان
يعملوها بترتيب المثوبات عليها فَهُمْ يَعْمَهُونَ عنها لا يدركون ما يتبعها من ضرّ او نفع (٥) أُولَٰئِكَ
ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ ٱلْعَذَابِ كالقتل والاسر يوم بدر وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ اشدّ الناس خسرانا
لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة (٦) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْآنَ لتؤتاه مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ اىّ حكيم واىّ
عليم والجمع بينهما مع انّ العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار
بأنّ علوم القرآن منها ما هى حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن
المغيّبات ثمّ شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله (٧) إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا اى اذكر
قصّته اذ قال ويجوز ان يتعلّق بعليم سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ اى عن حال الطريق لانّه قد ضلّه وجمع
الضمير ان صحّ انّه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بُعد المسافة والوعد
بالاتيان وان ابطأ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانّه يكون قبسا وغير
قبس ونوّنه الكوفيّون ويعقوب على انّ القبس بدل منه او وصف له لانّه بمعنى المقبوس والعدتان على
سبيل الظنّ ولذلك عبّر عنهما بصيغة الترجّى فى طٰه والترديد للدلالة على انّه ان لم يظفر بهما لم
يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر او ثقة بعادة اللّه انّه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
رجاء ان تستدفئوا بها والصلا النار العظيمة (٨) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ اى بورك فانّ النداء فيه
معنى القول او بأن بورك على انّها مصدريّة او مخفّفة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا
او قد او السين او سوف لكنّه دعاء وهو يخالف غيره فى احكام مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا من فى
مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة
ومن حول مكانها والظاهر انّه عامّ فى كلّ من فى تلك الارض وفى ذلك الوادى وحواليهما من ارض الشام
الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة الّتى كلّم اللّه فيها
موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانّه قد قضى له امر
عظيم تنتشر بركته فى اقطار الشام وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ من تمام ما نودى به لئلّا يتوهّم
من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجّب من موسى لما دهاه من عظمته
(٩) يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا ٱللَّهُ الهاء للشأن وانا اللّه جملة مفسّرة له او للمتكلّم وانا خبره واللّه بيان له

جزء ١٩ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ صفتان للّٰه ممهّدتان لما اراد ان يُظهره يريد انا القويّ القادرُ على ما يَبْعد من الاوهام
ركوع ١٩ كقلب العصا حيّة الفاعلُ كلَّ ما افعله بحكمة وتدبير (١٠) وَأَلْقِ عَصَاكَ عطف على بورك اى نودى أنْ
بورك من فى النار وأنْ الق عصاك ويدلّ عليه قوله وأنْ الق عصاك بعد قوله أنْ يا موسى انّى انـا اللّه
بتكرير أنْ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ تتحرّك باضطراب كَأَنَّهَا جَانٌّ حيّة خفيفة سريعة وقرئ جَأَنٌّ على لغة من
جدّ فى الهرب من التقاء الساكنين وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ولم يَرْجع من عقب المقاتلُ اذا كرّ بعد
الفرار وانّما رعب لظنّه انّ ذلك لأمرٍ أُرِيدَ به ويدلّ عليه قوله يَا مُوسَى لَا تَخَفْ اى من غيرى ثقةً بى
او مُطْلقا لقوله انّى لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانّهم اخوفُ الناس
اى من اللّه تعالى او لا يكون لهم عندى سوءُ عاقبة فيخافوا منه (١١) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ
سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ استثناءٌ منقطعٌ استدرك به ما يختلج فى الصدر مِنْ نفى الخوف عن كلّهم وفيهم
من فرطت منه صغيرة فانّهم وإن فعلوهـا أَتْبعوا فعلَها ما يُبْطلهـا ويستحقّون به من اللّه مغفرة ورحمة
وقصد تعريض موسى بوكزه القبطىَّ وقيل متّصلٌ وثمّ بدّل مستأنف معطوف على محذوف اى من
ظلم ثمّ بدّل ذنبه بالتوبة (١٢) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ لانّه كان مِدْرَعة صوف لا كُمَّ لها وقيل الجيب
القميص لانّه يُجاب اى يُقْطع تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آفة كبرص فِي تِسْعِ آيَاتٍ فى جملتها او معها على
انّ التسع هى الفَلْق والطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان
فى مزارعهم ولمن عدّ العصا واليد من التسع أن يعدّ الاخيرَيْن واحدا ولا يعدّ الفلق لانّه لم يُبْعَث به
الى فرعون او اذهبْ فى تسع آيات على انّه استيناف بالارسال فيتعلّق به إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وعلى الاوّلين
يتعلّق بنحو مبعوثا او مُرْسَلا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ تعليل للارسال (١٣) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا بأن
جاءهم موسى بها مُبْصِرَةً بيّنـةً اسمُ فاعل أُطْلق للمفعول اشعارا بانّها لفرط اجتلائها للأبصار بحيث
تكاد تُبْصِر نفسُها لو كانت ممّا تُبْصِر او ذاتَ بصر من حيث انّها تَهْدِى والعُمْى لا تهتدى فضلا ان
تَهْدِى او مبصِّرةً كلَّ من نظر اليها وتأمّل فيها وقرئ مَبْصَرَةً اى مكانا يكثر فيه التبصّر قَالُوا هَٰذَا
سِحْرٌ مُبِينٌ واضحٌ سحريّته (١٤) وَجَحَدُوا بِهَا وكذّبوا بها وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ وقد استيقنتها لانّ الواو
للحال ظُلْمًا لأنفسهم وَعُلُوًّا ترفّعا عن الايمان وانتصابُهما على العلّة من جحدوا فَٱنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
ركوع ١٧ ٱلْمُفْسِدِينَ وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الاخرى (١٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا طائفةً من
العلم وهو علم الحِكَم والشرائع او علما اىّ علم وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ عطفه بالواو اشعارا بانّ ما قالاه بعض
ما أُتيا به فى مقابلة هذه النعمة كانّه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد للّه ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ
مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يعنى من لم يؤتَ علما او مثلَ علمهما وفيه دليلٌ على فضل العلم وشرف اهله حيث

جزء ١٩ ركوع ١٧ شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من المُلْك الّذى لم يؤت غيرهما وتحريضٌ للعالم على ان يحمد اللّه على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انّه وان فُضّل على كثير فقد فُضّل عليه كثير (١٦) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ النبوّةَ او العلمَ او المُلْكَ بأن قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وَقَالَ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تشهيرا لنعمة اللّه وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة الّتى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق فى المتعارف كلّ لفظ يعبّر به عمّا فى الضمير مُفْرَدا كان او مركّبا وقد يطلق لكلّ ما يصوّت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامةُ ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فانّ الاصوات الحيوانيّة من حيث انّها تابعة للتخيّلات منزّلةٌ منزلةَ العبارات سيّما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعلّ سليمان عم مهما سمع صوت حيوان علم بقوّته القدسيّة التخيّل الّذى صوّته والغرض الّذى توخّاه به ومن ذلك ما حكى انّه مرّ ببلبل يصوّت ويترقّص فقال يقول اذا اكلت نصْف تمْرة فعلى الدنيا العَفاء وصاحت فاختة فقال انّها تقول ليت الخَلْق لم يُخْلَقوا فلعلّه كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياحُ الفاختة عن مقاساة شدّة وتألّم قلب ، والضمير فى عُلّمنا واوتينا له ولأبيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة ، والمرادُ من كلّ شىء كثرةُ ما اوتى كقولك فلانٌ يقصده كلّ احد ويعلم كلّ شىء إِنَّ هٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ الّذى لا يخفى على احد (١٧) وَحُشِرَ وجمع لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ يحبسون يحبس اوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا (١٨) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ ٱلنَّمْلِ واد بالشأم كثير النمل ، وتعدية الفعل اليه بعَلَى امّا لانّ اتيانهم كان من عُلّى او لانّ المراد قَطْعه من قولهم اتى على الشىء اذا انفده وبلغ آخرَه كانّهم ارادوا ان ينزلوا أُخْرَيات الوادى قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ كانّها لمّا رأتهم متوجّهين الى الوادى فرّت عنهم مخافةَ حطْمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة نبّهت ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبّه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أُجْرُوا مجراهم مع انّه لا يمتنع أنْ خلق اللّه سبحانه وتعالى فيها العقل والنطق لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ نهىٌ لهم عن الحطم والمرادُ نهيُها عن التوقّف بحيث يحطمونها كقولهم لا أرَيَنّك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فانّ النون لا تدخله فى السعة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بانّهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانّها شعرت عصْمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف اى فَهِم سليمان والقوم لا يشعرون (١٩) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا تعجّبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها وسرورا بما خصّه اللّه به من ادراك هَمْسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ اى اجعلْنى أَزَع شكر نعمتك عندى اى أَكُفّه وارتبطه لا ينفلت عنّى بحيث لا انفكّ عنه ، وقرأ البزّىّ وورش بفتح ياء أَوْزِعْنِىَ ٱلَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ ادرج فيه ذِكْرَ والدَيْه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فانّ النعمة

جزء ١٩ عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيّما الدينيّة وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ اتماما للشكر
ركوع ١٧ واستدامةً للنعمة وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ فى عدادهم الجنّة (٢٠) وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ وتعرّف الطير فلم يجد فيها الهدهد فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ ام منقطعة كانّه لمّا لم يره ظنّ انّه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لى لا اراه ثمّ احتاط فلاح له انّه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول اهو غائب كانّه يسأل عن صحّة ما لاح له (٢١) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا كنتف ريشه والقائه فى الشمس او حيث النمل تأكله او جَعْله مع ضدّه فى قفص أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ ليعتبر به ابناء جنسه أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ بحجّة تُبيّن عذره ، والحلف فى الحقيقة على احد الاوّلين بتقدير عدم الثالث لكن لمّا اقتضى ذلك وقوعَ احد الامور الثلاثة ثلّث المحلوف عليه بعطفه عليهما ، وقرأ ابن كثير أَوْ لَيَأْتِيَنَّنِي بنونين الاولى مفتوحة مشدّدة (٢٢) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ يعنى حالَ سبا وفى مخاطبته ايّاه بذلك تنبيه له على انّ فى ادنى خلق اللّه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه ، وقرئ بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ وقرأ ابن كثير برواية البزّى وابو عمرو غيرَ مصروف على تأويل القبيلة او البلدة والقوّاس بهمزة ساكنة بِنَبَإٍ يَقِينٍ بخبر متحقّق روى انّه عم لمّا اتمّ بناء بيت المقدس تجهّز للحجّ فوافى الحَرَمَ واقام به ما شاء ثمّ توجّه الى اليمن فخرج من مكّة صباحا فوافى صنعاء ظهيرةً فأعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثمّ لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانّه يُحسن طلب الماء فتفقّده لذلك فلم يجده اذ حلّق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحطّ اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثمّ رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعلّ فى عجائب قدرة اللّه وما خصّ به خاصّةَ عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها (٢٣) إِنِّي وَجَدْتُ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريّان ، والضمير لسبا او لاهلها وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يحتاج اليه الملوك وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ عظّمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضّة مكلّلا بالجواهر (٢٤) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ كانّهم كانوا يعبدونها وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ عبادة الشمس وغيرها من مقابح اعمالهم فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ عن سبيل الحقّ والصواب فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ اليه (٢٥) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ فصدّهم لأن لا يسجدوا او زيّن لهم ان لا يسجدوا على انّه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائىّ ويعقوب أَلَا بالتخفيف على انّها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اى أَلَا يا قوم ٱسْجُدُوا كقوله

وقالتْ أَلَا يا ٱسْمَعْ نَعِظْكَ بخُطّة   فقلتُ سَمِيعا فَٱنْطِقِي وأَصِيبِي

وعلى هذا صحّ ان يكون استينافا من اللّه او من سليمان والوقف على لايهتدون فيكون امرا بالسجود جزء ١٩ وعلى الاوّل ذمّا على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة لا عند قراءتها وقرئ هَلَّا ركوع ١٧ وهَلَا بقلب الهمزة هاء وأَلَّا تَسْجُدُونَ وهَلَّا تَسْجُدُونَ على الخطاب ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرّد بكمال القدرة والعلم حثّا على سجوده وردّا على من يسجد لغيره ، والخَبْء ما خفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعمّ اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانّه اخراج ما فى الشىء بالقوّة الى الفعل والابداع فانّه اخراج ما فى الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انّه يختصّ بالواجب لذاته ، وقرأ حفص والكسائىّ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ بالتاء (٢٦) اَللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ٱلّذى هو اوّل الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون بعيد (٢٧) قَالَ سَنَنْظُرُ سنتعرّف من النظر بمعنى التأمّل أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ اى ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل (٢٨) اِذْهَبْ بِكِتَابِى هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ثمّ تنحّ عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فَٱنْظُرْ مَا ذَا يَرْجِعُونَ ما ذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (٢٩) قَالَتْ اى بعد ما القى اليها يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ لكرم مضمونه او مرسله او لانّه كان مختوما او لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوّة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به (٣٠) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ استيناف كانّه قيل لها ممّن هو وما هو فقالت انّه اى انّ الكتاب او العنوان من سليمان وَإِنَّهُ وانّ المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣١) أَلَّا تَعْلُوا عَلَىَّ أن مفسّرة او مصدريّة فتكون بصلتها خبر محذوف اى هو او المقصود أن لا تعلوا او بدلا من كتاب وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ مؤمنين او منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالّة على ذات الصانع وصفاته صريحا والتزاما والنهى عن الترفّع الّذى هو امّ الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامّهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجّة على رسالته حتّى يكون استدعاء للتقليد فانّ القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة (٣٢) قَالَتْ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى أَمْرِى اجيبونى فى امرى الفتىّ واذكروا ما تستصوبون فيه ركوع ١٨ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا اى ما أبتّ امرا حَتَّى تَشْهَدُونِ الّا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة (٣٣) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ بالاجساد والعدد وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ نجدة وشجاعة وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ موكول فَٱنْظُرِى مَا ذَا تَأْمُرِينَ من المقاتلة او الصلح نُطعك ونتبع رأيك (٣٤) قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً عنوة وغلبة أَفْسَدُوهَا تزييف لما احسّت منهم من الميل الى المقاتلة بادّعائهم القوى الذاتيّة والعرضيّة واشعار

*

جزء ١٩ بأنّها ترى الصلح مخافة ان يتخطّى سليمان خطّتهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثمّ انّ الحرب سجالٌ لا تُدْرَى عاقبتها وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ تأكيدٌ لما وصفت من حالهم وتقريرٌ بأنّ ذلك من عادتهم الثابتة المستمرّة او تصديقٌ لها من اللّه عزّ وجلّ (٣٥) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى انّى مرسلة رسلا بهديّة ادفعه بها عن ملكى فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ من حاله حتّى اعمل بحسب ذلك روى انّها بعثت مُنْذِر بن عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زىّ الجوارى وجوارىَ على زىّ الغلمان وحُقّا فيه دُرّة عذراء وجَزْعة مُعْوجّة الثقب وقالت ان كان نبيّا ميّز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرّة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلمّا وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شأنه تقاصرت اليهم نفوسهم فلمّا وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحُقّ وأُخبر عمّا فيه فأمر الأَرَضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرّة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثمّ تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثمّ ردّ الهديّة (٣٦) فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَانَ اى الرسولُ او ما اهدت اليه وقرئ فَلَمَّا جَآءُوا قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسِل على تغليب المخاطَب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فَمَا آتَانِيَ ٱللّٰهُ من النبوّة والمُلْك الّذى لا مزيد عليه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص بفتح الياء والباقون باسكانها وبامالتها الكسائىّ وحده خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ فلا حاجة لى الى هديّتكم ولا وَقْعَ لها عندى بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ لانّكم لا تعلمون الّا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما يُهْدَى اليكم حبّا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والإضرابُ عن انكار الامداد بالمال وتعليله الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمّة بالدنيا والزيادة فيها (٣٧) ٱرْجِعْ أيّها الرسول إِلَيْهِمْ الى بلقيس وقومها فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقرئ بِهِمْ وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا من سبا أَذِلَّةً بذهاب ما كانوا فيه من العزّ وَهُمْ صَاغِرُونَ أُسَراء مُهانون (٣٨) قَالَ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا اراد بذلك ان يُرِيَها بعض ما خصّه اللّه به من العجائب الدالّة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوّة ويختبرَ عقلها بأن ينكّر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ فانّها اذا اتت مُسْلمة لم يَحِلّ اخذه الّا برضاها (٣٩) قَالَ عِفْرِيتٌ خبيث مارد مِنَ ٱلْجِنِّ بيان له لانّه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفِّر أقرانَه وكان اسمه ذكوان او صخرا أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وَإِنِّي عَلَيْهِ على حمله لَقَوِيٌّ أَمِينٌ لا اختزل منه شيئا ولا

ركوع ١٨

ابدله (٤٠) قَالَ ٱلَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ ٱلْكِتَابِ آصف بن برخياء وزيره او الخضر او جبريل عليهما السلام جزء ١٩
او ملك ايّده اللّه به او سليمان عم نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وانّ هذه ركوع ١٨
الكرامة كانت بسببه والخطاب فى أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ للعفريت كانّه استبطأه فقال
له ذلك او اراد اظهار معجزة فى نقله فتحدّاهم اوّلا ثمّ اراهم انّه يتأتّى له ما لا يتأتّى لعفاريت الجنّ فضلا
عن غيرهم ، والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح ، وآتيك فى الموضعين صالح للفعليّة والاسميّة ،
والطَّرْف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولمّا كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله

وكنتَ اذا أرسلتَ طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتْك المناظرُ

وُصف بردّ الطرف والطرفُ بالارتداد والمعنى انّك ترسل طرفك نحو شىء فقبل ان تردّه أُحْضِرُ عرشها بين
يديك وهذا غايةٌ فى الاسراع ومَثَلٌ فيه فَلَمَّا رَآهُ اى العرش مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ حاصلا بين يديه قَالَ تلقيا
للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد اللّه تعالى هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى تفضّل به علىّ من غير
استحقاق ، والاشارةُ الى التمكّن من احضار العرش فى مدّة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او
غيره والكلامُ فى امكانِ مثله قد مرّ فى آية الاسراء لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ بأن اراه فضلا من اللّه بلا حول منّى ولا
قوّة وأقوم بحقّه أَمْ أَكْفُرُ بأن أجدَ نفسى فى البين او اقصّر فى اداء مواجبه ، ومحلّهما النصب على البدل
من الياء وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ لانّه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحطّ عنها عبء
الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ عن شكره كَرِيمٌ بالانعام عليه ثانيا
(٤١) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا بتغيير هيئته وشكله نَنْظُرْ جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف أَتَهْتَدِى
أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان باللّه ورسوله اذا رأت
تقدّم عرشها وقد خلّفته مغلقة عليه الابواب موكّلة عليه الحرّاس (٤٢) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ
تشبيها عليها زيادةً فى امتحان عقلها اذ ذُكرتْ عنده بسخافة العقل قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ولم تقل هو هو
لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ من تتمّة كلامها
كانّها ظنّت انّه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت وأوتينا العلمَ بكمال قدرة اللّه تعالى
وصحّة نبوّتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدّم من الآيات وقيل انّه من كلام سليمان عم وقومه
عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها باللّه ورسوله حيث جوّزت ان يكون ذلك عرشها
تجويزا غالبا واحضاره ثَمّ من المعجزات الّتى لا يقدر عليها غيرُ اللّه ولا تظهر الّا على الانبياء اى وأوتينا
العلم باللّه وقدرته وصحّة ما جاء من عنده قبلها وكنّا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم
فيه التحدّث بما انعم اللّه عليهم من التقدّم فى ذلك شكرا له (٤٣) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ

جزء ١٩ اى وصدّها عبادتها الشمس عن التقدّم الى الاسلام او صدّها اللّهُ عن عبادتها بالتوفيق للايمان إِنَّهَا
ركوع ١٨ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ وقرئ بالفتح على الابدال من فاعلِ صَدَّ على الاوّل اى صدّها نشوُها بين اظهُر
الكفّار او التعليل له (٤٤) قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ القصر وقيل عرصة الدار فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا روى انّه امر قبل قدومها فبُنى قصرٌ صَحْنُه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء
والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلمّا ابصرته ظنّته ماء راكدا فكشفت
عن ساقيها ، وقرأ ابن كثير برواية قنبل سَأْقَيْهَا بالهمز حملا على جمعه سُؤُوق وأَسْؤُق قَالَ إِنَّهُ ما تظنّينه
ماء صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مملّس مِنْ قَوَارِيرَ من الزجاج (٤٥) قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بعبادتى الشمس وقيل
بظنّى بسليمان فانّها حسبت انّه يُغرقها فى اللجّة وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ فيما امر به عبادَه
ركوع ١٩ وقد اختُلف فى انّه تزوّجها او زوّجها مِنْ ذى تُبّع ملك همْدان (٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا
أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ بأَنِ اعْبدوه وقرئ بضمّ النون على اتْباعها الباء فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ففاجَؤوا
التفرّق والاختصامَ فآمن فريق وكفر فريق والواوُ لمجموع الفريقين (٤٧) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ قبل التوبة فتؤخّرونها الى نزول العقاب فانّهم
كانوا يقولون إِنْ صَدَقَ ايعاده تُبْنا حينئذ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ قبل نزوله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ بقبولها
فانّها لا تقبل حينئذ (٤٨) قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا تشاءمنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا
الافتراق منذ اخترعتم دينكم قَالَ طَائِرُكُمْ سببكم الّذى جاء منه شرّكم عِنْدَ ٱللَّهِ وهو قَدَرُه او
عملُكم المكتوب عنده بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ تُختَبرون بتعاقب السرّاء والضرّاء والاضرابُ من بيان
طائرهم الّذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه (٤٩) وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ
تسعة انفس وانّما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انّه من الثلاثة او السبعة
الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ اى شأنُهم الافساد الخالص عن
سوب الصلاح (٥٠) قَالُوا اى قال بعضهم لبعض تَقَاسَمُوا بِٱللَّهِ امرٌ مقول او خبرٌ وقع بدلا او حالا باضمارِ
قَدْ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ لنباغتنّ صالحا وأهله ليلا وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ
بالياء على انّ تقاسموا خبر ثُمَّ لَنَقُولَنَّ فيه القراءات الثلاث لِوَلِيِّهِ لولىّ دمه مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ فضلا
ان تولّينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مَهْلَكَ فى قراءة حفص فانّ مَفْعِلا قد
جاء مصدرا كمَرْجِع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ونحلف انّا لصادقون او

والحال انّا لصادقون فيما ذكرنا لانّ الشاهد للشيء غير المباشر له عُرْفًا او لانّا ما شهدنا مهلكهم جزء ١٩ وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثَمّ رَجُلا بل رجلين (٥١) وَمَكَرُوا مَكْرًا بهذه المواضعة وَمَكَرْنَا مَكْرًا ركوع ١٩ بأن جعلناها سببا لاهلاكهم وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بذلك روى انّه كان لصالح في الحِجْر مسجد في شِعْب يصلّي فيه فقالوا زعم انّه يفرغ منّا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشِّعْب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حِيالَهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمّ وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه بقوله (٥٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ انَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ وكان إن جُعلتْ ناقصة فخبرها كيف وانّا دمّرناهم استيناف او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامّة فكيف حال وقرأ الكوفيّون ويعقوب أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ بالفتح على انّه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال (٥٣) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انّه خبر مبتدإ محذوف بِمَا ظَلَمُوا بسبب ظلمهم إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فيتّعظون (٥٤) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا صالحا ومن معه وَكَانُوا يَتَّقُونَ الكفر والمعاصي فلذلك خُصّوا بالنجاة (٥٥) وَلُوطًا واذكرْ لوطا او وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ بدل على الاوّل وظرف على الثاني أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ تعلمون فُحْشَها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانّهم كانوا يعلنون بها فتكون افحش (٥٦) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً بيان لاتيانهم الفاحشةَ وتعليلُه بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على انّ الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوَطَر مِنْ دُونِ النِّسَاءِ اللّاتى خُلقن لذلك بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ تفعلون فعلَ مَنْ يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميّز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة ، والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطَب (٥٧) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ اى يتنزّهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعُدّون فعلنا قذرا (٥٨) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ قدّرنا كونها من الباقين في العذاب (٥٩) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ مرّ مثله (٦٠) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى امر رسولَه صلعم بعد ما قصّ عليه القصص الدالّة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خصّ به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلّمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحقّ تقدّمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بأن يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلّم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ الزام لهم وتهكّم بهم وتسفيه لرائهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتّى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كلّ خير ، وقرأ ابو عمرو

جزء ١٩ وعاصم ويعقوب بالياء (٦١) أَمَّنْ بل أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ٱلَّتى هى اصول الكائنات ومبادى المنافع ،
ركوع ٢٠ وقرئ أَمَنْ بالتخفيف على انّه بدل من اللّه وَأَنْزَلَ لَكُمْ لاجلكم مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ عدل به عن الغيبة الى التكلّم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على انّ انبات الحدائق البهيّة المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من الموادّ المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا شجر الحدائق وهى البساتين من الاحداق وهو الاحاطة أَإِلٰهٌ مَعَ ٱللّٰهِ اغيره يُقرن به ويُجعَل له شريكا وهو المنفرد بالخلق والتكوين ، وقرئ أَإِلٰهًا باضمار فعل مثل اتدعون او اتشركون وبتوسيط مدّة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ عن الحقّ الّذى هو التوحيد (٦٢) أَمَّنْ جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا بدل من امّن خلق السموات ، وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتّى استقرار الانسان والدوابّ عليها وَجَعَلَ خِلَالَهَا وسطها أَنْهَارًا جارية وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِىَ جبالا تتكوّن فيها المعادن وتنبع من حضيضها المنابع وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ العذب والمالح او خليجَىْ فارس والروم حَاجِزًا برزخا وقد مرّ بيانه فى الفرقان أَإِلٰهٌ مَعَ ٱللّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الحقّ فيشركون به (٦٣) أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ المضطرّ الّذى احوجه شدّة ما به الى اللجاء الى اللّه من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كلّ مضطرّ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ويدفع عن الانسان ما يسوءه وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ خلفاء فيها بأن ورّثكم سكناها والتصرّف فيها ممّن قبلكم أَإِلٰهٌ مَعَ ٱللّٰهِ ٱلَّذى خصّكم بهذه النعم العامّة والخاصّة قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ اى تذكّرون آلاءه تذكّرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلّة العدم او الحقارة المُزيحة للفائدة ، وقرأ ابو عمرو وهشام وروح بالياء وحمزة والكسائىّ وحفص بالتاء وتخفيف الذال (٦٤) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بالنجوم وعلامات الارض ، والظلمات ظلمات الليالى واضافتها الى البرّ والبحر للملابسة او مشتبهات الطُرُق يقال طريقة ظلماء وعمياء للّتى لا منار بها وَمَنْ يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ يعنى المطر ولو صحّ انّ السبب الاكثرىّ فى تكوّن الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرّها وتموّجها الهواء فلا شكّ انّ الاسباب الفاعليّة والقابليّة لذلك من خلق اللّه تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبّب أَإِلٰهٌ مَعَ ٱللّٰهِ يقدر على مثل ذلك تَعَالَى ٱللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق (٦٥) أَمَّنْ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالّة عليها وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ اى بأسباب سماويّة وارضيّة أَإِلٰهٌ مَعَ ٱللّٰهِ يفعل ذلك قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ على انّ غيره يقدر على شىء من ذلك إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى اشراككم فانّ كمال القدرة من لوازم الالوهيّة (٦٦) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللّٰهُ لمّا بيّن اختصاصه

بالقدرة التامّة الفائقة العامّة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرّد بعلم الغيب ، والاستثناء منقطعٌ ورفعُ جزء ۲۰
المستثنى على اللغة التميميّة للدلالة على انّه تعالى ان كان ممّن فى السموات والارض ففيها من يعلم ركوع ۱
الغيب مبالغةً فى نفيه عنهم او متّصلٌ على انّ المراد ممّن فى السموات والارض من تعلّق علمه بها واطّلع
عليها اطّلاعَ الحاضر فيها فانّه يعمّ اللّه وأُولى العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وَمَا يَشْعُرُونَ
(٦٧) أَيَّانَ يُبْعَثُونَ متى يُنْشَرون مركّبةٌ من أىّ وآن وقرئت بكسر الهمزة ، والضمير لِمَنْ وقيل للكفرة
(٦٨) بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ لمّا نفى عنهم علم الغيب واكّد ذلك بنفى شعورهم بما هو مآلهم لا
محالة بالغ فيه بأن اضرب عنه وبيّن انّ ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو انّ
القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغى بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْهَا كمن تحيّر فى الامر لا يجد عليه دليلا
بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختصّ بالمشركين ممّن فى السموات
والارض نُسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكلّ والاضراباتُ الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل
الاوّل اضراب عن نفى الشعور بوقت القيامة عنهم الى وصفهم باستحكام علمهم فى امر الآخرة تهكّما بهم
وقيل أَدْرَكَ بمعنى انتهى واضمحلّ من قولهم أَدْرَكَتِ الثمرةُ لانّ تلك غايتها الّتى عندها تُعْدَم وقرأ
نافع وابن عامر وحمزة والكسائىّ وحفص بَلِ ٱدَّارَكَ بمعنى تتابع حتّى استحكم او تتابع حتّى انقطع من
تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وابو بكر ٱدَّرَكَ وأَصْلُهما تفاعل وافتعل وقرئ أَأَدْرَكَ بهمزتين وءاأَدْرَكَ
بألف بينهما وبَلِ ٱدَّرَكَ وبَلْ تَدَارَكَ وبَلَى أَدْرَكَ وبَلَى أَأَدْرَكَ وأَمْ أَدْرَكَ وأَمْ تَدَارَكَ وما فيه استفهامٌ صريحٌ او
مضمّنٌ من ذلك فانكارٌ وما فيه بَلَى فاثباتٌ لشعورهم وتفسيرٌ له بالادراك على التهكّم وما بعده اضرابٌ
عن التفسير مبالغةً فى نفيه ودلالةً على انّ شعورهم بها انّهم شاكّون فيها بل انّهم منها عمون او ردٌّ
وانكارٌ لشعورهم (٦٩) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ كالبيان لعمههم ، والعامل ركوع ۲
فى اذا ما دلّ عليه ائنّا لمخرجون وهو نُخْرَج لا مخرجون لانّ كلّا من الهمزة وانّ واللام مانعة من عمله
فيما قبلها ، وتكريرُ الهمزة للمبالغة فى الانكار ، والمرادُ بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال
الفناء الى الحيوة ، وقرأ نافع اِذَا كُنَّا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائىّ اِنَّنَا بنونين على الخبر
(٧٠) لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِنْ قَبْلُ من قبل وعد محمّد ، وتقديمُ هٰذَا على نَحْنُ لانّ المقصود
بالذكر هو البعث وحيث أُخّر فالمقصود به المبعوث إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ الّتى هى كالأسمار
(٧١) قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن
ينزل بهم مثلُ ما نزل بالمكذّبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين فى ترك الجرائم
(٧٢) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ على تكذيبهم واعراضهم وَلَا تَكُنْ فِى ضَيْقٍ فى حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر
الضاد وهما لغتان وقرئ ضَيِّق اى امرٍ ضيّق مِمَّا يَمْكُرُونَ من مكرهم فانّ اللّه يعصمك من الناس

جزء ٢٠ ركوع ٢ (٧٣) وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا ٱلْوَعْدُ العذاب الموعود إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧٤) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ تبعكم ولحقكم واللامُ مزيدة للتأكيد او الفعل مضمّن معنى فعل يعدّى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ حلوله وهو عذابُ يوم بدر ، وعسى ولعلّ وسوف فى مواعيد الملوك كالجزم بها وانّما يطلقونها اظهارا لوقارهم واشعارا بانّ الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وَعْد اللّه ووعيده (٧٥) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ بتأخير عقوبتهم على المعاصى ، والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ لا يعرفون حقّ النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه (٧٦) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اى سترت وَمَا يُعْلِنُونَ من عداوتك فيجازيهم عليه (٧٧) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما فى الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء فى عافية وعاقبة إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ بيّن او مبيّن ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة (٧٨) إِنَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنّة والنار وعزير والمسيح (٧٩) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فانّهم المنتفعون به (٨٠) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ بين بنى اسرائيل بِحُكْمِهِ بما يحكم به وهو الحقّ او بحكمته ويدلّ عليه انّه قرئ بِحِكَمِهِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ فلا يُرَدّ قضاؤه ٱلْعَلِيمُ بحقيقة ما يقضى فيه وحكمه (٨١) فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللّٰهِ ولا تبال بمعاداتهم إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ وصاحب الحقّ حقيقٌ بالوثوق بحفظ اللّه ونصره (٨٢) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَى تعليل آخر للامر بالتوكّل من حيث انّه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانّما شبّهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يُتْلَى عليهم كما شبّهوا بالصمّ فى قوله وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ فانّ اسماعهم فى هذه الحالة أَبْعَد ، وقرأ ابن كثير وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ (٨٣) وَمَا أَنْتَ بِهَادِى ٱلْعُمْىِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ حيث الهداية لا تحصل الّا بالبصر ، وقرأ حمزة وحده وَمَا أَنْتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ إِنْ تُسْمِعُ اى ما يُجْدى اسماعك إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا من هو فى علم اللّه كذلك فَهُمْ مُسْلِمُونَ مخلصون من اسلم وَجْهَه للّه (٨٤) وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ اذا دنا وقوع معناه وهو ما وُعدوا به من البعث والعذاب أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ ٱلْأَرْضِ وهى الجسّاسة روى انّ طولها ستّون ذراعا ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى انّه عم سُئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمةً على اللّه يعنى المسجد الحرام تُكَلِّمُهُمْ من الكلام وقيل من الكَلْم اذ قرئ تَكْلِمُهُمْ وروى انّها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتنكت بالعصا فى مسجد المؤمن نكتةً

بيضاء فيبيضّ وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسودّ وجهه إِنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا جزء ٢٠
خروجها وسائر احوالها فانّها من آيات اللّه تعالى وقيل القران ٬ وقرأ الكوفيّون أَنَّ ٱلنَّاسَ بالفتح لَا يُوقِنُونَ ركوع ٢
لا يتيقّنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول اللّه او علّة خروجها او تكلّمها على حذف الجارّ
(٨٥) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا يعنى يوم القيامة مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا بيان للفوج اى فوجا مكذّبين ركوع ٣
ومن الاولى للتبعيض لانّ امّة كلّ نبىّ واهل كلّ قرن شامل للمصدّقين والمكذّبين فَهُمْ يُوزَعُونَ يُحبس
اوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم (٨٦) حَتَّى إِذَا جَاءُوا الى المحشر
قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا الواو للحال اى اكذّبتم بها بادئ الرأى غير ناظرين فيها
نظرا يحيط علمكم بكنهها وأنّها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اى اجمعتم بين التكذيب
بها وعدم القاء الاذهان لتحقّقها أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ام اىّ شىء كنتم تعملون بعد ذلك وهو للتبكيت
اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك (٨٧) وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ
حلّ بهم العذاب الموعود وهو كبّهم في النار بعد ذلك بِمَا ظَلَمُوا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات
اللّه فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ باعتذار لشغلهم بالعذاب (٨٨) أَلَمْ يَرَوْا ليتحقّق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز
الحشر وبعثة الرسل لانّ تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعيّن بذاته لا يكون الّا بقدرة قاهر
وأنّ من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادّة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في موادّ الابدان وأنّ
من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعلّه لا يخلّ بما هو مناط جميع مصالحهم في
معاشهم ومعادهم أَنَّا جَعَلْنَا ٱللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ بالنوم والقرار وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا فانّ اصله ليبصروا فيه فبولغ
فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفكّ عنها إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
لدلالتها على الامور الثلاثة (٨٩) وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ في الصَّوَر او القرن وقيل انّه تمثيل لانبعاث الموتى
بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق فَفَزِعَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ من الهول عبّر عنه بالماضى
لتحقّق وقوعه إِلَّا مَنْ شَاءَ ٱللَّهُ ان لا يفزع بأن يثبّت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل
وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانّه صعق مرّة ولعلّ المراد ما
يعمّ ذلك وَكُلٌّ آتُوهُ حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره ٬ وقرأ حمزة وحفص أَتَوْهُ
على الفعل وقرئ أَتَاهُ على التوحيد للفظ الكلّ دَاخِرِينَ صاغرين وقرئ دَخِرِينَ (٩٠) وَتَرَى ٱلْجِبَالَ
تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ثابتة في مكانها وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ في السرعة وذلك لانّ الاجرام الكبار اذا تحرّكت
في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها صُنْعَ ٱللَّهِ مصدر موكّد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدّمة
كقوله وَعْدَ اللَّهِ ٱلَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ احكم خلقه وسوّاه على ما ينبغى إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ عالم
بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيكم عليها كما قال (٩١) مَنْ جَاءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا اذ ثبت

*

جزء ٢٠ له الشريف بالخسيس والباقى بالفانى وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها وهو
ركوع ٣ الجنّة، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام يَفْعَلُونَ بالياء والباقون بالتاء وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ يعنى به خوف عذاب يوم القيامة وبالاوّل ما يلحق الانسان من التهيّب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك نعمّ الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيّون بالتنوين لانّ المراد فزع واحد من أفزاع ذلك اليوم، وآمن يعدّى بالجارّ وبنفسه كقوله تعالى افأمنوا مكرَ اللّه، وقرأ الكوفيّون ونافع يَوْمَئِذٍ بفتح الميم والباقون بكسرها (٩٢) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ قيل بالشرك فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ فكبّوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى فى قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ على الالتفات او اضمار القول اى قيل لهم ذلك (٩٣) إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا امر الرسول ان يقول لهم ذلك بعد ما بيّن المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانّه قد اتمّ الدعوة وقد كملت وما عليه بعدُ الّا الاشتغال بشأنه والاستغراق فى عبادة ربّه، وتخصيص مكّة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها، وقرئ ٱلَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ خلقا وملكا وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ المنقادين او الثابتين على ملّة الاسلام (٩٤) وَأَنْ أَتْلُوَ ٱلْقُرْآنَ وان اواظب على تلاوته لتنكشف لى حقائقه فى تلاوته شيئا فشيئا او اتّباعه، وقرئ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ وأَنِ ٱتْلُ فَمَنِ ٱهْتَدَى باتّباعه ايّاى فى ذلك فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ فانّ منافعه عائدة اليه وَمَنْ ضَلَّ بمخالفتى فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ فلا علىّ من وبال ضلاله شىء اذ ما على الرسول الّا البلاغ وقد بلّغتُ (٩٥) وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ على نعمة النبوّة او على ما علّمنى ووفّقنى للعمل به سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابّة الارض او فى الآخرة فَتَعْرِفُونَهَا فتعرفون انّها آيات اللّه ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فلا تحسبوا انّ تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ فى السبعة بالياء، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة طسٓ كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق سليمان وكذّب به وهودا وصالحا وابرهيم وشعيبا ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الّا اللّه .

سُورَةُ ٱلْقَصَصِ

مكّيّة وقيل الّا قوله الّذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وآيها ثمان وثمانون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٤ (١) طسٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ نقرأ بقراءة جبريل ويجوز ان يكون بمعنى نُنزّله مجازا مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بعض نبئهما مفعول نتلو بِٱلْحَقِّ محقّين لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانّهم المنتفعون به

جزء ٢٠ ركوع ٤

(٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ استيناف مبيّن لذلك البعض ٬ والارض ارض مصر وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته او اصنافا فى استخدامه استعمل كلّ صنف فى عمل او احزابا بأن اغرى بينهم العداوة كيلا يتّفقوا عليه يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ وهم بنو اسرائيل والجملة حالٌ من فاعل جعل او صفةٌ لشيعا او استينافٌ وقوله يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَآءَهُمْ بدل منها وكان ذلك لانّ كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يَذْهَب مُلْكُك على يده وكان ذلك من غاية حمقه فانّه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيّل فاسد

(٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ ان نتفضّل عليهم بانقاذهم من بأسه ٬ ونريد حكايةُ حال ماضية معطوفة على انّ فرعون علا من حيث انّهما واقعان تفسيرا للنبا او حالٌ من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة الاستضعافَ مقارنةُ المراد له لجواز ان يكون تعلّق الارادة به حينئذ تعلّقا استقباليّا مع انّ منّة اللّه بخلاصهم لمّا كانت قريبة الوقوع منه جاز ان تجرى مجرى المقارن وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً مقدّمين فى امر الدين وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ لما كان فى ملك فرعون وقومه

(٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ارض مصر والشأم ٬ وأصل التمكين ان تجعل للشىء مكانا يتمكّن فيه ثمّ استعير للتسليط واطلاق الامر وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم من بنى اسرائيل مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ٬ وقرأ حمزة والكسائىّ وَيَرَى بالياء وفِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَجُنُودُهُمَا بالرفع

(٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى بالهام او رؤيا أَنْ أَرْضِعِيهِ ما امكنك اخفاؤه فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ بأن يحسّ به فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فى البحر يريد النيل وَلَا تَخَافِي عليه ضيعة ولا شدّة وَلَا تَحْزَنِي لفراقه إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ عن قريب بحيث تأمنين عليه وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ روى انّها لمّا ضربها الطلق دعت قابلة من الموكّلات بحبالى بنى اسرائيل فعالجتها فلمّا وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبّه قلبها بحيث منعها من السعاية فأرضعته ثلاثة اشهر ثمّ الحّ فرعون فى طلب المواليد واجتهد العيون فى تفحّصها فأخذت له تابوتا فقذفته فى النيل

(٧) فَٱلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا تعليل لالتقاطهم ايّاه بما هو عاقبته ومؤدّاه تشبيها له بالغرض الحامل عليه ٬ وقرأ حمزة والكسائىّ وَحُزْنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ فى كلّ شىء فليس ببدع منهم ان قتلوا ألوفا لأجله ثمّ اخذوه يربّونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم اللّه سبحانه وتعالى بأن ربّى عدوّهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به ٬ وقرئ خَاطِينَ تخفيف خاطئين او خاطين الصوابَ الى الخطاء

(٨) وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ اى لفرعون حين اخرجته من التابوت قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ هو قرّة عين لنا لانّهما لمّا رأياه أُخْرِج من التابوت احبّاه او لانّه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطبّاء بريق حيوان بحرىّ

جزء ۲۰ يُشْبِه الانسانَ فلطخت برصها بريقه فبرئت وفى الحديث انّه قال لك لا لى ولو قال لى كما هو لك لهداه ركوع ۴ اللّه كما هداها لَا تَقْتُلُوهُ خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا فانّ فيه مخايل اليُمْن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابْهامَه لبَنًا وبُرْء البرصاء بريقه أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا او نتبنّاه فانّه اهل له وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له اى وهم لا يشعرون انّهم على الخطاء فى التقاطه او فى طمع النفع منه والتبنّى له او من احد ضميرى نتّخذه على انّ الضمير للناس اى وهم لا يشعرون انّه لغيرنا وقد تبنّيناه (۹) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا صفْرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله وأَفْئِدَتُهم هَواء اى خلاء لا عقول فيها ويؤيّده انّه قرئ فَزِغًا من قولهم دِماؤُهم بينهم فَزِغٌ اى هَدَرٌ او من الهمّ لفرط وثوقها بوعد اللّه تعالى او سماعها انّ فرعون عطف عليه وتبنّاه إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ انّها كادت لتظهر بموسى اى بأمره وقصّته من فرط الضجر او الفرح بتبنّيه لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا بالصبر والثبات لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ من المصدّقين بوعد اللّه او من الواثقين بحفظه لا بتبنّى فرعون وعطفه ، وقرئ مُؤْسَى اجراء للضمّة فى جوار الواو مجرى ضمّتها فى استدعاء همزها همْز واوِ وُجوه ، وهو علّة الربط وجواب لولا محذوف دلّ عليه ما قبله (۱۰) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ مريم قُصِّيهِ اتّبعى اثره وتتبّعى خبره فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ عن بُعْد وقرئ عَنْ جَانِبٍ وعَنْ جَنْبٍ وهو بمعناه وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ انّها تقصّ او انّها اخته (۱۱) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمعُ مُرْضِع او مَرْضَع وهو الرضاع او موضعه يعنى الثدى مِنْ قَبْلُ من قبل قصّها اثره فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ لأجلكم وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ لا يقصّرون فى ارضاعه وتربيته روى انّ هامان لمّا سمعه قال انّها لتعرفه وأهلَه فخذوها حتّى تُخْبِر بحاله فقالت انّما اردتُ وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتى بمن يكفله فأتت بامّها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلّله فلمّا وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انتِ منه فقد ابى كلّ ثدى الّا ثديك فقالت انّى امرأة طيّبة الريح طيّبة اللبن لا أُوتَى بصبىّ الّا قبلنى فدفعه اليها وأجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله (۱۲) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا بولدها وَلَا تَحْزَنَ بفراقه وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ علم مشاهدة وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ انّ وعده حقّ فيرتابون فيه او انّ الغرض الاصلىّ من الردّ علْمُها بذلك وما سواه تبعٌ وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون (۱۳) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ

ركوع ۵ مَبْلَغه الّذى لا يزيد عليه نشوُه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فانّ العقل يكمل حينئذ وروى انّه لم يُبْعَث نبىّ الّا على رأس اربعين وَاسْتَوَى قدّه او عقله آتَيْنَاهُ حُكْمًا نبوّة وَعِلْمًا بالدين او علم الحكماء والعلماء وسَمْتهم قبْلَ استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يُسْتَجهل فيه وهو اوفق لنظم القصّة لانّ

استنباءه بعد الهجرة في المراجعة وَكَذَٰلِكَ ومثل ذلك الّذى فعلنا بموسى وامّه نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ على جزء ٢٠
احسانهم (١٤) وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ ودخل مصرَ آتيا من قصر فرعون وقيل مَنْف او حائين او عين الشمس كوع ٥
من نواحيها عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا في وقت لا يُعْتاد دخولها ولا يتوقّعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ احدهما ممّن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عُدّى بعلى وقرئ ٱسْتَعَانَهُ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فضرب القبطيّ بجُمْع كفّه وقرئ فَلَكَزَهُ اى فضرب به صدره فَقَضَىٰ عَلَيْهِ فقتله وأصله فأنهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ لانّه لم يؤمر بقتل الكفّار او لانّه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطاء وانّما عدّه من عمل الشيطان وسمّاه ظلمًا واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقّرات فرطت منهم إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوة (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى بقتله فَٱغْفِرْ لِى ذنبى فَغَفَرَ لَهُ لاستغفاره إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ لذنوب عباده ٱلرَّحِيمُ بهم (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ قسم محذوف الجواب اى أُقْسِمُ بانعامك علىّ بالمغفرة وغيرها لأتوبنّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ او استعطاف اى بحقّ انعامك علىّ اعصمنى فلن اكون معينا لمن ادّت معاونته الى جُرْم وعن ابن عبّاس لم يَسْتَثنِ فابتُلى به مرّة اخرى وقيل معناه بما انعمت علىّ من القوّة أُعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك (١٧) فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ يترصّد الاستقادة فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ يستغيثه مشتقّ من الصراخ قَالَ لَهُ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ بيّن الغواية لانّك تسبّبت لقتل رجل وتقاتل آخر (١٨) فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا لموسى وللاسرائيليّ لانّه لم يكن على دينهما ولانّ القبط كانوا اعداء لبنى اسرائيل قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ قاله الاسرائيليّ لانّه لمّا سمّاه غويّا ظنّ انّه يبطش عليه او القبطيّ وكأنّه توهّم من قوله انّه الّذى قتل القبطيّ بالامس لهذا الاسرائيليّ إِن تُرِيدُ ما تريد إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ تطاول على الناس ولا تنظر في العواقب وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ بين الناس فتدفع التخاصم بالّتى هى احسن ولمّا قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه وهمّوا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمّه ليخبره كما قال (١٩) وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جُعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لانّ تخصيصه بها يُلحقه بالمعارف قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ يتشاورون بسببك وانّما سمّى التشاور ائتمارا لانّ كلّا من

جزء ٢٠ ركوع ٥ ركوع ٦

المتشاورين بأمر الآخر ويأتمر فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّاصِحِينَ اللام للبيان وليس صلة للناصحين لانّ معمول الصلة لا يتقدّم الموصول (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا من المدينة خَائِفًا يَتَرَقَّبُ لحوق طالب قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ خلّصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قُبالة مدين قرية شعيب سمّيت باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ توكّلا على اللّه وحُسْنَ ظنّ به وكان لا يعرف الطريق فعنّ له ثلاث طرق فأخذ فى اوسطها وجاء الطُلّابُ عقيبه فأخذوا فى الآخرَيْن (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وصل اليه وهو بئر كانوا يسعون منها وَجَدَ عَلَيْهِ فوق شفيرها أُمَّةً مِنَ ٱلنَّاسِ جماعة كثيرة مختلفين يَسْقُونَ مواشيهم (٢٣) وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ فى مكان اسفل منهم ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ تمنعان اغنامهما عن الماء لئلّا تختلط بأغنامهم قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ما شأنكما تذودان قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّى يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ يَصْرِف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لانّ الغرض هو بيان ما يدلّ على عفّتهما ويدعوه الى السقى لهما ثَمّ دونه ، وقرأ ابو عمرو وابن عامر يَصْدُرَ اى ينصرف وقرئ ٱلرُّعَآءُ بالضمّ وهو اسم جمع كالرُخال وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ كبير السنّ لا يستطيع ان يخرج للسقى فيرسلنا اضطرارا (٢٤) فَسَقَى لَهُمَا مواشيهما رحمةً عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يُقِلّه الّا سبعة رجال او اكثر فأقلّه وحده مع ما كان به من الوَصَب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئر اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ لاىّ شىء انزلت مِنْ خَيْرٍ قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فَقِيرٌ محتاج سائل ولذلك عُدّى باللام وقيل معناه انّى لما انزلت الىّ من خير الدين صرتُ فقيرا فى الدنيا لانّه كان فى سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجّح والشكر على ذلك (٢٥) فَجَآءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ اى مستحيية متخفّرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صَفْراء وهى الّتى تزوّجها موسى عم قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ ليكافئك أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا جزاء سقيك لنا ولعلّ موسى انّما اجابها ليتبرّك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر بل روى انّه لمّا جاءه قدّم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انّا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتّى قال شعيب هذه عادتنا مع كلّ من ينزل بنا هذا وانّ من فعل معروفا فأُهدى بشىء لم يحرم اخذه فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ يريد فرعون وقومه (٢٦) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يعنى الّتى استدعته يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ لرعى الغنم إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ تعليل شائع يجرى مجرى الدليل على انّه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خيرَ اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انّه امرؤٌ مجرّبٌ معروفٌ روى انّ شعيبا قال لها

وما اعلمك بقوّته وأمانته فذكرت اقلال الحجر وانّه صوّب رأسه حتّى بلّغتْه رسالتَه وأمرها بالمشى خلفه جزء ٢٠
(٢٧) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ان تأجر نفسك منّى او تكون لى ركوع ٩
اجيرا او تُثيبنى من أَجَرَك اللّهُ ثَمَانِيَ حِجَجٍ ظرف على الاوّلين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اى رِعْيَة ثمانى حجج فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا عمل عشر حجج فَمِنْ عِندِكَ فاتمامه من عندك تفضّلا لا من عندى الزاما عليك ، وهذا استدعاء العَقْد لا نفسه فلعلّه جرى على معيّنة وبمَهْرٍ آخَرَ او برعية الاجل الاوّل ووَعَدَ له ان يوفى الاخيرَ إن تيسّر له قَبْلَ العَقْد وكانت الاغنام للمزوّجة مع انّه يمكن اختلاف الشرائع فى ذلك وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ بالزام اتمام العشر او المناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقّة من الشقّ فانّ ما يصعب عليك يشقّ عليك اعتقادك فى اطاقته ورأيك فى مزاولته سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة (٢٨) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ اى ذلك الّذى عاهدتنى فيه قائم بيننا لا نخرج عنه أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ اطولهما او اقصرهما قَضَيْتُ وفيتك ايّاه فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ فلا يُعتدى علىّ بطلب الزيادة فكما لا اطالَب بالزيادة على العشر لا اطالَب بالزيادة على الثمانى او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اِثْمَ علىّ وهو ابلغ فى اثبات الخِيَرة وتساوى الاجلين فى القضاء من ان يقال إن قضيت الاقصر فلا عدوان علىّ ، وقرئ أَيْمَا كقوله

تنظّرتُ نَصْرًا والسِماكَيْنِ أَيْهُمَا علىَّ من الغَيْثِ ٱسْتَهَلَّتْ مَواطِرُهْ

وأىَّ ٱلْأَجَلَيْنِ مَا قَضَيْتُ فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اى اىّ الاجلين جرّدتُ عزمى لقضائه وعِدْوَانَ بالكسر وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ من المشارطة وَكِيلٌ شاهد حفيظ (٢٩) فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ركوع ٧
وَسَارَ بِأَهْلِهِ بامرأته رُوى انّه قضى اقصى الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشرا اخرى ثمّ عزم على الرجوع آنَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ابصر من الجهة الّتى تلى الطور قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا إِنِّيٓ آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ بخبر الطريق أَوْ جِذْوَةٍ عود غليظ سواء كان فى رأسه نار او لم تكن قال

باتت حواطبُ لَيْلَى يَلْتَمِسن لها جَزْلَ الجِذَى غيرَ خَوّارٍ ولا دَعِرِ

وقال

وأَلْقَى على قَبْسٍ من النار جِذْوَةً شديدا عليه حرُّها والتهابُها

ولذلك بيّنه بقوله مِنَ ٱلنَّارِ وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضمّ وكلّها لغات لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ تستدفئون بها (٣٠) فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ متّصل بالشاطئ او صلة لنودى مِنَ ٱلشَّجَرَةِ بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانّها كانت نابتة على الشاطئ أَن يَا مُوسَىٰٓ اى يا موسى إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ هذا وان خالف ما فى طٰهٰ والنمل فى اللفظ

جزء ٢٠ فهو طِبْقه فى المقصود (٣١) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ اى فألقاها فصارت ثعبانا واهتزّت فلمّا رآها تهتزّ
ركوع ٧ كَأَنَّهَا جَانٌّ فى الهيئة والجثّة او فى السرعة وَلَّى مُدْبِرًا منهزما من الخوف وَلَمْ يُعَقِّبْ ولم يرجع يَا مُوسَى
نودى يا موسى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ عن المخاوف فانّه لا يخاف لدىّ المرسلون (٣٢) اُسْلُكْ
يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ادخلها تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ عيب وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ يديك المبسوطتين تتّقى
بهما الحيّة كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما فى الجيب
فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدوّ اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز
ان يراد بالضمّ التجلّد والثبات عند انقلاب العصا حيّة استعارة من حال الطائر فانّه اذا خاف نشر
جناحيه واذا امن واطمأنّ ضمّهما اليه مِنَ الرَّهْبِ من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك
تجلّدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ وابو بكر بضمّ الراء وسكون الهاء وقرئ بضمّهما
وقرأ حفص بالفتح والسكون والكلّ لغات فَذَانِكَ اشارة الى العصا واليد وشدّده ابن كثير وابو عمرو
ورويس بُرْهَانَانِ حجّتان وبرهان فُعْلان لقولهم أَبْرَهَ الرجلُ اذا جاء بالبرهان من قولهم بَرِهَ الرجلُ اذا
ابيضّ ويقال بَرْهاء وَبَرَهْرَهَةٌ للمرأة البيضاء وقيل فُعْلال لقولهم بَرْهَنَ مِنْ رَبِّكَ مُرْسَلًا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فكانوا احقّاء بأن يرسل اليهم (٣٣) قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ
بها (٣٤) وَأَخِى هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا مُعينا وهو فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء
وقرأ نافع رِدًا بالتخفيف يُصَدِّقُنِى بتلخيص الحقّ وتقرير الحجّة وتزييف الشبهة إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ
ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجّة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنّه اسند اليه اسنادَ الفعل
الى السبب ، وقرأ عاصم وحمزة يُصَدِّقُنِى بالرفع على انّه صفة والجواب محذوف (٣٥) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ
سنقوّيك به فانّ قوّة الشخص بشدّة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبّر عنه باليد وشدّتها بشدّة
العضد وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا غلبة او حجّة فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا باستيلاء او حجاج بِآيَاتِنَا متعلّق
بمحذوف اى اذهبا بآياتنا او بنجعل اى نسلّطكما بها او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم او
قسمٌ جوابه لا يصلون او بيانٌ للغالبون فى قوله أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ بمعنى انّه صلة لما بيّنه
او صلة له على انّ اللام فيه للتعريف لا بمعنى الّذى (٣٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا
إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى سحر تختلقه لم يُفْعَلْ قبلُ مثلُه او سحر تعمله ثمّ تفتريه على اللّه او سحر موصوف
بالافتراء كسائر انواع السحر وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا يعنون السحر او ادّعاء النبوّة فِى آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ كائنا فى
ايّامهم (٣٧) وَقَالَ مُوسَى رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ فيعلم انّى محقّ وانتم مُبْطِلون ، وقرأ
ابن كثير قَالَ بغير واو لانّه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف انّ المراد حكاية القولين ليوازن الناظر

بينهما فيميّز محيحهما من الفاسد وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ ٱلدَّارِ العاقبة المحمودة فانّ المراد بالدار الدنيا جزء ٢٠
وعاقبتها الاصليّة هي الجنّة لانّها خُلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات الثواب والعقابُ انّما قُصد ركوع ٧
بالعرض ، وقرأ حمزة والكسائيّ يَكُونُ بالياء إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى (٣٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطّلع على الحال بقوله فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلٰهِ مُوسَىٰ كانّه توهّم انّه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقّي اليه ثمّ قال وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ او اراد ان يبنى له رصدا يترصّد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدلّ على بعثة رسول وتبدّل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله اتنبّئون اللّه بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فانّ معناه بما ليس فيهنّ وهذا من خواصّ العلوم الفعليّة فانّها لازمة لتحقّق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعاليّة قيل اوّل من اتّخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتّخاذه على وجه يتضمّن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظّم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام (٣٩) وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ بغير الاستحقاق وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائيّ بفتح الياء وكسر الجيم (٤٠) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمِّ كما مرّ بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كانّه اخذهم مع كثرتهم في كفّ وطرحهم في اليمّ ونظيره وما قدروا اللّه حقّ قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويّات بيمينه فَٱنْظُرْ يا محمّد كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِينَ وحذّر قومك عن مثلها (٤١) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً قدوة للضلّال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ الى موجباتها من الكفر والمعاصي وَيَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ لَا يُنْصَرُونَ بدفع العذاب عنهم (٤٢) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون وَيَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ هُمْ مِنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ من المطرودين او ممّن قُبح وجوههم (٤٣) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ التورية مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا ركوع ٨
ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ اقوام نوح وهود وصالح ولوط بَصَائِرَ لِلنَّاسِ انوارا لقلوبهم تتبصّر بها الحقائق وتميّز بين الحقّ والباطل وَهُدًى الى الشرائع الّتي هي سبل اللّه وَرَحْمَةً لانّهم لو عملوا بها نالوا رحمة اللّه سبحانه وتعالى لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ليكونوا على حال يُرجى منهم التذكّر وقد فُسّرت بالارادة وفيه ما عرفت (٤٤) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ يريد الوادي او الطور فانّه كان في شقّ الغرب من مقام موسى او الجانبَ الغربيّ منه ، والخطاب لرسول اللّه صلعم اي ما كنت حاضرا إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ اذ

جزء ٢٠ ركوع ٨ اوحينا اليه الامر الّذى اردنا تعريفه وَمَا كُنْتَ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ للوحى اليه او على الوحى اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على انّ اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيّبات الّتى لا تُعْرَف الّا بالوحى ولذلك استدرك عنه بقوله (٤٥) وَلٰكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ اى ولكنّا اوحينا اليك لانّا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحُرّفت الاخبار وتغيّرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرَك واقام سببه مقامه وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا مقيما فِى أَهْلِ مَدْيَنَ شعيب والمؤمنين به تَتْلُو عَلَيْهِمْ تقرأ عليهم تعلّما منهم آيَاتِنَا الّتى فيها قصّتهم وَلٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ايّاك ومخبرين لك بها (٤٦) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا لعلّ المراد به وقت ما اعطاه التورية وبالاوّل حين ما استنبأه لانّهما المذكوران فى القصّة وَلٰكِنْ علّمناك رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وقُرِئت بالرفع على هذه رحمةٌ لِتُنْذِرَ قَوْمًا متعلّق بالفعل المحذوف مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على انّ دعوة موسى وعيسى مختصّة ببنى اسرائيل وما حواليهم لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ يتّعظون (٤٧) وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا لَوْلَا الاولى امتناعيّة والثانية تحضيضيّة واقعة فى سياقها لانّها انّما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعولُ يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المُعْطِية معنى السببيّة المنبّهة على انّ القول هو المقصود بأن يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وأنّه لا يَصْدر عنهم حتّى تلجئهم العقوبة والجوابُ محذوفٌ والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربّنا هلّا ارسلت الينا رسولا يُبلّغنا آياتك فنتّبعها ونكون من المصدّقين ما ارسلناك اى انّما ارسلناك قطعا لعُذْرهم والزاما للحجّة عليهم فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ يعنى الرسول المصدّق بنوع من المعجزات وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٨) فَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى من الكتاب جملةً واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنّتا أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ يعنى ابناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى او كان فرعون عربيّا من اولاد عاد قَالُوا سَاحِرَانِ يعنى موسى وهرون او موسى ومحمّدا تَظَاهَرَا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابَيْن ، وقرأ الكوفيّون سِحْرَانِ بتقدير مضاف او جعلهما سحرَيْن مبالغةً او اسنادِ تظاهرهما الى فعلهما دلالةً على سبب الاعجاز وقرئ ٱظّاهَرَا على الادغام وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ اى بكلّ منهما او بكلّ الانبياء (٤٩) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ ٱللّٰهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا ممّا انزل على موسى وعلىّ واضمارُهما لدلالة المعنى وهو يؤيّد انّ المراد بالساحرين موسى ومحمّد أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أنّا ساحران مختلقان وهذا من الشروط الّتى يراد بها الالزام والتبكيت ولعلّ مجىء حرف الشكّ للتهكّم بهم (٥٠) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم

جزء ۲۰ ركوع ۸

به ولانّ فعل الاستجابة يعدّى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعى فاذا عُدّى اليه حُذف الدعاء غالبا كقوله

وداعٍ دعا يا مَنْ يُجيبُ الى الندا   فلم يستجبْه عند ذاك مُجيبُ

فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ اذ لو اتّبعوا حجّة لأتوا بها وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ استفهام بمعنى النفى بِغَيْرِ هُدًى مِنَ ٱللَّهِ فى موضع الحال للتوكيد او التقييد فانّ هوى النفس قد يوافق الحقّ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ الذين ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتّباع الهوى (۵۱) وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ

ركوع ۹

أتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتّصل التذكير او فى النظم لتقرّر الدعوة بالحجّة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فيؤمنون ويطيعون (۵۲) ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وقيل فى اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشأم ، والضمير فى من قبله للقران كالمستكنّ فى (۵۳) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ اى بانّه كلام الله إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ استيناف آخر للدلالة على انّ ايمانهم به ليس ممّا احدثوه حينئذ وانّما هو امرٌ تقادم عهده لمّا رأوا ذكره فى الكتب المتقدّمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القران او تلاوته عليهم باعتقادهم صحّته فى الجملة (۵۴) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ مرّةً على ايمانهم بكتابهم ومرّةً على ايمانهم بالقران بِمَا صَبَرُوا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقران قبل النزول وبعده او على اذى المشركين ومن هاجرهم من اهل دينهم وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عم أتبع الحسنة السيّئة تمحها وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فى سبيل الخير (۵۵) وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ تكرّما وَقَالُوا للّاغين لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ متاركةً لهم وتوديعا او دعاء لهم بالسلامة عمّا هم فيه لَا نَبْتَغِى ٱلْجَاهِلِينَ لا نطلب صحبتهم ولا نريدها (۵۶) إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ لا تقدر ان تدخله فى الاسلام وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ فيدخله فى الاسلام وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ بالمستعدّين لذلك ، والجمهور على انّها نزلت فى ابى طالب فانّه لمّا احتضر جاءه رسول الله صلعم وقال يا عمّ قل لا اله الّا الله كلمة احاجّ لك بها عند الله قال يا ابن اخى قد علمتُ انّك لَصادق ولكنّى اكره ان يقال خَرِعَ عند الموت (۵۷) وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا نُخْرَجْ منها ، نزلت فى الحارث بن عثمان ابن نوفل بن عبد مناف اتى النبىّ صلعم فقال نحن نعلم انّك على الحقّ ولكنّا نخاف ان اتّبعناك وخالفنا العرب وانّما نحن أكلة رأس ان يتخطّفونا من ارضنا فردّ الله عليهم بقوله أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا

جزء ٢٠ اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الّذى فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ
ركوع ٩ يُحمَل اليه ويُجمَع فيه وقرأ نافع ويعقوب فى رواية بالتاء ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ من كلّ اوب رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا
فاذا كان حالهم هذه وهم عبدة اصنام فكيف نعرّضهم للتخوّف والتخطّف اذا ضمّوا الى حرمة البيت
حرمة التوحيد وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ جهلة لا يتفطّنون له ولا يتفكّرون ليعلموه وقيل انّه
متعلّق بقوله من لدنّا اى قليل منهم يتدبّرون فيعلمون انّ ذلك رزق من عند اللّه اذ لو علموا لما
خافوا غيره ، وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصّصها بالاضافة ، ثمّ
بيّن انّ الامر بالعكس فانّهم احقّاء بأن يخافوا من بأس اللّه على ما هم عليه بقوله (٥٨) وَكَمْ أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا اى وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالهم فى الامن وخفض العيش حتّى
اشروا فدمّر اللّه عليهم وخرّب ديارهم فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خاوية لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا
من السكنى اذ لا يسكنها الّا المارّة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الّا قليلا من شؤم معاصيهم
وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرّف تصرّفهم فى ديارهم وسائر متصرّفاتهم ، وانتصاب
معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيدٌ ظنّى مقيمٌ او باضمار زمانٍ مضاف اليها او
مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت (٥٩) وَمَا كَانَ رَبُّكَ وما كانت عادته مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا
فى اصلها الّتى هى أعمالها لانّ اهلها يكون افطن وانبل رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا لالزام الحجّة وقطع المعذرة
وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ بتكذيب الرسل والعتوّ فى الكفر (٦٠) وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ
من اسباب الدنيا فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا تتمتّعون وتتزيّنون به مدّة حياتكم المنقضية
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ وهو ثوابه خَيْرٌ فى نفسه من ذلك لانّه لذّة خالصة وبهجة كاملة وَأَبْقَىٰ لانّه ابدىّ أَفَلَا
ركوع ١٠ تَعْقِلُونَ فتستبدلون الّذى هو ادنى بالّذى هو خير ، وقرئ بالياء وهو ابلغ فى الموعظة (٦١) أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ
وَعْدًا حَسَنًا وعدا بالجنّة فانّ حسن الوعد بحسن الموعود فَهُوَ لَاقِيهِ مدركه لا محالة لامتناع الخلف
فى وعده ولذلك عُطف بالفاء المعطية معنى السببيّة كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الّذى هو مشوبٌ
بالآلام مكدّرٌ بالمتاعب مستعقبٌ للتحسّر على الانقطاع ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ للحساب او
العذاب ، وثمّ للتراخى فى الزمان او الرتبة ، وقرأ نافع وابن عامر فى رواية والكسائىّ ثُمَّ هْوَ بسكون
الهاء تشبيها للمنفصل بالمتّصل ، وهذه الآية كالنتيجة للّتى قبلها ولذلك رتّبت عليها بالفاء (٦٢) وَيَوْمَ
يُنَادِيهِمْ عطف على يوم القيامة او منصوب باذكر فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ اى
الّذين كنتم تزعمونهم شركاءى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما (٦٣) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ
بثبوت مقتضاه وحصول مؤدّاه وهو قوله لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد

رَبَّنَا هَٰؤُلَاۤءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَا اى هؤلاء هم الّذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا جزء ٢٠ اى اغويناهم فغووا غيّا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انّهم غووا باختيارهم وانّهم لم يفعلوا ركوع ١٠ بهم الّا وسوسةً وتسويلا ويجوز ان يكون الّذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتّصل به فافاده زيادةً على الصفة وهو وان كان فَضْلة لكنّه صار من اللوازم تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ منهم وممّا اختاروه من الكفر هَوًى منهم وهو تقرير للجملة المتقدّمة ولذلك خلَتْ عن العاطف وكذا مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ اى ما كانوا يعبدوننا وانّما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدريّة متصلة بتبرّأنا اى تبرّأنا من عبادتهم ايّانا (٦٤) وَقِيلَ ٱدْعُوا شُرَكَاۤءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ من فرط الحيرة فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لعجزهم عن الاجابة والنصرة وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ لازما بهم لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ لوجه من الحِيَل يدفعون به العذاب او الى الحقّ لمّا رأوا العذاب وقيل لو للتمنّى اى تمنّوا انّهم كانوا مهتدين (٦٥) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ عطف على الاوّل فانّه تعالى يسأل اوّلا عن اشراكهم به ثمّ عن تكذيبهم الانبياء (٦٦) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنْبَاۤءُ يَوْمَئِذٍ فصارت الانباء كالعُمْى عليهم لا تهتدى اليهم وأصله فعموا عن الانباء لكنّه عكس مبالغةً ودلالةً على انّ ما يحضر الذهنَ انّما يَفيض ويَرِد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمرادُ بالانباء ما اجابوا به الرسلَ او ما يعمّها واذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوّضون الى علم اللّه تع فما ظنّك بالضُلّال من أُممهم ، وتعدية الفعل بعَلَى لتضمّنه معنى الخفاء فَهُمْ لَا يَتَسَاۤءَلُونَ لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانّه مثله (٦٧) فَأَمَّا مَنْ تَابَ من الشرك وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ عند اللّه وعَسَى تحقيقٌ على عادة الكرام او ترجٍّ من التائب بمعنى فليتوقّعْ ان يفلح (٦٨) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاۤءُ وَيَخْتَارُ لا مُوجِب عليه ولا مانع له مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ اى التخيّر كالطِيَرة بمعنى التطيّر وظاهرُه نفى الاختيار عنهم رأسا والامرُ كذلك عند التحقيق فانّ اختيار العباد مخلوق باختيار اللّه منوط بدواعٍ لا اختيارَ لهم فيها وقيل المراد انّه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيّده ما رُوى انّه نزل فى قولهم لولا نُزّل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولةٌ مفعولٌ ليختار والراجعُ اليه محذوف والمعنى ويختار الّذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح سُبْحَانَ ٱللّٰهِ تنزيه له ان ينازعه احد او يزاحم اختيارَه اختيارٌ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه (٦٩) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ كعداوة الرسول وحقده وَمَا يُعْلِنُونَ كالطعن فيه (٧٠) وَهُوَ ٱللّٰهُ المستحقّ للعبادة لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لا احد يستحقّها الّا هو لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ لانّه المُولى للنعم كلّها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا

جزء ٢٠ بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنّا الحزن الحمد لله الذى صَدَقَنا وَعْدَه ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده
ركوع ١٠ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ القضاء النافذ فى كلّ شىء وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ بالنشور (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱللَّيْلَ سَرْمَدًا دائما من السَّرْد وهو المتابعة والميمُ مزيدة كميمِ دُلامص إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَآءٍ كان حقّه هل اله فذكر بمَنْ على زعمهم انّ غيره آلهة ، وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين أَفَلَا تَسْمَعُونَ سماعَ تدبّر واستبصار (٧٢) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ باسكانها فى وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ استراحةً عن متاعب الاشغال ولعلّه لم يصف الضياء بما يقابله لانّ الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولانّ منافع الضوء اكثر ممّا يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل أَفَلَا تُبْصِرُونَ لانّ استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر (٧٣) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ فى الليل وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فى النهار بانواع المكاسب وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها (٧٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ تقريع بعد تقريع للاشعار بانّه لا شىء اجلبُ لغضب الله من الاشراك به او الاوّل لتقرير فساد رأيهم والثانى لبيان انّه لم يكن عن سند وانّما كان محض تَشَهٍّ وهوى (٧٥) وَنَزَعْنَا وأخرجنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا وهو نبيّهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فَقُلْنَا للأمم هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ على صحّة ما كنتم تدينون به فَعَلِمُوا حينئذ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ فى الالهيّة لا يشاركه فيها احد وَضَلَّ عَنْهُم وغاب عنهم غيبة الضائع مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ من الباطل
ركوع ١١ (٧٦) إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ كان ابن عمّه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممّن آمن به فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبّر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملّكه فرعون على بنى اسرائيل او حسدهم لما روى انّه قال لموسى لك الرسالة ولهٰرون الحبورة وأنا فى غير شىء الى متى اصبر وَآتَيْنَاهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ من الاموال المدّخرة مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ مفاتيح صناديقه جمع مِفْتَح بالكسر وهو ما يُفْتَح به وقيل خزائنه وقياسُ واحدها المَفْتَح لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُولِى ٱلْقُوَّةِ خبر انّ والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى ، وناء به الحِمْلُ اذا اثقله حتّى امالهُ ، والعُصْبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعْصَوْصَبوا اجتمعوا ، وقرئ لَيَنُوءُ بالياء على اعطاء المضاف حُكْمَ المضاف اليه إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ منصوب بتنوء لَا تَفْرَحْ لا تبطر والفرحُ بالدنيا مذموم مطلقا لانّه نتيجة حبّها والرضى بها والذهول عن ذهابها

فانّ العلم بانّ ما فيها من اللذّة مفارِقةٌ لا محالة يوجب الترح كما قال

اشدُّ الغمّ عندى فى سرور تَيقّنَ عنه صاحبُه ٱنتقالا

ولذلك قال تع ولا تفرحوا بما آتاكم وعلّل النهى ههنا بكونه مانعا من محبّة اللّه فقال إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ اى بزخارف الدنيا (٧٧) وَٱبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ ٱللَّهُ من الغنى ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ بصرفه فيما يوجبها لك فانّ المقصود منه ان يكون وُصْلة اليها وَلَا تَنْسَ ولا تترك تَرْكَ المنسىّ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وهو ان تحصّل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك وَأَحْسِنْ الى عباد اللّه كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فيما انعم عليك وقيل احسنْ بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ بأمْرٍ يكون علّة للظلم والبغى نهىٌ له عمّا كان عليه من الظلم والبغى إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ لسوء افعالهم (٧٨) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى فُضّلتُ به على الناس واستوجبت به التفوّق عليهم بالجاه والمال، وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمَهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف، وعندى صفة له او متعلّق بأُوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنّى واعتقادى أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا تعجّبٌ وتوبيخٌ على اغتراره بقوّته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانّه قرأه فى التورية وسمعه من حفّاظ التواريخ او ردٌّ لادّعائه العلم وتعظّمه به بنفى هذا العلم منه اى اعنده مثلُ ذلك العلم الّذى ادّعى ولم يعلم هذا حتّى يقى به نفسَه مصارعَ الهالكين وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ سؤالَ استعلام فانّه تع مطّلع عليها او معاتبة فانّهم يعذّبون بها بغتةً كأنّه لمّا هدّد قارون بذكر اهلاك مَنْ قبله ممّن كانوا اقوى منه واغنى اكّد ذلك بأن بيّن انّه لم يكن ممّا يخصّهم بل اللّه مطّلع على ذنوب المجرمين كلّهم معاقبُهم عليها لا محالة (٧٩) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ كما قيل انّه خرج على بغلة شهباء عليه الأُرْجوانُ وعليها سرجٌ من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيّه قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيَا على ما هو عادة الناس من الرغبة يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِىَ قَارُونُ تمنّوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ من الدنيا (٨٠) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ بأحوال الآخرة للمتمنّين وَيْلَكُمْ دعاء بالهلاك استُعمل للزجر عمّا لا يُرتضى ثَوَابُ ٱللَّهِ فى الآخرة خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ممّا اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها وَلَا يُلَقَّاهَا الضمير فيه للكلمة الّتى تكلّم بها العلماء او للثواب فانّه بمعنى المثوبة او الجنّة او للايمان والعمل الصالح فانّهما فى معنى السيرة والطريقة إِلَّا ٱلصَّابِرُونَ على الطاعات وعن المعاصى (٨١) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ رُوى انّه كان يؤذى موسى عم كلّ وقت وهو يداريه للقرابة حتّى نزلت

جزء ٢٠ الزكوة فصالحه عن كلّ الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بنى اسرائيل

ركوع ١١ ليرفضوه فبرطل بَغِيَّةً لترميه بنفسها فلمّا كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غيرَ مُحْصَن جلدناه ومن زنى مُحْصَنا رجمناه فقال قارون ولو كنتَ قال ولو كنتُ قال انّ بنى اسرائيل يزعمون انّك فجرت بفلانة فأُحْضِرَتْ فناشدها موسى باللّه ان تصدق فقالت جعل لى قارون جُعْلًا على ان ارميك بنفسى فخرّ موسى شاكيا عنه الى ربّه فاوحى اللّه اليه ان مُر الارض بما شئتَ فقال يا ارض خذيه فأخذته الى ركبتيه ثمّ قال خذيه فأخذته الى وسطه ثمّ قال خذيه فأخذته الى عنقه ثمّ قال خذيه فخسف به وكان قارون يتضرّع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى اللّه اليه ما أَفْظَّك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزّتى وجلالى لو دعانى مرّة لأجبته ثمّ قال بنو اسرائيل انّما فعله ليرثه فدعا اللّه حتّى خسف بداره وامواله فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ اعوان مشتقّةٌ من فَأَوْت رأسه اذا ميّلته يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فيدفعون عنه عذابه وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنْتَصِرِينَ المتنعين منه من قولهم نصره من عدوّه فانتصر اذا منعه منه فامتنع (٨٢) وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ منزلته بِٱلْأَمْسِ منذ زمان قريب يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضى البسط ولا لهوان يوجب القبض ، وويكأنّ عند البصريّين مركّب من وَىْ للتعجّب وكأنّ للتشبيه والمعنى ما اشبهَ الامرَ انّ اللّه يبسط الرزق وقيل من وَيْكَ بمعنى وَيْلَكَ وأنّ وتقديرُه وَيْكَ اعلمْ انّ اللّه لَوْلَآ أَنْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا فلم يُعْطنا ما تمنّينا لَخَسَفَ بِنَا لتوليده فينا ما ولّده فيه فخسف به لأجله ، وقرأ حفص بفتح الخاء والسين وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ لنعمة اللّه او المكذّبون برسله وبما

ركوع ١٢ وعدوا لهم من ثواب الآخرة (٨٣) تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ اشارة تعظيم كانّه قال تلك الّتى سمعتَ خبرَها وبلغك وصفها ، والدار صفة والخبر نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ غلبةً وقهرا وَلَا فَسَادًا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون وَٱلْعَاقِبَةُ المحمودة لِلْمُتَّقِينَ ما لا يرضاه اللّه (٨٤) مَنْ جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ذاتا وقدرا وصفةً وَمَنْ جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيِّئَاتِ وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيّئة اليهم إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى الّا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأُقيم ما كانوا يعملون مقامه مبالغةً فى المماثلة (٨٥) إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعملَ بما فيه لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ اىّ معاد وهو المقام المحمود الّذى وعدك ان يبعثك فيه او مكّة الّتى اعتدْتَ بها على انّه من العادة ردّه اليها يوم الفتح كانّه لمّا حكم بانّ العاقبة للمتّقين وأكّد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انّه لمّا

بلغ جُحْفة فى مُهاجَره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ مَنْ جَآءَ بِٱلْهُدَى وما يستحقّه جزء ٢٠
من الثواب والنصر ، ومَنْ منتصب بفعل يفسّره اعلم وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ وما استحقّه من العذاب ركوع ١٢
والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله (٨٦) وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى
إِلَيْكَ ٱلْكِتَابُ اى سيردّك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ولكن
القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كأنّه قال وما القى اليك الكتاب الّا رحمة
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ بمداراتهم والتحمّل عنهم والاجابة الى طلبتهم (٨٧) وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ ٱللّٰهِ
عن قراءتها والعمل بها بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وقرئ يُصِدُّنَّكَ من اصدّ وَٱدْعُ إِلَى رَبِّكَ الى عبادته وتوحيده
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ بمساعدتهم (٨٨) وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ هذا وما قبله للتهييج وقطع
أطماع المشركين عن مساعدته لهم لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ الّا ذاته فانّ ما عداه مُمْكِنٌ
هالكٌ فى حدّ ذاته معدومٌ لَهُ ٱلْحُكْمُ القضاء النافذ فى الخلق وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ للجزاء بالحقّ ، عن النبىّ
صلعم من قرأ طسٓمٓ القصص كان له من الاجر بعدد من صدّق موسى وكذّب ولم يبق مَلَك فى
السموات والارض الّا شهد له يوم القيمة انّه كان صادقا .

سُورَةُ ٱلْعَنْكَبُوتِ

مَكِّيَّةٌ وَآيُهَا تِسْعٌ وَسِتُّونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) الٓمٓ سبق القول فيه ووقوعُ الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يُضْمَر معه أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ركوع ١٣
الحِسْبان ممّا يتعلّق بمضامين الجُمَل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما
يسدّ مسدّهما كقوله أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ فانّ معناه احسبوا تَرْكَهم غيرَ مفتونين
لقولهم آمنّا فالترك اوّل مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم آمنّا هو الثانى كقولك حسبتُ ضَرْبَه
للتأديب او انفسَهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنّا بل يمتحنهم اللّه بمشاقّ التكاليف كالمهاجرة
والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصايب فى الانفس والاموال ليتميّز المُخْلِص من
المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فانّ مجرّد الايمان وان
كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى العذاب رُوى انّها نزلت فى ناس من الصحابة
جزعوا من اذى المشركين وقيل فى عمّار قد عذّب فى اللّه وقيل فى مِهْجَع مولى عُمَر بن الخطّاب رماه
عامر بن الحضرمىّ بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

جزء ٢٠ متّصل بأحسب او بلا يفتنون والمعنى انّ ذلك سُنّة قديمة جارية فى الامم كلّها فلا ينبغى ان يُتوقّع
ركوع ١٣ خلافه فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ فليتعلّقنّ علمه بالامتحان تعلّقا حاليّا يتميّز به
الّذين صدقوا فى الايمان والّذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميّزنّ او
ليجازينّ وقرئ وَلَيُعْلِمَنَّ من الاعلام اى وليعرّفنّهم الناسَ او وليَسِمنّهم بسمة يُعرفون بها يوم
القيامة كبياض الوجوه وسوادها (٣) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ الكفر والمعاصى فانّ العمل يعمّ
افعال القلوب والجوارح أَنْ يَسْبِقُونَا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو سادّ مسدّ
مفعولَىْ حسب لاشتماله على مُسْنَد ومُسْنَد اليه ويجوز ان يضمَّن حسب معنى قدّر ، وأم منقطعة
والاضراب فيها لانّ هذا الحسبان ابطل من الاوّل ولهذا عقّبه بقوله سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ اى بئس الّذى يحكمونه
او حكما يحكمونه حُكْمُهم هذا فحذف المخصوص بالذمّ (٤) مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ ٱللَّهِ فى الجنّة وقيل المراد
بلقاء اللّه الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد
قَدِمَ على سيّده بعد زمان مديد وقد اطّلع السيّد على احواله فامّا ان يلقاه ببشر لما رضى من افعاله
او بسخط لما سخط منها فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ فانّ الوقت المضروب للقائه لَآتٍ لجاء واذا كان وقت اللقاء
آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقّق امله ويصدّق رجاءه او ما يستوجب به القربة والرضى
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ لاقوال العباد ٱلْعَلِيمُ بعقائدهم وافعالهم (٥) وَمَنْ جَاهَدَ نفسه بالصبر على مضض الطاعة
والكفّ عن الشهوات فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ لانّ منفعته لها إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ فلا حاجة به الى
طاعتهم وانّما كلّف عباده رحمةً عليهم ومراعاةً لصلاحهم (٦) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ
اى احسن جزاء اعمالهم (٧) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا بايتائهما فعلا ذا حُسْن او كانّه فى ذاته
حُسْنٌ لفرط حُسْنه ، ووصّى يجرى مجرى أَمَرَ معنى وتصرّفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسنْ
بوالديك حُسْنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسّر للتوصية اى قلنا أَوْلِهما
او افعلْ بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه ، وقرئ حَسَنًا وإحْسَانًا
وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ بالهيّته عبّر عن نفيها بنفى العلم بها إشعارا بانّ ما لا يُعلَم
صحّته لا يجوز اتّباعه وان لم يُعلَم بطلانه فضلا عمّا عُلم بطلانه فَلَا تُطِعْهُمَا فى ذلك فانّه لا طاعة
لمخلوق فى معصية الخالق ولا بدّ من اضمار القول ان لم يُضمَر قبلُ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ مرجع من آمن منكم
ومن اشرك ومن برّ بوالديه ومن عقّ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالجزاء عليه ، والآية نزلت فى سعْد
ابن ابى وقّاص وأمّه حَمْنة فانّها لمّا سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضحّ ولا تطعم ولا تشرب
حتّى يرتدّ ولبثت ثلاثة ايّام كذلك وكذا الّتى فى لقمان والاحقاف (٨) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ

لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّالِحِينَ في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنّى انبياء اللّه جزء ٢٠
المرسلين او في مُدْخَلهم وهو الجنّة (٩) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِٱللّٰهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي ٱللّٰهِ بأن عذّبهم ركوع ١٣
الكفرة على الايمان جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ ما يصيبهم من اذيّتهم في الصرف عن الايمان كَعَذَابِ ٱللّٰهِ في الصرف
عن الكفر وَلَئِنْ جَآءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ فتح وغنيمة لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ في الدين فأشركونا فيه والمراد
المنافقون او قوم ضَعُف ايمانهم فارتدّوا من اذى المشركين ويؤيّد الاوّل أَوَلَيْسَ ٱللّٰهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي
صُدُورِ ٱلْعَالَمِينَ من الاخلاص والنفاق (١٠) وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللّٰهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بقلوبهم وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ
فيجازي الفريقين (١١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا الّذي نسلكه في ديننا وَلْنَحْمِلْ
خَطَايَاكُمْ ان كان ذلك خطيئة او ان كان بَعْث ومؤاخذة وانّما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على
امرهم بالاتّباع مبالغةً في تعليق الحمل بالاتّباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم
عليه وبهذا الاعتبار ردّ عليهم وكذّبهم بقوله وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئًا من خطاياهم (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ
اثقال ما اقترفته انفسهم وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ واثقالا أُخَر معها لما تسبّبوا له بالاضلال والحمل على المعاصي
من غير ان ينقص من اثقال مَنْ تبعهم شيء وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ سؤالَ تقريع وتبكيت عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ
من الاباطيل الّتي اضلّوا بها (١٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ركوع ١٤
بعد المبعث اذ رُوي انّه بُعث على رأس الاربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستّين
ولعلّ اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فانّ تسعمائة وخمسين قد يُطلق على ما يقرب منه
ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدّة الى السامع فانّ المقصود من القصّة تسلية رسول اللّه صلعم
وتثبيته على ما يكابد من الكفرة واختلاف المميّزين لما في التكرير من البشاعة فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ
طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سَيْل او ظلام او نحوهما وَهُمْ ظَالِمُونَ بالكفر (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ اى نوحا
وَأَصْحَابَ ٱلسَّفِينَةِ ومن اركب معه من اولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة
نصفهم ذكور ونصفهم اناث وَجَعَلْنَاهَا اى السفينة او الحادثة آيَةً لِلْعَالَمِينَ يتّعظون ويستدلّون بها
(١٥) وَإِبْرٰهِيمَ عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرٰهيم
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا ٱللّٰهَ ظرفٌ لأرسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله وتمّ نظره بحيث عرف الحقّ وأمر
الناسَ به او بدلٌ منه بدلَ الاشتمال ان قُدّر باذكر وَٱتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ممّا انتم عليه إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
الخيرَ والشرَّ وتميّزون ما هو خير ممّا هو شرّ او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل

جزء ٢٠ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا وتكذبون كذبا فى تسميتها آلهة وادّعاء شفاعتها ركوع ١٤ عند ٱللّه او تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انّه زور باطل ، وقرئ وَتَخَلَّقُونَ من خلّق للتكثير وتَخَلَّقُونَ من تخلّق للتكلّف وأَفِكًا على انّه مصدر كالكَذِب او نعت بمعنى خَلْقًا ذا افك إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا دليل ثانٍ على شرارة ذلك من حيث انّه لا يُجْدى بطائل ، ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وأن يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فَٱبْتَغُوا عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ كلّه فانّه المالك له وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا لَهُ متوسّلين الى مطالبكم بعبادته مقيّدين لما حفّكم من النعم بشكره او مستعدّين للقائه بهما فانّه إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وقرئ بفتح التاء (١٧) وَإِنْ تُكَذِّبُوا وان تكذّبونى فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ من قبلى من ٱلرُّسُل فلم يضرّهم تكذيبهم وانّما ضرّ انفسهم حيث تسبّب لما حلّ بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ الّذى يزال معه الشكّ وما عليه ان يصدّق ولا يكذّب فالآية وما بعدها من جملة قصّة ابرٰهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شأن النبىّ صلعم وقريش وهدّم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسّط بين طرفى قصّته من حيث انّ مساقها لتسلية رسول اللّه صلعم والتنفيس عنه بأنّ اباه خليل اللّه كان مُمْنُوًّا بنحو ما مُنى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرٰهيم فى قومه (١٧) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ من مادّة ومن غيرها ، وقرأ حمزة والكسائىّ وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يَبْدَأُ ثُمَّ يُعِيدُهُ اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فانّ الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان تؤوّل الاعادة بأن ينشئ فى كلّ سنة مثل ما كان فى السنة السابقة من النبات والثمار ونحوها وتُعْطَف على يبدئ إِنَّ ذَٰلِكَ الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ اذ لا يفتقر فى فعله الى شىء (١٩) قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ حكاية كلام اللّه لابرٰهيم او محمّد عليهما الصلوة والسلام فَٱنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ على اختلاف الاجناس والاحوال ثُمَّ ٱللَّهُ يُنْشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ بعد النشأة الاولى الّتى هى الابداء فانّه والاعادة نشأتان من حيث انّ كلّا اختراع واخراج من العدم ، والافصاح باسم اللّه مع ايقاعه مبتدأً بعد اضماره فى بدأ والقياس الاقتصارُ عليه للدلالة على انّ المقصود بيان الاعادة وأنّ من عُرف بالقدرة على الابداء ينبغى ان يُحْكَم له بالقدرة على الاعادة لانّها اهون ، والكلام فى العطف ما مرّ ، وقرئ ٱلنَّشَاءَةَ كالرآفة إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ لانّ قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كلّ الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى (٢٠) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ تعذيبه وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ رحمته وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ تردّون (٢١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ربّكم عن ادراككم فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَاءِ ان فررتم من قضائه بالتوارى فى الارض او الهبوط فى مهاويها والتحصّن فى السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من فى السماء كقول حسّان

أَمَنْ يهاجر رسولَ اللّه منكم ويمدحه وينصره سواء جزء ٢٠

من دونِ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه ركوع ١٤

١) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ بدلائل وحدانيّته او بكتبه وَلِقَائِهِ بالبعث أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي ركوع ١٥
ون منها يوم القيمة فعبّر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا في الدنيا لانكار البعث
أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بكفرهم (٢٣) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انّه
الخبر إِلَّا أَنْ قَالُوا ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ وكان ذلك قول بعضهم لكن لمّا قيل فيهم ورضى به الباقون
، كلّهم فَأَنْجَاهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ اى فقذفوه في النار فأنجاه اللّه منها بأن جعلها عليه بردا وسلاما
لِكَ في انجائه منها لَآيَاتٍ هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء
نانها لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانّهم المنتفعون بالتفحّص عنها والتأمّل فيها (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُمْ مِنْ
ه أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا اى لتتوادّوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها
عولَى اتّخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودّة المفعول الثانى بتقدير مضاف اى اتّخذتم
بب المودّة بينكم او بتأويلها بالمودودة وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منوّنةً ناصبةً بَيْنَكُمْ
ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائيّ ورويس مرفوعةً مضافةً على انّها خبرُ مبتدإ محذوف
اى هي مودودةٌ او سببُ مودّة بينكم والجملة صفةُ اوثانا او خبرُ إنّ على انّ ما مصدريّة او موصولة
١٥ والعائد محذوف وهو المفعول الاوّل وقرئت مرفوعة منوّنة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطّع
بينكم وقرئ إِنَّمَا مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا اى يقوم
التناكر والتلاعن بينكم وبينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدّا
وَمَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ يخلّصونكم منها (٢٥) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ هو ابن اخيه واوّل من آمن به
وقيل انّه آمن به حين رأى النار لم تحرقه وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ من قومى إِلَىٰ رَبِّي الى حيث امرنى إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلَّذى يمنعنى من اعدائى ٱلْحَكِيمُ ٱلَّذى لا يأمرنى الّا بما فيه صلاحى روى انّه هاجر من كوثى من
سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمّه الى حرّان ثمّ منها الى الشأم فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم
(٣٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر
سمعيل وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ فكثر منهم الانبياء وَٱلْكِتَابَ يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة
آتَيْنَاهُ أَجْرَهُ على هجرته الينا فِي ٱلدُّنْيَا باعطاء الولد في غير اوانه والذرّيّة الطيّبة واستمرار النبوّة فيهم
انتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ لفى عداد الكاملين
الصلاح (٢٧) وَلُوطًا عطف على ابرهيم او على ما عُطف عليه إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ

جزء ٢٠ ركوع ١٥ الفعلة البالغة فى القبح • وقرأ الحَرَمِيّان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام وأجمعوا على الاستفهام فى الثانى مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ استيناف مقرِّر لفحاشتها من حيث انّهـا ممّـا اشمأزّت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتّى اقدموا عليهـا لخبث طينتهم (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وتتعرّضون للسابلة بالقتل وأخذ المال او بالفاحشة حتّى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمْ فى مجالسكم الغاصّة ولا يقال النادى الّا لما فيه اهله ٱلْمُنْكَرَ كالجماع والضراط وحلّ الازار وغيرها من القبائح عدمَ مبالاة بها وقيل الحذف ورَمْى البنادق فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ فى استقباح ذلك او فى دعوى النبوّة المفهومة من التوبيخ (٢٩) قَالَ رَبِّ ٱنْصُرْنِى بانزال العذاب عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ بابتداع الفاحشة وسنّها فيمن بعدهم وَصَفهم بذلك مبالغةً فى

ركوع ١٦ استنزال العذاب واشعارا بأنّهم احقاء بأنْ يعجّل لهم العذاب (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَى بالبشارة بالولد والنافلة قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ قرية سَدوم • والاضافة لفظيّة لانّ المعنى للاستقبال إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ تعليل لاهلاكهم لهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الّذى هو الكفر وانواع المعاصى (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا اعتراضٌ عليهم بانّ فيها من لم يظلم او معارَضةٌ للموجب بالمانع وهو كونُ النبىّ بين اظهرهم قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ تسليمٌ لقوله مع ادّعاء مزيد العلم به وأنّهم ما كانوا غافلين عنه وجوابٌ عنه بتخصيص الاهل بمن عداه وأهله او تأقيت الاهلاك باخراجهم عنهـا وفيه تأخير للبيان عن الخطاب إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ الباقين فى العذاب او القريـة (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ جاءته المساءة والغمّ بسببهم مخافةَ أن يقصدهم قومه بسوء • وأَنْ صلةٌ لتأكيد الفعلين واتّصالهما وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعُه اى طاقتُه كقولهم ضاقت يده وبإزائه رَحُبَ ذرعه بكذا اذا كان مُطيقا له وذلك لانّ طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع وَقَالُوا لمّا رأوا فيه اثر الضجرة لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ على تمكّنهم منّا إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب لَنُنْجِيَنَّهُ ومُنْجُوكَ بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير فى الثانى • وموضع الكاف الجرّ على المختار ونصب أهلك باضمار فعل او بالعطف على محلّهـا باعتبار الاصل (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ عذابـا منهـا سُمّى بذلك لانّه يقلق المعذَّب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اى اضطرب • وقرأ ابن عامر مُنَزِّلُونَ بالتشديد بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ بسبب فسقهم (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً هى حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة المُمْطَرة فانّها كانت باقية بعدُ وقيل بقيّة انهارها المسوّدة لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلّق بتركنا او آية (٣٥) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا جزء ٢٠ قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱرْجُوا ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وافعلوا ما ترجون به ثوابه فأقيم المسبّب مقام السبب وقيل انّه ركوع ١٩ من الرجاء بمعنى الخوف وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لانّ القلوب ترجف لها فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ في بلدهم او دورهم ولم يجمع لأمن اللبس جَاثِمِينَ باركين على الركب ميّتين (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَا منصوبان باضمار اذكر او فعل دلّ عليه ما قبله مثل اهلكنا ، وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وَثَمُودَ غير مصروف على تأويل القبيلة وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ اى تبيّن لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ من الكفر والمعاصى فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ السوىّ الّذى بيّن الرسل لهم وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ متمكّنين من النظر والاستبصار ولكنّهم لم يفعلوا او متبيّنين انّ العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنّهم لجّوا حتّى هلكوا (٣٨) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ معطوف على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَٱسْتَكْبَرُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ فائتين بل ادركهم امر اللّه من سبق طالبه اذا فاته (٣٩) فَكُلًّا من المذكورين أَخَذْنَا بِذَنبِهِ عاقبنا بذنبه فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ كمدين وثمود وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ كقارون وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا كقوم نوح وفرعون وقومه وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بالتعريض للعذاب (٤٠) مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَاءَ فيما اتّخذوه معتمدا ومتّكلا كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك اوهن فانّ لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحّد كمثلها بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجصّ ، والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة وأعكب وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لا بيت اوهى واقلّ وقاية للحرّ والبرد منه لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ يرجعون الى علم لعلموا انّ هذا مثلهم وانّ دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سمّاه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وانّ اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم (٤١) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ على اضمار القول اى قل للكفرة انّ اللّه يعلم ، وقرأ البصريّان بالياء حملا على ما قبله ، وما استفهاميّة منصوبة بتدعون ويعلم معلّقة عنها ومن للتبيين او

جزء ٢٠ نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول
ركوع ١٩ تدعون عائدها المحذوف والكلام على الاوّلين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ تعليل على المعنيين فانّ من فرط الغباوة اشراك ما لا يُعدّ شيئا بمن هذا شأنه
وانّ الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كلّ شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وانّ مَن
هذا وصفه قادر على مجازاتهم (٤٢) وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ يعني هذا المثل ونظائره نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ تقريبا لما بَعُد
من افهامهم وَمَا يَعْقِلُهَا ولا يعقل حسنها وفائدتها إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ الذين يتدبّرون الاشياء على ما
ينبغي ، وعنه عليه السلام انّه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن اللّه فعمل بطاعته واجتنب سخطه
ركوع ١٧ (٤٣) خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ محقّا غير قاصد به باطلا فانّ المقصود بالذات من خلقها
افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ لانّهم المنتفعون به
(٤٤) ٱتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَابِ تقرّبا الى اللّه بقراءته وتحفّظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فانّ
القارئ المتأمّل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اوّل ما قرع سمعه وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ
عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ بأن تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حالَ الاشتغال بها وغيرها من حيث انّها
تذكّر اللّهَ وتورث النفس خشيةً منه رُوي انّ فتى من الانصار كان يصلّي مع رسول اللّه صلعم
الصلوات ولا يَدَع شيئا من الفواحش الّا ركبه فوُصف له فقال انّ صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب
وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانّما عبّر عنها به للتعليل بانّ اشتمالها على ذكره
هو العمدة في كونها مفضّلة على الحسنات ناهية عن السيّئات او لَذكر اللّه ايّاكم برحمته اكبر من
ذكركم ايّاه بطاعته وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسنَ المجازاة
جزء ٢١ (٤٥) وَلَا تُجَادِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الّا بالخصلة الّتي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين
ركوع ١ والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لا مجادلة اشدّ منه وجوابه
انّه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ بالافراط في الاعتداء والعناد او
باثبات الولد وقولهم يد اللّه مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ
هو من المجادلة بالّتي هي احسن وعن النبيّ صلعم لا تصدّقوا اهل الكتاب ولا تكذّبوهم
وقولوا آمنّا باللّه وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدّقوهم وان قالوا حقّا لم تكذّبوهم
وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ مطيعون له خاصّة وفيه تعريض باتّخاذهم أحبارهم ورهبانهم
اربابا من دون اللّه (٤٦) وَكَذَٰلِكَ ومثل ذلك الانزال أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وحيا مصدّقا لسائر الكتب
الالهيّة وهو تحقيق لقوله فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ هم عبد اللّه بن سلام وأضرابه او من
تقدّم عهد الرسول صلعم من اهل الكتاب وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ ومن العرب او اهل مكّة او ممّن في عهد الرسول

من اهل الكتابين مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بالقران وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا مع ظهورها وقيام الحجّة عليها إِلَّا ٱلْكَافِرُونَ جزء ٢١
الّا المتوغّلون فى الكفر فانّ جزمهم به يمنعهم عن التأمّل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة ركوع ١
الى الرسول كما اشار اليه بقوله (٤٧) وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ فانّ ظهور
هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على أمّيّ لم يُعْرَف بالقراءة والتعلّم خارقٌ للعادة ، وذكر
اليمين زيادة تصوير للمنفيّ ونفي للتجوّز فى الاسناد اِذًا لَارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ اى لو كنت ممّن يخطّ
ويقرأ لقالوا لعلّه تعلّمه او التقطه من كتب الاوّلين الاقدمين وانّما سمّاهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم
بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما
فى كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدّر (٤٨) بَلْ هُوَ بل القران آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا ٱلْعِلْمَ يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا ٱلظَّالِمُونَ المتوغّلون فى الظلم
بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتّى لم يعتدّوا بها (٤٩) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ مثل ناقة
صالح وعصا موسى ومائدة عيسى ، وقرأ نافع وابن عامر والبصريّان وحفص آيَاتٌ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَاتُ عِنْدَ ٱللَّهِ
يُنزلها كما يشاء لستُ املكها فآتيكم بما تقترحونه وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ليس من شأنى الّا الانذار
وابانته بما أُعطيتُ من الآيات (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ آية مُغنية عمّا اقترحوه أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ
تدوم تلاوته عليهم مُتحدَّين به فلا يزال معهم آيةٌ ثابتةٌ لا تضمحلّ بخلاف سائر الآيات او يُتلى عليهم
يعنى اليهود بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك ونعت دينك إِنَّ فِي ذَٰلِكَ الكتاب الّذى هو آية مستمرّة
وحجّة مبينة لَرَحْمَةً لنعمة عظيمة وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وتذكرة لمن همّه الايمان دون التعنّت وقيل
أنّ اناسا من المسلمين اتوا رسول اللّه صلعم بكتف كُتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالةً
قوم أن يرغبوا عمّا جاءهم به نبيّهم الى ما جاء به غير نبيّهم فنزلت (٥١) قُلْ كَفَى بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ركوع ٢
بصدقى وقد صدّقنى بالمعجزات او بتبليغى ما أُرسلتُ به اليكم ونصحى ومقابلتكم ايّاى بالتكذيب
والتعنّت (٥٢) يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فلا يخفى عليه حالى وحالكم وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱلْبَاطِلِ وهو ما
يُعبد من دون اللّه وَكَفَرُوا بِٱللَّهِ منكم أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان
(٥٣) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ بقولهم امطر علينا حجارة من السماء وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لكلّ عذاب او قوم
لَجَاءَهُمُ ٱلْعَذَابُ عاجلا وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً فجأة فى الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ باتيانه (٥٤) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ ستحيط بهم يوم
يأتيهم العذاب او هى كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى الّتى توجبها بهم ، واللام للعهد
على وضع الظاهر موضعَ المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس

*

جزء ٢١ اللّه عِلْمَ ما لم يعلم وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ بالنصر والاعانة ؛ قال عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت
ركوع ٣ كان له من الاجر عشرُ حسنات بعدد كلّ المؤمنين والمنافقين •

سُورَةُ ٱلرُّومِ

مكّيّة الّا قوله فسبحان اللّه وآيها ستّون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٤ (١) الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢) فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ارض العرب منهم لانّها الارض المعهودة عندهم او فى ادنى ارضهم من العرب واللامُ بدل من الاضافة وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ من اضافة المصدر الى المفعول ؛ وقرئ غَلْبِهِمْ وهو لغة كالجَلَب والجَلْب سَيَغْلِبُونَ (٣) فِى بِضْعِ سِنِينَ روى انّ فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبُصْرى وقيل بالجزيرة وهى ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكّة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس أُمّيّون فقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرنّ عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يُقِرِّنّ اللّهُ اعينَكم فواللّه ليَظْهرنّ الرومُ على فارس بعد بضع سنين فقال له أُبَيّ بن خلف كذبتَ اجعلْ بيننا اجلا أُناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كلّ واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فأخبر ابو بكر رسول اللّه صلعم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر ومادّه فى الاجل فجعلاه مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابىّ من جرح رسول اللّه صلعم بعد قفوله من أُحُد وظهرت الروم على فارس يوم الحُدَيْبية فأخذ ابو بكر الخطر من وَرَثة ابىّ وجاء به الى رسول اللّه فقال تصدّق به واستدلّ به الحنفيّة على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب وأُجيبَ بانّه كان قبل تحريم القمار ؛ والآية من دلائل النبوّة لانّها إخبار عن الغيب ؛ وقرئ غَلَبَتِ بالفتح وسَيُغْلَبُونَ بالضمّ ومعناه انّ الروم غَلبوا على ريف الشأم والمسلمون سيغلبونهم وفى السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اى له الامر حين غُلبوا وحين يَغْلبون ليس شىء منهما الّا بقضائه وقرئ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ من غير تقدير مضاف اليه كأنّه قيل قبلا وبعدا اى اوّلا وآخرا وَيَوْمَئِذٍ ويوم يغلب الروم يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ ٱللَّهِ من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر اللّه المؤمنين باظهار صدقهم او بأن ولّى بعض اعدائهم بعضا حتّى تفانَوْا يَنْصُرُ مَنْ يَشَآءُ فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

جزء ٢١ ركوع ۴

ٱلرَّحِيمُ ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضّل عليهم بنصرهم اخرى (٥) وَعْدَ ٱللَّهِ مصدر مؤكّد لنفسه لانّ ما قبله فى معنى الوعد لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ لامتناع الكذب عليه وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَعْدَه ولا صحّة وعده لجهلهم وعدم تفكّرهم (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ما يشاهدونه منها والتمتّع بزخارفها وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ ٱلَّتِى هى غايتها والمقصود منها هُمْ غَافِلُونَ لا تخطر ببالهم ، وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكّن غفلتهم عن الآخرة المحقّقة لمقتضى الجملة المتقدّمة المُبْدَلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فانّ من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفيّة صدورها منها وكيفيّة التصرّف فيها ولذلك نكّر ظاهرا وأمّا باطنها انّها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانّه لا فرق بين عدم العلم والعلم الّذى يختصّ بظاهر الدنيا (٧) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ اولم يحدثوا التفكّر فيها او اولم يتفكّروا فى امر انفسهم فانّها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له فى المكنات بأسرها ليتحقّق لهم قدرة مبدعها على اعادتها مثل قدرته على ابدائها مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ متعلّق بقول او علم محذوف يدلّ عليه الكلام وَأَجَلٍ مُّسَمًّى تنتهى عنده ولا تبقى بعده وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ بلقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمّى او قيام الساعة لَكَٰفِرُونَ جاحدون يحسبون انّ الدنيا ابديّة وانّ الآخرة لا تكون (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ تقرير لسيرهم فى اقطار الارض ونظرهم فى آثار المدمّرين قبلهم كَانُوٓا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً كعاد وثمود وَأَثَارُوا ٱلْأَرْضَ وقلّبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وَعَمَرُوهَا وعمروا الارض أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا من عمارة اهل مكّة ايّاها فانّهم اهل واد غير ذى زرع لا تبسّط لهم فى غيرها وفيه تهكّم بهم من حيث انّهم مغترّون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسّط فى البلاد والتسلّط على العباد والتصرّف فى اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجئون الى دار لا نفع لها وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ بالمعجزات او الآيات الواضحات فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمّرهم من غير جرم ولا تذكير وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ حيث عملوا ما ادّى الى تدميرهم (٩) ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا ٱلسُّوٓأَىٰ اى ثمّ كان عاقبتهم العاقبة السوءى او الخصلة السوءى فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانّهم جاءوا بمثل افعالهم ، والسوءى تأنيث الاسوأ كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت به أَن كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ علّة او بدل او عطف بيان للسوءى

جزء ٢١ او خبرُ كان والسوءى مصدرُ اساءوا او مفعوله بمعنى ثمّ كان عاقبةَ الّذين اقترفوا الخطيئة ان طبع اللّه
ركوع ٤ على قلوبهم حتّى كذّبوا بآيات اللّه واستهزءوا بها ويجوز ان يكون السوءى صلة الفعل وأن كذّبوا
تابعها والخبر محذوفا للابهام والتهويل وان تكون أنْ مفسّرة لانّ الاساءة ان كانت مفسّرة بالتكذيب
والاستهزاء كانت متضمّنة معنى القول ، وقرأ ابن عامر والكوفيّون عَاقِبَةَ بالنصب على انّ الاسم السوءى
ركوع ٥ وان كذّبوا على الوجوه المذكورة (١٠) ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ينشئهم ثُمَّ يُعِيدُهُ يبعثهم ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود ، وقرأ ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على الاصل
(١١) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ يسكتون متحيّرين آيسين يقال ناظرته فأبلس اذا سكت
وأيس ان يحتجّ ومنه الناقة المبلاس الّتى لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته (١٢) وَلَمْ يَكُنْ
لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ ممّن اشركوهم باللّه شُفَعَاءُ يُجيرونهم من عذاب اللّه ومجيئه بلفظ الماضى لتحققه
وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ يكفرون بآلهتهم حيث يئسوا منهم وقيل كانوا فى الدنيا كافرين
بسببهم ، وكُتب فى المصحف شفعوا وعلموا بنى اسرائل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على
صورة الحرف الّذى منه حركتها (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ اى المؤمنون والكافرون لقوله
(١٤) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ ارض ذات ازهار وانهار يُحْبَرُونَ يسرّون سرورا
تهلّلت له وجوههم (١٥) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ ٱلْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ
مُدْخَلون لا يغيبون عنه (١٦) فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمٰوَاتِ
وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ اخبارٌ فى معنى الامر بتنزيه اللّه تعالى والثناء عليه فى هذه الاوقات الّتى
تظهر فيها قدرته وتتجدّد فيها نعمته او دلالةٌ على انّ ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزّهه
واستحقاقه الحمدَ ممّن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لانّ آثار
القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشىّ الّذى هو آخر النهار من عَشِىَ العينُ اذا نقص
نورها والظهيرةِ الّتى هى وسطه لانّ تجدّد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيّا معطوفا على
حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا وعن ابن عبّاس انّ الآية جامعة للصلوات
الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيّا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر
ولذلك زعم الحسن انّها مدنيّة لانّه كان يقول كان الواجب بمكّة ركعتين فى اىّ وقت اتّفقتا وانّما
فُرضت الخمسُ بالمدينة والاكثرُ على انّها فرضت بمكّة وعنه عم مَنْ سرّه ان يُكال له بالقفيز الاوفى
فليقل فسبحان اللّه حين تمسون الآية وعنه عم من قال حين يصبح فسبحان اللّه الى قوله وكذلك
تخرجون ادرك ما فاته فى ليلته ومن قاله حين يمسى ادرك ما فاته فى يومه ، وقرئ حِينًا تُمْسُونَ
وحِينًا تُصْبِحُونَ اى تمسون فيه وتصبحون فيه (١٨) يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ كالانسان من النطفة

والطائر من البيضة وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ كالنطفة والبيضة او يعقب الحيوة الموت وبالعكس جزء ٢١
وَيُحْيِي ٱلْأَرْضَ بالنبات بَعْدَ مَوْتِهَا يبسها وَكَذَٰلِكَ ومثل ذلك الاخراج تُخْرَجُونَ من قبوركم فانّه ركوع ٥
ايضا تعقيب للحيوة الموت وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء (١٩) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ركوع ٦
اى فى اصل الانشاء لانّه خلق اصلهم منه ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ثمّ فاجأتم وقت كونكم بشرا
منتشرين فى الارض (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لانّ حوّاء خلقت من ضلع آدم
وسائر النساء خلقن من نُطَف الرجال او لانّهنّ من جنسهم لا من جنس آخر لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا لتميلوا
اليها وتألفوا بها فانّ الجنسيّة علّة للضمّ والاختلاف سبب للتنافر وَجَعَلَ بَيْنَكُم اى بين الرجال والنساء
او بين افراد الجنس مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً بواسطة الزواج حالّ الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر
المعاش او بانّ تعيّش الانسان متوقّف على التعارف والتعاون المحوج الى التوادّ والتراحم وقيل المودّة
كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله ورحمة منّا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فيعلمون ما فى
ذلك من الحِكَم (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ لغاتكم بأنْ علّم كلّ صنف
لغته او ألهمه وَضْعَها وأقدره عليها او أجناس نطقكم وأشكاله فانّك لا تكاد تسمع مَنْطِقَيْن متساويين
فى الكيفيّة وَأَلْوَانِكُمْ بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلاها بحيث وقع
التمايز والتعارف حتّى انّ التوأمين مع توافق موادّهما واسبابهما والامور الملاقية لهما فى التخليق
يختلفان فى شىء من ذلك لا محالة إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او
انس او جنّ وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيّده قوله وما يعقلها الّا العالمون (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِٱللَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ منامكم فى الزمانين لاستراحة القوى النفسانيّة وتقوّى القوى الطبيعيّة
وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلفّ وضمّ بين الزمانين والفعلين بعاطفين
اشعارا بانّ كلّا من الزمانين وان اختصّ باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيّده سائر الآيات
الواردة فيه إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سماع تفهّم واستبصار فانّ الحكمة فيه ظاهرة (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ
يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ مقدّر بأنْ كقوله

ألا ايّها ذا الزاجرى أَحْضُرُ الوَغَى   وأَنْ أَشْهَدَ اللذّاتِ هل انت مُخْلِدى

او الفعل فيه منزّل منزلة المصدر كقولهم تَسْمَعُ بالمُعَيْدِىّ خيرٌ من أن تراه او صفة لمحذوف تقديره آيةٌ
يريكم بها البرق كقوله

فما الدهر الّا تارتان فمنهما   اموت وأُخْرَى أبتغى العيشَ أَكْدَحُ

خَوْفًا من الصاعقة للمسافر وَطَمَعًا فى الغيث للمقيم ، ونصبهما على العلّة لفعل يلزم المذكور فانّ

جزء ٢١ اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة
ركوع ٦ والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً وقرئ
بالتشديد فَيُحْيِي بِهِ ٱلْأَرْضَ بالنبات بَعْدَ مَوْتِهَا يبسها إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون
عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكوّنها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ
تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيّزيهما المعيّنين من غير مقيم
محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ ٱلْأَرْضِ إِذَا
أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كأنّه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بأمره
ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايّها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة
ترتّب حصول ذلك على تعلّق ارادته بلا توقّف واحتياج الى تجشّم عمل بسرعة ترتّب اجابة الداعي
المطاع على دعائه ، وثمّ امّا لتراخي زمانه او لعظم ما فيه ، ومن الارض متعلّق بدعا كقولك دعوته
من اسفل الوادي فطلع اليّ لا بتخرجون لانّ ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها ، واذا الثانية للمفاجأة
ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى (٢٥) وَلَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ منقادون
لفعله فيهم لا يمتنعون عليه (٢٦) وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ بعد هلاكهم وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ
والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والّا فهما عليه سواء ولذلك
قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هيّن ، وتذكير هو لأهون او لانّ الاعادة بمعنى أن يعيد
وَلَهُ ٱلْمَثَلُ الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامّة والحكمة التامّة ومن فسّره بقول لا اله الّا اللّه اراد به
الوصف بالوحدانيّة ٱلْأَعْلَىٰ الّذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يصفه به ما فيهما
دلالةً ونطقا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ القادر الّذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته ٱلْحَكِيمُ الّذي يجري الافعال على
ركوع ٧ مقتضى حكمته (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ منتزعا من احوالها الّتي هي اقرب الامور اليكم
هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ من مماليككم مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ من الاموال وغيرها فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ
فتكونون انتم وهم فيه شرعا يتصرّفون فيه كتصرّفكم مع انّهم بشر مثلكم وانّها معارة لكم ، ومن الاولى
للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي تَخَافُونَهُمْ ان
يستبدّوا بتصرّف فيه كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كَذَٰلِكَ مثل ذلك التفصيل
نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ نبيّنها فانّ التمثيل ممّا يكشف المعاني ويوضحها لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم في تدبّر
الامثال (٢٨) بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بالاشراك أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ جاهلين لا يكفّهم شيء فانّ العالم اذا
اتّبع هواه ربّما ردعه علمه فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ فمن يقدر على هدايته وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ يخلّصونهم

جزء ٢١ ركوع ٧

من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها (٢٩) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فقوّمه له غيرَ ملتفتٍ او ملتفتٍ عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فِطْرَتَ ٱللَّهِ خِلْقَتَهُ نصبٌ على الاغراء او المصدرِ لما دلّ عليه ما بعدها ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا خلقهم عليها وهو قبولهم للحقّ وتمكّنهم من ادراكه او ملّة الاسلام فانّهم لو خُلّوا وما خُلقوا عليه أدّى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريّته لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ لا يقدر احد ان يغيّره او ما ينبغى ان يغيّر ذٰلِكَ اشارة الى الدينِ المأمور باقامة الوجه له او الفطرةِ ان فسّرت بالملّة ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ المستقيم الّذى لا عِوَجَ فيه وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ استقامتَه لعدم تدبّرهم (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ راجعين اليه من اناب اذا رجع مرّة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير فى الناصب المقدّر لفطرت اللّه او فى اقم لانّ الآية خطاب للرسول والامّة لقوله وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ غير انّها صُدّرت بخطاب الرسول تعظيما له (٣١) مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائىّ فَارَقُوا بمعنى تركوا دينهم الّذى أُمروا به وَكَانُوا شِيَعًا فِرَقا تشايع كلٌّ امامَها الّذى اضلّ دينها كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ مسرورون ظنّا بانّه الحقّ ويجوز ان يُجْعَل فرحون صفةَ كلّ على انّ الخبر من الّذين فرّقوا (٣٢) وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ شدّةٌ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ راجعين اليه من دعاء غيره ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً خلاصا من تلك الشدّة إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ فاجا فريق منهم الاشراكَ بربّهم الّذى عافاهم (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد كقوله فَتَمَتَّعُوا غير انّه التفت فيه مبالغة وقرئ وَلْيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عاقبةَ تمتّعكم وقرئ بالياء على انّ تمتّعوا ماض (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا حجّة وقيل ذا سلطان اى مَلَكا معه برهان فَهُوَ يَتَكَلَّمُ تكلُّمَ دلالةٍ كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحقّ او نطق بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ باشراكهم وصحّته او بالامر الّذى بسببه يشركون به فى الوهيّته (٣٥) وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً نعمة من صحّة وسعة فَرِحُوا بِهَا بطروا بسببها وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ شدّة بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ بشؤم معاصيهم إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ فاجأوا القنوطَ من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائىّ بكسر النون (٣٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السرّاء والضرّاء كالمؤمنين إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فيستدلّون بها على كمال القدرة والحكمة (٣٧) فَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَى حَقَّهُ كصلة الرحم واحتجّ به الحنفيّة على وجوب النفقة للمَحارم وهو غير مُشْعر به وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ما وُظّف لهما من الزكوة ، والخطاب

*

جزء ٢١ للنبيّ عم او لمن بسط له ولذلك رتّب على ما قبله بالفاء ذٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللّٰهِ ذاته او ركوع ٧ جهته اى يقصدون بمعروفهم ايّاه خالصا او جهة التقرّب اليه لا جهة اخرى وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ حيث حصّلوا بما بسط لهم النعيم المقيم (٣٨) وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا زيادة محرّمة فى المعاملة او عطيّة يتوقّع بها مزيد مكافأة ، وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربوا لِيَرْبُوَ فِى أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ ليزيد ويزكو فى اموالهم فَلَا يَرْبُو عِنْدَ ٱللّٰهِ فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه ، وقرأ نافع ويعقوب لِتُرْبُوا اى لتزيدوا او لتصيروا ذوى ربوا وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكٰوةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللّٰهِ تبتغون به وجهه خالصا فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ذوو الأضعاف من الثواب ونظير المُضْعِف المُقْوِى والمُوسِر لذى القوّة واليسار او الّذين ضعّفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سَنَن المقابلة عبارةً ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانّه خاطب به الملائكة وخواصّ الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانّه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت مَا موصولةً تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون (٣٩) ٱللّٰهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ اثبت له لوازمَ الالوهيّة ونفاها رأسا عمّا اتّخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكّدا بالانكار على ما دلّ عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثمّ استنتج من ذلك تقدّسه عن ان يكون له شركاء فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانّه بمعنى من افعاله ، ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفيّ وكلّ منها مستقلّة بتأكيد لتعجيز الشركاء ، وقرأ حمزة والكسائىّ ركوع ٨ بالتاء (٤٠) ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضارّ او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قُرَى السواحل وقرئ وَٱلْبُحُورِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ بشؤم معاصيهم او بكسبهم ايّاه وقيل ظهور الفساد فى البرّ بقتل قابيل اخاه وفى البحر بانّ جَلَنْدَى ملك عُمان كان يأخذ كلّ سفينة غَصْبا لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا بعض جزائه فانّ تمامه فى الآخرة ، واللام للعلّة او للعاقبة ، وعن ابن كثير ويعقوب لِنُذِيقَهُمْ بالنون لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عمّا هم عليه (٤١) قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلُ لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحقّقوا صدقه كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ استئناف للدلالة على انّ سوء عاقبتهم كان لفشوّ الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك فى اكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم (٤٢) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ البليغ الاستقامة مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ لا يقدر ان يردّه احد وقوله مِنَ ٱللّٰهِ متعلّق بيأتى ويجوز ان يتعلّق بمردّ لانّه مصدر على معنى لا يردّه اللّه لتعلّق ارادته القديمة بمجيئه يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ يتصدّعون اى يتفرّقون فريق فى الجنّة وفريق فى السعير كما قال

جزء ٢١ ركوع ٨

(٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ اى وباله وهو النار المؤبّدة وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ يسوّون منزلا فى الجنّة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص (٤٤) لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ علّة ليمهدون او ليصّدّعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانّه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ فانّ فيه اثبات البغض لهم والمحبّة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ، ومن فضله دالّ على انّ الاثابة تفضّل محض وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر (٤٥) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ الشمال والصبا والجنوب فانّها رياح الرحمة وامّا الدبور فريح العذاب ومنه قوله عم اللّهمّ اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائىّ ٱلرِّيحَ على ارادة الجنس مُبَشِّرَاتٍ بالمطر وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ يعنى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبّب عنها والرَّوح الّذى هو مع هبوبها ، والعطف على علّة محذوفة دلّ عليها مبشّرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلّل دلّ عليه وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ يعنى تجارة البحر وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ولتشكروا نعمة اللّه فيها (٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَٱنْتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا بالتدمير وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ اشعارٌ بانّ الانتقام لهم واظهارٌ لكرامتهم حيث جعلهم مستحقّين على اللّه ان ينصرهم وعنه عم ما من امرئٍ مسلم يردّ عن عرض اخيه الّا كان حقّا على اللّه ان يردّ عنه نار جهنّم ثمّ تلا ذلك وقد يوقف على حقّا على انّه متعلّق بالانتقام (٤٧) ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ متّصلا تارةً فِي ٱلسَّمَاءِ فى سمتها كَيْفَ يَشَاءُ سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا قطعا تارةً اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انّه مخفّف او جمع كسفة او مصدرٌ وُصف به فَتَرَى ٱلْوَدْقَ المطر يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فى التارتين فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يعنى بلادهم واراضيهم إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بمجىء الخصب (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ المطر مِنْ قَبْلِهِ تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لَمُبْلِسِينَ لآيسين (٤٩) فَٱنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائىّ وحفص كَيْفَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة إِنَّ ذَلِكَ يعنى الّذى قدر على احياء الارض بعد موتها لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَى لقادر على احيائهم فانّه احداث لمثل ما كان فى موادّ ابدانهم من القوى الحيوانيّة كما انّ احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتيّة هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من

جزء ٢١ موادّ ما تفتّتت وتبدّدت من جنسها فى بعض الاعوام السالفة وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لانّ نسبة قدرته ركوع ٨ الى جميع الممكنات على سواء (٥٠) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا فرأوا الاثر او الزرع فانّه مدلول عليه بما تقدّم وقيل السحاب لانّه اذا كان مصفرًّا لم يمطر ، واللامُ موطّئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ جوابٌ سدّ مسدّ الجزاء ولذلك فُسّر بالاستقبال ، وهذه الآية ناعية على الكفّار بقلّة تثبّتهم وعدم تدبّرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكّرهم وسوء رأيهم فانّ النظر السوىّ يقتضى ان يتوكّلوا على اللّه ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولا ييئسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا فى الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولا يكفروا نعمه (٥١) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وهم مثلهم لما سدّوا على الحقّ مَشاعرَهم وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ قيّد الحكم به ليكون اشدّ استحالة فانّ الاصمّ المُقْبل وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئًا ، وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصمّ (٥٢) وَمَا أَنتَ بِهَادِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَالَتِهِمْ سمّاهم عُمْيا لفقدهم المقصودَ الحقيقىّ من الابصار او لعَمَى قلوبهم وقرأ حمزة وحده تَهْدِى ٱلْعُمْىَ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فانّ ايمانهم يدعوهم الى تلقّى اللفظ وتدبّر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المُشارِف للايمان فَهُم مُّسْلِمُونَ لما تأمرهم به

ركوع ٩ (٥٣) ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ اى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً وذلك اذا بلغتم الحُلُمَ او تعلّق بأبدانكم الروح ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً اذا اخذ منكم السنّ ، وفتح عاصم وحمزة الضاد فى جميعها والضمّ اقوى لقول ابن عمر قرأتها على رسول اللّه صلعم مِن ضَعْفٍ فأقرأنى مِن ضُعْفٍ وهما لغتان كالفَقْر والفُقْر والتنكيرُ مع التكرير لانّ المتأخّر ليس عينَ المتقدّم يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ من ضعف وقوّة وشيبة وشبيبة وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ فانّ الترديد فى الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة (٥٤) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ القيامة سمّيت بها لانّها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانّها تقع بغتة وصارت عَلَما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ (٥٥) مَا لَبِثُوا فى الدنيا او فى القبور او فى ما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايّام والاعوام غَيْرَ سَاعَةٍ استقلّوا مدّة لبثهم اضافةً الى مدّة عذابهم فى الآخرة او نسيانا كَذَٰلِكَ مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كَانُوا يُؤْفَكُونَ يُصْرَفون فى الدنيا (٥٦) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَانَ من الملائكة والانس لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَابِ ٱللَّهِ فى علمه او قضائه او ما كتبه لكم اى اوجبه او اللوح او القران وهو قوله ومن ورائهم برزخ

الى يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ردّوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فَهٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ الّذى انكرتموه وَلٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ جزء ٢١
أنّه حقّ لتفريطكم فى النظر ، والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اى ركوع ٩
فقد تبيّن بطلان انكاركم (٥٧) فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وقرأ الكوفيّون بالياء لانّ المعذرة بمعنى العذر او لانّ تأنيثها غير حقيقىّ وقد فصل بينهما وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ لا يُدْعَوْن الى ما يقتضى إعتابَهم اى إزالةَ عَتْبهم من التوبة والطاعة كما دُعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فأعتبته اى استرضانى فأرضيته (٥٨) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات الّتى هى فى الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بيّنّا لهم من كلّ مثل ينبّههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ من آيات القران لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم إِنْ أَنْتُمْ يعنون الرسول والمؤمنين إِلَّا مُبْطِلُونَ مزوّرون (٥٩) كَذٰلِكَ مثل ذلك الطبع يَطْبَعُ ٱللّٰهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لا يطلبون العلم ويُصرّون على خُرافات اعتقدوها فانّ الجهل المركّب يمنع ادراك الحقّ ويوجب تكذيب المُحِقّ (٦٠) فَٱصْبِرْ على اذاهم إِنَّ وَعْدَ ٱللّٰهِ بنصرتك واظهار دينك على الدين كلّه حَقٌّ لا بدّ من انجازه وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ولا يحملنّك على الخفّة والقلق ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ بتكذيبهم وايذائهم فانّهم شاكّون ضالّون لا يُستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يَسْتَحِقَّنَّكَ اى لا يزيغنّك فيكونوا احقّ بك من المؤمنين ، عن رسول اللّه صلعم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كلّ ملك سبّح اللّه بين السماء والارض وادرك ما ضيّع فى يومه وليلته .

سُورَةُ لُقْمَانَ

مكّيّة الّا آية الّذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وقيل الّا ثلثا من قول ولو انّ ما فى الارض من شجرة اقلام وآيها اربع وثلثون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) الٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْحَكِيمِ سبق بيانه فى يونس (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ حالان ركوع ١
عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف (٣) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكٰوةَ وَهُمْ بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلاث من شُعَبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره (٤) أُولٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى

جزء ٢١ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ لاستجماعهم العقيدة الحقّة والعمل الصالح (٥) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ

ركوع ١٠ ٱلْحَدِيثِ ما يُلْهِى عمّا يَعْنى كالاحاديث الّتى لا اصل لها والاساطير الّتى لا اعتبار بها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى مِنْ وهى تبيينيّة ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضيّة ان اراد به الاعمّ منه وقيل نزلت فى النَّضْر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدّث بها قريشا ويقول ان كان محمّد يحدّثكم بحديث عاد وثمود فانا احدّثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان ويحملهنّ على معاشرة من اراد الاسلام ومَنْعِه عنه لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللّٰهِ دينه او قراءة كتابه، وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بِغَيْرِ عِلْمٍ بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القران وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ويتّخذ السبيل سخريّة وقد نصبه حمزة والكسائىّ ويعقوب وحفص عطفا على ليضلّ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ لاهانتهم الحقّ باستيثار الباطل عليه

(٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلّٰى مُسْتَكْبِرًا متكبّرا لا يعبأ بها كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا مشابها حالُه حالَ من لم يسمعها كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْرًا مشابها من فى اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكنّ فى ولّى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكنّ فى لم يسمعها ويجوز ان تكونا استينافين، وقرأ نافع فى أُذْنَيْهِ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أعلِمْه بانّ العذاب يحيق به لا محالة وذكر البشارة على التهكّم

(٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلنَّعِيمِ اى لهم نعيم الجنّات فعكس للمبالغة

(٨) خَالِدِينَ فِيهَا حال من الضمير فى لهم او من جنّات والعامل ما تعلّق به اللام وَعْدَ ٱللّٰهِ حَقًّا مصدران مؤكّدان الاوّل لنفسه والثانى لغيره لانّ قوله لهم جنّات وعدٌ وليس كلّ وعد حقّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ الّذى لا يغلبه شىء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده ٱلْحَكِيمُ الّذى لا يفعل الّا ما يستدعيه حكمته

(٩) خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا قد سبق فى الرعد وَأَلْقٰى فِى ٱلْأَرْضِ رَوَاسِىَ جبالا شوامخ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ كراهة ان تميد بكم فانّ تشابه اجزائها يقتضى تبدّل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كلّ منها لذاته او لشىء من لوازمه بحيّز ووضع معيّنين وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ من كلّ صنف كثير المنفعة وكانّه استدلّ بذلك على عزّته الّتى هى كمال القدرة وحكمته الّتى هى كمال العلم ومهّد به قاعدة التوحيد وقرّرها بقوله

(١٠) هٰذَا خَلْقُ ٱللّٰهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ هذا الّذى ذكر مخلوقه فما ذا خلق آلهتكم حتّى استحقّوا مشاركته، ومَا ذَا نصب بخَلَقَ او مَا مرتفع بالابتداء وخبرُه ذَا بصلته وأروني معلّق عنه بَلِ ٱلظَّالِمُونَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ إضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الّذى لا يخفى على

جزء ٢١ ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انّهم ظالمون باشراكهم (١١) وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ
ركوع ١١ يعنى لقمان بن باعورا من اولاد آزر ابن اخت ايّوب او خالته وعاش حتّى ادرك داود وأخذ منه العلم وكان يُفتى قبل مَبْعَثه والجمهورُ على انّه كان حكيما ولم يكن نبيّا والحكمةُ فى عُرْف العلماء استكمال النفس الانسانيّة باقتباس العلوم النظريّة واكتساب الملكة التامّة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنّه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرْع فلم يسأله عنها فلمّا اتمّها لبسها وقال نِعْمَ لبوسُ الحرب انت فقال الصمتُ حُكْمٌ وقليلٌ فاعلُه وأنّ داود عليه السلام قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت فى يدَىْ غيرى فتفكّر داود فيه فصعق صعقة وأنّه امره بأن يذبح شاة ويأتى بأطيب مُضْغتين منها فأتى باللسان والقلب ثمّ بعد ايّام امره بأن يأتى بأخبث مضغتين منها فأتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيبُ شىء اذا طابا واخبثُ شىء اذا خبثا أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ لأن اشكرْ او اى اشكرْ فانّ ايتاء الحكمة فى معنى القول وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ فانّ نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ لا يحتاج الى الشكر حَمِيدٌ حقيق بالحمد وان لم يُحْمَد او محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ أنْعَم او أَشْكَم او ماثان وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ تصغيرُ اشفاق وقرأ ابن كثير هنا وفى يا بنى اقم الصلوة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يا بنىّ انّها ان تك بفتح الياء والبزّى مثله فى الاخير وقرأ الباقون فى الثلاثة بكسر الياء لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ قيل كان كافرا فلم يزل به حتّى اسلم ، ومن وقف على لا تشرك جعل باللّه قسما إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ لانّه تسوية بين من لا نعمة الّا منه ومن لا نعمة منه (١٣) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا ذاتَ وهن او تَهِن وهنا عَلَىٰ وَهْنٍ اى تضعف ضعفا فوق ضعف فانّها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة فى موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وَهَن يَهِن وَهْنا ووَهِن يَوْهَن وَهَنا وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ وفطامه فى انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدّة وقرئ وَفَصْلُهُ وفيه دليل على انّ اقصى مدّة الرضاع حولان أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ تفسير لوصّينا او علّة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكرُ الحمل والفصال فى البين اعتراضٌ مؤكّدٌ للتوصية فى حقّها خصوصا ومن ثَمّ قال عم لمن قال له مَنْ أَبَرُّ أُمّك ثمّ أمّك ثمّ أمّك ثمّ قال بعد ذلك ثمّ اباك إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ فأحاسبك على شكرك وكفرك (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفى العلم به نَفْيَه فَلَا تُطِعْهُمَا فى ذلك وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم وَٱتَّبِعْ فى الدين سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ مرجعك ومرجعهما فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بأن اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما ، والآيتان معترضتان فى

جزء ۲۱ تضاعيف وصيّة لقمان تأكيدا لما فيها من النهى عن الشرك كانّه قال وقد وصّينا بمثل ما وصّى به
ركوع ۱۱ وذكر الوالدين للمبالغة فى ذلك فانّهما مع انّهما تِلْوُ البارئ فى استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز
ان يستحقّاه فى الاشراك فما ظنّك بغيرهما ونزولُهما فى سعد بن ابى وقّاص وأمّه مكثت لاسلامه ثلاثا لا
تطْعم فيها شيئًا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر فانّه اسلم بدعوته (۱۵) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ اى انّ الخصلة من الاحسان او الاساءة ان تك مثلا فى الصغر كحبّة الخردل ورفع نافع
مثقالَ على انّ الهاء ضمير القصّة وكان تامّة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبّة كقول الشاعر • كما شَرِقَتْ
صَدْرُ القناة من الدم • او لانّ المراد به الحسنة او السيّئة فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ
فى اخفى مكان وأحرزِه كجوف صخرة او اعلاه كمحدّب السموات او اسفله كمقعّر الارض ، وقرئ
بكسر الكاف من وَكَنَ الطائرُ اذا استقرّ فى وُكْنته يَأْتِ بِهَا اللَّهُ يحضرها فيحاسب عليها إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ
يصل علمه الى كلّ خفىّ خَبِيرٌ عالم بكنهه (۱۶) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ تكميلا لنفسك وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ
عَنِ الْمُنْكَرِ تكميلا لغيرك وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ من الشدائد سيّما فى ذلك إِنَّ ذَٰلِكَ الاشارة الى الصبر او
الى كلّ ما أُمر به مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ممّا عزمه اللّه من الامور اى قطعه قَطْعَ ايجاب مصدرٌ اطلق للمفعول
ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عَزَمَ الامرُ اى جَدّ (۱۷) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ لا تُمِلْه
عنهم ولا توَلّهم صفحة وجهك كما يفعل المتكبّرون من الصَعَر وهو الصَيَد داء يعترى البعير فيلوى
عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائىّ وَلَا تُصَاعِرْ وقرئ تُصْعِرْ والكلّ واحد مثل علّاه وأعلاه وعالاه
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا اى فَرِحا مصدرٌ وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ علّة للنهى وتأخيرُ الفخور وهو مقابل للمصعّر خدّه والمختالُ للماشى
مرحا لتوافق رءوس الآى (۱۸) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ توسّطْ فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عم سرعة المشى
تُذهب بهاء المؤمن وقولُ عائشة فى عمر رضى اللّه عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت ،
وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامى اذا سدّد سهمه نحو الرميّة وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ وانقصْ منه واقصرْ
إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ اوحشها لَصَوْتُ الْحَمِيرِ والحمار مَثَل فى الذمّ سيّما نُهاقه ولذلك يُكْنَى عنه فيقال
الطويل الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثمّ إخراجه مخرجَ الاستعارة مبالغةٌ شديدةٌ ، وتوحيدُ
ركوع ۱۲ الصوت لانّ المراد تفضيل الجنس فى النكير دون الآحاد او لانّه مصدر فى الاصل (۱۹) أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ
لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ بأن جعله اسبابا محصّلة لمنافعكم وَمَا فِي الْأَرْضِ بأن مكّنكم من الانتفاع به بوسط
او غير وسط وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مرّ
شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة ، وقرئ وَأَصْبَغَ بالابدال وهو جارٍ فى كلّ سين اجتمع مع الغين او الخاء

جزء ٢١
ركوع ١١

او القاف كصلخ وصَقْر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نِعَمَهُ بالجمع والاضافة وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى ٱللّٰهِ فى توحيده وصفاته بِغَيْرِ عِلْمٍ مستفاد من دليل وَلَا هُدًى راجع الى رسول وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ انزله الله بل بالتقليد كما قال (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ ٱللّٰهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وهو منع صريح من التقليد فى الاصول أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم إِلَى عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك، وجوابُ لَوْ محذوف مثل لَاتَّبعوه والاستفهام للانكار والتعجّب (٢١) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللّٰهِ بأن فوّض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمتُ المتاعَ الى الزبون ويؤيّده القراءة بالتشديد وحيث عُدّى باللام فلتضمّن معنى الاخلاص وَهُوَ مُحْسِنٌ فى عمله فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَى تعلّق بأوثق ما يُتعلّق به وهو تمثيل للمتوكّل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقّى الى شاهق جبل فتمسّك باوثق عُرَى الحبل المتدلّى منه وَإِلَى ٱللّٰهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ الكلّ صائر اليه (٢٢) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ فانّه لا يضرّك فى الدنيا والآخرة وقرئ فَلَا يُحْزِنْكَ من أحزن وليس بمستفيض إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فى الدارين فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا بالاهلاك والتعذيب إِنَّ ٱللّٰهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ فمجازٍ عليه فضلا عمّا فى الظاهر (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا تمتيعا او زمانا قليلا فانّ ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ يثقل عليهم ثقَلَ الاجرام الغلاظ او يضمّ الى الاحراق الضَغْطَ (٢٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللّٰهُ لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطرّوا الى اذعانه قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ انّ ذلك يلزمهم (٢٥) لِلّٰهِ مَا فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لا يستحق العبادة فيهما غيره إِنَّ ٱللّٰهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ عن حمد الحامدين ٱلْحَمِيدُ المستحق للحمد وان لم يحمد (٢٦) وَلَوْ أَنَّ مَا فِى ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ولو ثبت كونُ الاشجار اقلاما وتوحيدُ شجرة لانّ المراد تفصيل الآحاد وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة ابحر فأغنى عن ذكر المداد يمدّه لانّه من مدّ الدواة وأمدّها ورفعُه للعطف على محلّ أنّ ومعمولها ويمدّه حال او الابتداء على انّه مستأنف او الواو للحال ونصبه البصريّان بالعطف على اسم أنّ او اضمار فعل يفسّره يمدّه، وقرئ تَمُدُّهُ ويُمِدُّهُ بالياء والتاء مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللّٰهِ بكَتْبها بتلك الاقلام بذلك المداد، وايثارُ جمع القلّة للاشعار بانّ ذلك لا يفى بالقليل فكيف بالكثير إِنَّ ٱللّٰهَ عَزِيزٌ لا يُعجزه شىء حَكِيمٌ لا يخرج عن علمه وحكمته امرٌ، والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلعم او امروا وفد

*

جزء ۲۱ قريش ان يسألوه عن قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الّا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كلّ شيء
ركوع ۱۲ (۲۷) مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ الّا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأنٌ عن شأن لانّه يكفي
لوجود الكلّ تعلّق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتيّة كما قال انّما أمرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ يسمع كلّ مسموع بَصِيرٌ يبصر كلّ مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك
الخلق (۲۸) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
كلّ من النيّرين يجري في فلكه إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر
الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لأجل مسمّى انّ الاجل ههنا منتهى الجرى وثمّ
غرضه حقيقةً او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ عالم بكنهه (۲۹) ذَٰلِكَ
اشارة الى الّذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارئ بها بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
بسبب انّه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيّته وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَاطِلُ
المعدوم في حدّ ذاته لا يوجد ولا يتّصف الّا بجعله او الباطل الهيّته، وقرأ البصريّان والكوفيّون غير
ركوع ۱۳ ابي بكر بالياء وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ مترفّع عن كلّ شيء ومتسلّط عليه (۳۰) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي
فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته
وشمول انعامه، والباء للصلة او الحال، وقرئ ٱلْفُلُكَ بالتثقيل وبِنِعْمَاتِ ٱللَّهِ بسكون العين وقد جوّز
في مثله الكسر والفتح والسكون لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ دلائله إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ على المشاقّ
فيتعب نفسه بالتفكّر في الآفاق والانفس شَكُورٍ يعرف النعم ويتعرّف مانحها او للمؤمنين فانّ الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر (۳۱) وَإِذَا غَشِيَهُم علاهم وغطاهم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ كما يظلّ من جبل او
سحاب او غيرهما وقرئ كَالظِّلَالِ جمع ظُلّة كقلّة وقلال دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لزوال ما ينازع
الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ مقيم على
الطريق القصد الّذي هو التوحيد او متوسّط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
كُلُّ خَتَّارٍ غدّار فانّه نقض للعهد الفطريّ او لما كان في البحر والختر اشدّ الغدر كَفُورٍ للنعم
(۳۲) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ لا يقضي عنه وقرئ لا يُجزئ من
اجزأ اذا اغنى، والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزى فيه وَلَا مَوْلُودٌ عطف على والد او مبتدأ خبره
هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا وتغيير النظم للدلالة على انّ المولود اولى بأن لا يجزى وقطع طمع من توقّع من

المؤمنين ان ينفع اباه الكافر فى الآخرة (٣٣) إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ بالثواب والعقاب حَقٌّ لا يمكن خُلفه جزء ٢١
فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ الشيطان بأن يُرجيكم التوبة والمغفرة فيجسّركم على ركوع ١٣
المعاصى (٣٤) إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ علمُ وقت قيامها لما رُوى انّ الحارث بن عمرو اتى رسول اللّه فقال متى قيام الساعة وإنّى قد القيت حَبّاتى فى الارض فمتى السماء تمطر وحَمْل امرأتى أذكرٌ ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ فى إبّانه المقدّر له والمحلّ المعيّن له فى علمه ، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ اذكر ام انثى اتامّ ام ناقص وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا من خير او شرّ وربّما تعزم على شىء وتفعل خلافه وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ كما لا تدرى فى اىّ وقت تموت رُوى انّ ملك الموت مرّ على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانّه يريدنى فمر الريح ان تحملنى وتلقينى بالهند ففعل فقال الملك كان دوامُ نظرى اليه تعجّبا منه اذ أُمرتُ ان اقبض روحه بالهند وهو عندك ، وانّما جعل العلم للّه والدراية للعبد لانّ فيها معنى الحيلة فيُشعر بالفرق بين العلمين ويدلّ على انّه ان اعمل حيلَه وانفد فيها وُسْعَه لم يعرف ما هو ألحق به مِنْ كسبه وعاقبته فكيف بغيره ممّا لم ينصب له دليل عليه ، وقرئ بأيّة أرض وشبّه سيبويه تأنيثها بتأنيث كُلّ فى كُلّتهنّ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ يعلم الاشياء كلّها خَبِيرٌ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها ، وعنه عم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة وأُعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر.

سُورَةُ ٱلسَّجْدَةِ

مكّيّة وآيها ثلثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) الٓمٓ ان جُعل اسما للسورة او القران فمبتدأٌ خبره تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ على انّ التنزيل بمعنى المنزّل وان ركوع ١٤
جُعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبرَ محذوف او مبتدأٌ خبره لَا رَيْبَ فِيهِ فيكون مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ حالا من الضمير فى فيه لانّ المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حالٌ من الكتاب او اعتراضٌ والضمير فى فيه لمضمون الجملة ويؤيّده (٢) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ فانّه انكار لكونه من ربّ العالمين وقولُه بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فانّه تقرير له ونظمُ الكلام على هذا أنّه اشار اوّلا الى اعجازه ثمّ رتّب عليه انّ تنزيله من ربّ العالمين وقرّر ذلك بنفى الريب عنه ثمّ اضرب عن ذلك الى ما يقولون

جزء ٢١ فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فانّ أَمْ منقطعة ثمّ اضرب عنه الى اثبات انّه الحقّ المنزل من
ركوع ١٤ اللّه وبيّن المقصود من تنزيله فقال لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ اذ كانوا اهل الفترة لَعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ بانذارك ايّاهم (٣) اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ مرّ بيانه فى الاعراف مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ما لكم اذا جاوزتم رضا اللّه احدٌ
ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه وليّ ولا شفيع بل هو الّذى يتولّى مصالحكم وينصركم فى مواطن
نصركم على انّ الشفيع متجوّزٌ به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم وليّ ولا ناصر أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ
بمواعظ اللّه (٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ يدبّر امر الدنيا بأسباب سماويّة كالملائكة وغيرها نازلة
آثارها الى الارض ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ثمّ يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا
تَعُدُّونَ فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبّر الامر
باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثمّ يعرج اليه فى زمان هو كالف سنة لانّ مسافة نزوله وعروجه مسيرة
الف سنة فانّ ما بين السماء والارض مسيرة خمس مائة سنة وقيل يقضى قضاء الف سنة فينزل به الملك
ثمّ يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبّر الامر الى قيام الساعة ثمّ يعرج اليه الامر كلّه يوم القيمة
وقيل يدبّر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحى ثمّ لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه
الّا فى مدّة متطاولة لقلّة المخلصين والاعمال الخُلّص ، وقرئ يُعْرَجُ ويَعُدُّونَ (٥) ذٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فيدبّر امرهما على وفق الحكمة الْعَزِيزُ الغالب على امره الرَّحِيمُ على العباد فى تدبيره وفيه ايماء بانّه
يراعى المصالح تفضّلا واحسانا (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ خَلَقَهُ موفّرا عليه ما يستعدّ له ويليق به
على وفق الحكمة والمصلحة وخَلْقَهُ بدل من كلّ بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قولهم قيمةُ
المرء ما يُحْسِنه اى يُحْسِن معرفته وخَلْقَهُ مفعول ثانٍ وقرأ نافع والكوفيّون بفتح اللام على الوصف
فالشىء على الاوّل مخصوص بمنفصل وعلى الثانى بمتّصل وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ يعنى آدم مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ
جَعَلَ نَسْلَهُ ذرّيّته سمّيت به لانّها تنسل منه اى تنفصل مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ممتهن (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ
قوّمه بتصوير اعضائه على ما ينبغى وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ اضافه الى نفسه تشريفا له واشعارا بانّه خلقٌ
عجيب وانّ له شأنا له مناسبةٌ ما الى الحضرة الربوبيّة ولاجله قيل من عرف نفسه فقد عرف ربّه وَجَعَلَ لَكُمُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ تشكرون شكرا قليلا
(٩) وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ اى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا يتميّز منه او غبنا فيها وقرئ
ضَلِلْنَا بالكسر من ضلّ يضلّ وصَلَلْنا من صلّ اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه
ما دلّ عليه أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ وهو نُبْعَث او يجدّد خَلْقُنا وقرأ نافع والكسائىّ ويعقوب إنّا على

الخبر ، والقائل أُبَىّ بن خلف واسنادُه الى جميعهم لرضاهم به (١٠) بَلْ هُمْ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ بالبعث او بتلقّى جزء ٢١
ملك الموت وما بعده كَافِرُونَ جاحدون (١١) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ يستوفى نفوسكم لا يترك منها شيئًا ولا ركوع ١٤
يُبْقِى منكم احدا والتفعّل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصّيته واستقصيته وتعجّلته واستعجلته
مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ لقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ للحساب والجزاء
(١٢) وَلَوْ تَرَى إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ من الحياء والخزى رَبَّنَا قائلين ربّنا أَبْصَرْنَا ركوع ١٥
ما وعدتنا وَسَمِعْنَا منك تصديق رسلك فَٱرْجِعْنَا الى الدنيا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ اذ لم يبق لنا
شكّ بما شاهدنا ، وجوابُ لَوْ محذوف تقديره لرأيتَ امرا فظيعا ويجوز أن تكون للتمنّى والمضىّ
فيها وفى إذْ لانّ الثابت فى علم اللّه بمنزلة الواقع ، ولا يقدّر لترى مفعول لانّ المعنى لو يكون منك رؤية
فى هذا الوقت او يقدّر ما دلّ عليه صلة اذ والخطابُ للرسول او لكلّ احد (١٣) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ
نَفْسٍ هُدَاهَا ما تهتدى به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ثبت قضائى
وسبق وعيدى وهو لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم
المشيئة المسبّب عن سبق الحكم بأنّهم من اهل النار ولا يدفعه جَعْلُ ذوق العذاب مسبّبا عن
نسيانهم العاقبةَ وعدم تفكّرهم فيها بقوله (١٤) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا فانّه من الوسائط
والاسباب المقتضية له إِنَّا نَسِينَاكُمْ تركناكم من الرحمة او فى العذاب تَرْكَ المنسىّ وفى استينافه
وبناء الفعل على إنّ واسمها تشديدٌ فى الانتقام منهم وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
كرّر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيّئة من التكذيب
والمعاصى كما علّله بتركهم تدبّرَ امر العاقبة والتفكّر فيها دلالةً على انّ كلّا منهما يقتضى ذلك
(١٥) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا وُعظوا بها خَرُّوا سُجَّدًا خوفا من عذاب اللّه وَسَبَّحُوا
نزّهوه عمّا لا يليق به كالعجز عن البعث بِحَمْدِ رَبِّهِمْ حامدين له شكرا على ما وفّقهم للاسلام وآتاهم
الهدى وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عن الايمان والطاعة كما يفعل من يُصِرّ مستكبرا (١٦) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ترتفع
وتتنحّى عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ الفُرُش ومواضع النوم يَدْعُونَ رَبَّهُمْ داعين ايّاه خَوْفًا من سخطه وَطَمَعًا فى رحمته
وعن النبىّ صلعم فى تفسيرها قيامُ العبد من الليل وعنه عم اذا جمع اللّه الاوّلين والآخرين فى صعيد
واحد جاء منادٍ ينادى بصوت يُسْمِع الخلائقَ كلّهم سيَعْلم اهلُ الجمع اليومَ مَنْ أَوْلَى بالكرم ثمّ يرجع
فينادى ليقم الّذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثمّ يرجع فينادى ليقم
الّذين كانوا يحمدون اللّه فى البأساء والضرّاء فيقومون وهم قليل فيسرّحون جميعا الى الجنّة ثمّ
يحاسب سائر الناس وقيل كان أُناسٌ من الصحابة يصلّون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم

جزء ٢١ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ في وجوه الخير (١٧) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ لا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل

ركوع ١٥ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ممّا تقرّ به عيونهم وعنه عم يقول اللّه اعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا اذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر بَلْهَ ما أَطْلعتُهم عليه اقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم وقرأ حمزة ويعقوب أُخْفِي على انّه مضارعُ اخفيت وقرئ نُخْفِي وأَخْفَى والفاعل للكلّ هو اللّه تعالى وقُرّات أَعْيُنٍ لاختلاف انواعها ، والعلم بمعنى المعرفة ، وما موصولة او استفهاميّة معلّق عنها الفعل جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى جُزوا جزاء او أُخْفي للجزاء فانّ اخفاءه لعلوّ شأنه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فأخفى اللّه ثوابهم (١٨) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا خارجا عن الايمان في الشرف والمثوبة لَا يَسْتَوُونَ تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى (١٩) أَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْمَأْوَى فانّها المأوى الحقيقيّ والدنيا منزل مرتحَل عنه لا محالة وقيل المأوى جنّة من الجنان نُزُلًا سبق في آل عمران بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بسبب اعمالهم او على اعمالهم (٢٠) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ مكانَ جنّة المأوى للمؤمنين كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا عبارة عن خلودهم فيها وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ اهانةً لهم وزيادةً في غيظهم (٢١) وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَى عذاب الدنيا يريد ما مُحنوا به من السَّنَة سبع سنين والقتل والاسر دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ عذاب الآخرة لَعَلَّهُمْ لعلّ من بقي منهم يَرْجِعُونَ يتوبون عن الكفر رُوى انّ الوليد بن عُقْبة فاخَرَ عليّا رضه يومَ بدر فنزلت هذه الآيات (٢٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا فلم يتفكّر فيها ، وثُمَّ لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عَقْلًا كما في بيت الحماسة

ولا يَكْشِفُ الغَمَّآءَ إلّا ابنُ حُرَّةٍ — يَرَى غَمَراتِ الموت ثُمَّ يَزورُها

ركوع ١٦ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ فكيف ممّن كان اظلم من كلّ ظالم (٢٣) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ كما آتيناك فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ في شكّ مِنْ لِقَائِهِ من لقائك الكتاب كقوله وانّك لَتُلَقّى القرآنَ فانّا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قطّ حتّى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عم رأيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي موسى رجلا آدم طُوالا جَعْدا كانّه من رجال شَنُوءة وَجَعَلْنَاهُ اى المنزل على موسى هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٤) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ الناسَ الى ما فيه من الحِكَم والاحكام بِأَمْرِنَا ايّاهم به او بتوفيقنا له لَمَّا صَبَرُوا وقرأ حمزة والكسائيّ ورُوَيْس لِمَا صَبَرُوا اى لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ لامعانهم فيها النظر (٢٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ

بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ يقضى فيميّز الحقّ من الباطل بتمييز المُحِقّ من المُبْطِل فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ جزء ٢١
من امر الدين (٢٦) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ الواو للعطف على منوىّ من جنس المعطوف والفاعلُ ضميرُ ما دلّ عليه ركوع ١٦
كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ ٱلْقُرُونِ اى كثرةُ مَنْ اهلكناهم من القرون الماضية او ضميرُ اللّه بدليل القراءة
بالنون يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ يعنى اهل مكّة يمرّون فى متاجرهم على ديارهم وقرئ يُمَشُّونَ بالتشديد
إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ سماعَ تدبّر واتّعاظ (٢٧) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ
ٱلّتى جُرِز نباتها اى قُطِع وأُزيل لا الّتى لا تنبت لقوله فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا وقيل اسم موضع باليمن تَأْكُلُ
مِنْهُ من الزرع أَنْعَامُهُمْ كالتبن والورق وَأَنْفُسُهُمْ كالحبّ والثمر أَفَلَا يُبْصِرُونَ فيستدلّون به على كمال
قدرته وفضله (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا ٱلْفَتْحُ النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربّنا افتح بيننا
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى الوعد به (٢٩) قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ
وهو يوم القيٰمة فانّه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكّة والمرادُ
بالّذين كفروا المقتولون منهم فيه فانّهم لا ينفعهم ايمانهم حالَ القتل ولا يُمْهَلون • وانطباقه جوابا على
سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عُرِف من غرضهم فانّهم لمّا ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء
أُجيبوا بما يمنع الاستعجال (٣٠) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ولا تُبالِ بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وَٱنْتَظِرْ
النصرةَ عليهم إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ الغلبةَ عليك وقرئ بالفتح على معنى انّهم احقّاء بأن يُنْتَظَر هلاكهم او
انّ الملائكة ينتظرونه • عن النبىّ صلعم من قرأ الم تنزيل وتبارك الّذى بيده الملك أُعْطِى من الاجر
كانّما أَحْيَى ليلةَ القدر وعنه من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايّام •

سُورَةُ ٱلْأَحْزَابِ

مدنيّة وآيها ثلث وسبعون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللّٰهَ ناداه بالنبىّ وأمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمرادُ به الامر ركوع ١٧
بالثبات عليه ليكون مانعا له عمّا نُهِى عنه بقوله وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ فيما يعود بوهْن فى
الدين روى انّ ابا سفيان وعكرمة بن ابى جهل وأبا الاعور السلمىّ قدموا عليه فى الموادعة الّتى كانت
بينه وبينهم وقام معهم ابن أُبَىّ ومعتّب بن قُشَيْر والجدّ بن قَيْس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل انّ
لها شفاعة ونَدَعُك وربّك فنزلت إِنَّ ٱللّٰهَ كَانَ عَلِيمًا بالمصالح والمفاسد حَكِيمًا لا يحكم الّا بما يقتضيه

حزء ٢١ ركوع ١٧ الحكمة (٢) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ كالنّهى عن طاعتهم إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا فموح اليك ما تصلح به اعمالك ويغنى عن الاستماع الى الكفرة ، وقرأ ابو عمرو بالياء على انّ الواو ضمير الكفرة والمنافقين اى انّ اللّه خبير بمكايدهم فيدفعها عنك (٣) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وكِلْ امرك الى تدبيره وَكَفَى بِٱللَّهِ وَكِيلًا موكولا اليه الامورُ كلّها (٤) مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ اى ما جمع قلبين فى جوف لانّ القلب معدنُ الروح الحيوانىّ المتعلّق للنفس الانسانىّ اوّلا ومنبعُ القوى بأسرها وذلك يمنع التعدّد وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱللَّائِي تَظَّهَّرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ وما جمع الزوجيّة والامومة فى امرأة ولا الدعْوة والبنوّة فى رجل والمرادُ بذلك ردُّ ما كانت العرب تزعم من انّ اللبيبَ الاريبَ له قلبان ولذلك قيل لأبى مَعْمَر او جميل بن اسد الفهْرىّ ذو القلبين والزوجةَ المظاهَرَ عنها كالامّ ودعىَّ الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبىّ عتيق رسول اللّه صلعم ابنَ محمّد او المرادُ نفى الامومة والبنوّة عن المظاهَر عنها والمتبنّى ونفىُ القلبين لتمهيد اصل يحمّلان عليه والمعنى كما لم يجعل اللّه قلبين فى جوف لأدائه الى تناقض وهو ان يكون كلّ منهما اصلا لكلّ القوى وغيرَ اصل لم يجعل الزوجةَ والدعىَّ الّذين لا ولادة بينهما وبينه امّه وابنَه الّذين بينهما وبينه ولادة ، وقرأ ابو عمرو ٱللَّاي بالياء وحده على انّ اصله ٱللَّاء بهمزة فخفّفت وعن الحجازيّين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده ، وأصل تظّهّرون تتظهّرون فأدغمت التاء الثانية فى الظاء وقرأ ابن عامر تَظَّاهَرُونَ بالادغام وحمزة والكسائىّ بالحذف وعاصم تُظَاهِرُونَ من ظاهَرَ وقرئ تُظَهِّرُونَ من ظهّر بمعنى ظاهر كعقّد بمعنى عاقد وتَظْهَرُونَ من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انتِ علىّ كظهر امّى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبّيك وتعديته بمن لتضمّنه معنى التجنّب لانّه كان طلاقا فى الجاهليّة وهو فى الاسلام يقتضى الطلاقَ او الحرمةَ الى اداء الكفّارة كما عدّى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الّذى هو عموده فانّ ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ فى التحريم فانّهم كانوا يحرّمون اتيان المرأة وظهرُها الى السماء ، وأَدْعِيَاء جمعُ دَعىّ على الشذوذ وكانّه شبّه بفعيل بمعنى فاعل فجُمع جَمْعَه ذَٰلِكُمْ اشارة الى ما ذكر او الى الاخير قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ لا حقيقةَ له فى الأعيان كقول الهاذى وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ما له حقيقة عينيّة مطابقة له وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ سبيل الحق (٥) ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ انسبوهم اليهم وهو إفراد للمقصود من اقواله الحقّة وقولُه هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ تعليل له ، والضميرُ لمصدرِ ادعوا ، واقسط افعلُ تفضيل قُصد به الزيادة مطلقا من القِسْط بمعنى العَدْل ومعناه البالغ فى الصدق فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فتنسبوهم اليهم فَإِخْوَانُكُمْ فِى ٱلدِّينِ فهم اخوانكم فى الدين وَمَوَالِيكُمْ واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التأويل وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى او بعده على

النسيان او سبق اللسان وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ولكن الجناح فيما تعمّدت او لكن ما تعمّدت فيه جزء ٢١ الجناح وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا لعفوه عن المخطئ ، واعلم انّ التبنّى لا عبرة به عندنا وعند ابى حنيفة ركوع ١٧ يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الّذى يمكن الحاقه به (٦) ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ فى الامور كلّها فانّه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الّا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك أُطلق فيجب عليهم ان يكون احبّ اليهم من انفسهم وأمْرُه انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتمّ من شفقتهم عليها روى انّه عليه السلام اراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامّهاتنا فنزلت ، وقرئ وَهُوَ أَبٌ لَّهُمْ اى فى الدين فانّ كلّ نبىّ اب لامّته من حيث انّه اصل فيما به الحيوة الابديّة ولذلك صار المؤمنون اخوة وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ منزّلات منزلتهنّ فى التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيّات ولذلك قالت عائشة رضى اللّه عنها لسنا امّهات النساء وَأُولُو ٱلْأَرْحَامِ وذوو القرابات بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة فى الدين فِى كِتَابِ ٱللَّهِ فى اللوح او فيما أُنزل وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض اللّه مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ بيان لاولى الارحام او صلة لأَوْلَىٰ اى اولو الارحام بحقّ القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحقّ الدين والمهاجرين بحقّ الهجرة إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا استثناء من اعمّ ما يقدّر الاولويّة فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَابِ مَسْطُورًا كان ما ذكر فى الآيتين ثابتا فى اللوح او القران وقيل فى التورية (٧) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ مقدّر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيّم وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ خصّهم بالذكر لانّهم مشاهير ارباب الشرائع وقدّم نبيّنا تعظيما له وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا عظيم الشأن او مؤكّدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف (٨) لِّيَسْأَلَ ٱلصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ اى فعلنا ذلك ليسأل اللّه يوم القيمة الانبياء الّذين صدقوا عهدهم عمّا قالوه لقومهم او تصديقهم ايّاهم تبكيتا لهم او المصدّقين لهم عن تصديقهم فانّ مصدّق الصادق صادق او المؤمنين الّذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا عطف على اخذنا من جهة انّ بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دلّ عليه ليسأل كانّه قال فاثاب المؤمنين واعدّ للكافرين (٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ركوع ١٨ يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ريح الصبا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا الملائكة روى انّه عم لمّا سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثمّ خرج

*

جزء ۲۱ اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريبٌ من شهر لا حرب بينهم الّا الترامى ركوع ۱۸ بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فأخْصَرَتْهم وسفت التراب فى وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيلُ بعضها فى بعض وكبّرت الملائكة فى جوانب العسكر فقال طُلَيْحة بن خُوَيْلد الاسدىّ امّا محمّد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ من حفر الخندق وقرأ البصريّان بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزّب والمحاربة بَصِيرًا رائيا (۱۰) إِذْ جَآءُوكُمْ بدل من اذ جاءتكم مِنْ فَوْقِكُمْ من اعلى الوادى من قِبَل المشرق بنو غطفان وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ من اسفل الوادى من قبل المغرب قريش وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ مالت عن مستوى نظرها حيرةً وشخوصا وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ رُعْبا لانّ الرئة تنتفخ من شدّة الروع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا الانواع من الظنّ فظنّ المخلصون الثُّبّتُ القلوب انّ الله مُنْجِز وعده فى اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعافُ القلوب والمنافقون ما حكى عنهم ، والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يردها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس (۱۱) هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ اختُبِروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا من شدّة الفزع وقرئ زَلْزالا بالفتح (۱۲) وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ضعف اعتقاد مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ من الظفر واعلاء الدين إِلَّا غُرُورًا وعدا باطلا قيل قائله معتّب بن قُشَيْر قال يعدنا محمّد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر ان يتبرّز فَرَقا ما هذا الّا وعد غرور (۱۳) وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يعنى أَوْس بن قَيْظِىّ واتباعه يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة فى ناحية منها لَا مُقَامَ لَكُمْ لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضمّ على انّه مكان او مصدر من اقام فَٱرْجِعُوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمّد فارجعوا الى الشرك وأَسْلِموه لتُسْلَموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كُفّارا ليمكنكم المقام بها وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ للرجوع يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ غير حصينة وأصلُها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العَوِرة من عَوِرَت الدارُ اذا اختلّت وقد قرئ بها وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ بل هى حصينة إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا اى ما يريدون بذلك الّا الفرار من القتال (۱۴) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم دخلت المدينة او بيوتهم مِّنْ أَقْطَارِهَا من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بانّ دخول هؤلاء المتحزّبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيّان فى اقتضاء الحكم المرتّب عليه ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ الردّة ومقاتلة المسلمين لَأَتَوْهَا لأعطوها وقرأ الحجازيّان بالقصر بمعنى لجاءوها وفعلوها وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا بالفتنة اى باعطائها إِلَّا يَسِيرًا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل

ما لبثوا فى المدينة بعد تمام الارتداد الّا يسيرا (١٥) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا ٱللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَارَ جزء ٢١
يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول اللّه صلعم يومَ أُحُد حين فشلوا ثمّ تابوا ان لا يعودوا لمثله وَكَانَ عَهْدُ ركوع ١٨
ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا مسئولا عن الوفاء به مُجازًى عليه (١٦) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ
فانّه لا بدّ لكلّ شخص من حتف انف او قتل فى وقت معيّن سبق به القضاء وجرى عليه القلم
وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا اى وإنْ نفعكم الفرار مَثَلا فمُتّعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الّا تمتيعا او
زمانا قليلا (١٧) قُلْ مَنْ ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً اى او يصيبكم
بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله متقلّدا سَيْفا ورُمحا او حمل الثانى على الاوّل لما فى
العصمة من معنى المنع وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا ينفعهم وَلَا نَصِيرًا يدفع الضرر عنهم
(١٨) قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ المثبّطين عن رسول اللّه وهم المنافقون وَٱلْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ من ساكنى
المدينة هَلُمَّ إِلَيْنَا قرّبوا انفسكم الينا وقد ذُكر اصله فى الأنعام وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا الّا اتيانا او
زمانا او بأساً قليلا فانّهم يعتذرون ويتثبّطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون
الّا قليلا كقوله ما قاتلوا الّا قليلا وقيل انّه من تتمّة كلامهم ومعناه لا يأتى اصحاب محمّد حرب الاحزاب
ولا يقاومونهم الّا قليلا (١٩) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل اللّه او الظفر والغنيمة
جمعُ شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوّقين او على الذمّ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ فى احداقهم كَٱلَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ كنظر المغشىّ عليه او كدوران عينه او
مشبّهين به او مشبّهة بعينه مِنَ ٱلْمَوْتِ من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ
وحيزت الغنائم سَلَقُوكُمْ ضربوكم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ذربة يطلبون الغنيمة ، والسلق البسط بقهر باليد
او اللسان أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ نصب على الحال او الذمّ ويؤيّده قراءة الرفع وليس بتكرير لانّ كلّا منهما
مقيد من وجه أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا اخلاصا فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ فأظهر بطلانها اذ لم يَثْبُت لهم اعمال
فتَبْطُلَ او ابطل تصنّعهم ونفاقهم وَكَانَ ذَٰلِكَ الاحباط عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا هيّنا لتعلّق الارادة به وعدمِ
ما يمنعه عنه (٢٠) يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا اى هؤلاء لجبنهم يظنّون انّ الاحزاب لم ينهزموا وقد
انهزموا ففرّوا الى داخل المدينة وَإِنْ يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ كرّة ثانية يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ تمنّوا انّهم
خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب يَسْأَلُونَ كلّ قادم من جانب المدينة عَنْ أَنْبَآئِكُمْ عمّا جرى
عليكم وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ هذه الكرّة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا رئاء وخوفا من
التعيير (٢١) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ خصلة حسنة من حقّها ان يؤتسى بها ركوع ١٩

جزء ٢١ كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد او هو فى نفسه قدوة يحسن التأسّى به كقولك فى البيضة
ركوع ١٩ عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد ، وقرأ عاصم بضمّ الهمزة وهو لغة فيه لِمَنْ كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ اى ثواب اللّه او لقاءه ونعيم الآخرة او ايّام اللّه واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فانّ اليوم الآخر داخل فيها ، والرجاء يحتمل الامل والخوف ، ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على انّ ضمير المخاطب لا يُبْدَل منه وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدّية الى ملازمة الطاعة فانّ المؤتسى بالرسول من كان كذلك (٢٢) وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثلُ الّذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عم سيشتدّ الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبةُ لكم عليهم وقوله عليه السلام انّهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وظهر صدق خبر اللّه ورسوله او صَدَقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء ، واظهار الاسم للتعظيم وَمَا زَادَهُمْ فيه ضمير لمّا رأوا او الخطب او البلاء إِلَّا إِيمَانًا باللّه ومواعيده وَتَسْلِيمًا لأوامره ومقاديره (٢٣) مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعداء الدين من صَدَقَنى اذا قال لك الصدق فانّ المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ نَذْرَه بأن قاتل حتّى استُشْهِد كحمزة ومُصْعَب بن عُمَيْر وأَنَس بن النَّضْر ، والنحب النذر واستعير للموت لانّه كنذر لازم فى رقبة كلّ حيوان وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ الشهادة كعثمان وطلحة وَمَا بَدَّلُوا العهدَ ولا غيّروه تَبْدِيلًا شيـئا من التبديل رُوى انّ طلحة ثبت مع رسول اللّه صلعم يوم أُحُد حتّى اصيبت يده فقال عم أَوْجَبَ طلحةُ وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله (٢٤) لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ تعليل للمنطوق والمعرّض به فكأنّ المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبةَ الحسنى والتوبةُ عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا لمن تاب (٢٥) وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يعنى الاحزاب بِغَيْظِهِمْ متغيّظين لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ بالريح والملائكة وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا على احداث ما يريده عَزِيزًا غالبا على كلّ شىء (٢٦) وَأَنْزَلَ ٱلَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ ظاهروا الاحزاب مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ يعنى قريظة مِنْ صَيَاصِيهِمْ من حصونهم جمع صيصية وهى ما يُتحصّن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ الخوف وقرئ بالضمّ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وقرئ بضمّ السين روى انّ جبريل اتى رسول اللّه عليهما السلام صبيحةَ الليلة الّتى انهزم فيها الاحزاب فقال أتنزع لأمتك

والملائكة لم يضعوا السلاح انّ اللّه يأمرك بالسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فأذّن فى الناس ان لا جزء ٢١
يصلّوا العصر الّا ببنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتّى جهدهم الحصار فقال لهم ركوع ١٩
تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم
ونسائهم فكبّر النبىّ وقال لقد حكمت بحكم اللّه من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستّمائة او اكثر وأسر
سبعمائة (٢٧) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ مزارعهم وَدِيَارَهُمْ حصونهم وَأَمْوَالَهُمْ نقودهم ومواشيهم وأثاثهم روى انّه عم
جعل عقارهم للمهاجرين فتكلّم فيه الانصار فقال انّكم فى منازلكم وقال عمر اما تخمّس كما خمست
يوم بدر قال لا انّما جعلت هذه لى طعمة وَأَرْضًا لَمْ تَطَؤُوهَا كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كلّ ارض
تفتح الى يوم القيمة وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا فيقدر على ذلك (٢٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ ركوع ٢٠
كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا السعة والتنعّم فيها وَزِينَتَهَا زخارفها فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ أعطكنّ المتعة
وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا طلاقا من غير ضرار وبدعة روى انّهنّ سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت
فبدأ بعائشة فخيّرها فاختارت اللّه ورسوله ثمّ اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهنّ اللّه ذلك فانزل لا
يحلّ لك النساء من بعد، وتعليق التسريح بارادتهنّ الدنيا وجعلها قسيما لارادتهنّ الرسول يدلّ على
انّ المخيّرة اذا اختارت زوجها لم تطلّق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن علىّ ويؤيّده
قول عائشة خيّرنا رسول اللّه فاخترناه ولم يعدّه طلاقا، وتقديم التمتيع على التسريح المسبّب عنه من
الكرم وحسن الخلق وقيل لانّ الفرقة كانت بارادتهنّ كاختيار المخيّرة نفسها فانّه طلقة رجعيّة عندنا
وبائنة عند ابى حنيفة واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدلّ عليه، وقرئ أمتّعكنّ
وأسرّحكنّ بالرفع على الاستيناف (٢٩) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللّهَ أَعَدَّ
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا يستحقر دونه الدنيا وزينتها، ومن للتبيين لانّهنّ كلّهنّ كنّ محسنات
(٣٠) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ بكبيرة مُبَيَّنَةٍ ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابى بكر
والباقون بكسر الياء يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ضعفى عذاب غيرهنّ اى مثليه لانّ الذنب منهنّ
اقبح فانّ زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حدّ الحرّ ضعفى حدّ العبد
وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم، وقرأ البصريّان يضعّف وابن كثير وابن عامر نضعّف بالنون
وبناء الفاعل ونصب العذاب وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا لا يمنعه عن التضعيف كونهنّ نساء النبىّ
وكيف وهو سببه (٣١) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ ومن يدم على الطاعة لِلّهِ وَرَسُولِهِ ولعلّ ذكر اللّه للتعظيم جزء ٢٢
او لقوله وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ مرّة على الطاعة ومرّة على طلبهنّ رضا النبىّ بالقناعة وحسن ركوع ١
المعاشرة، وقرأ حمزة والكسائىّ ويعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على انّ فيه ضمير اسم اللّه

جزء ۲۲ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا فى الجنّة زيادة على اجرها (۳۲) يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ ٱلنِّسَاءِ
ركوع ۱ اصل أَحَد وَحَد بمعنى الواحد ثمّ وضع فى النفى العامّ مستويا فيه المذكّر والمؤنّث والواحد والكثير
والمعنى لستنّ كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ مخالفة حكم اللّه ورضا رسوله
فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فلا تجئن بقولكنّ خاضعا ليّنا مثل قول المريبات فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ فجور
وقرئ بالجزم عطفا على محلّ فعل النهى على انّه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهنّ عن الخضوع
بالقول وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا حسنا بعيدا عن الريبة (۳۳) وَقِرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ من وَقَر يقِر وَقارا او من قَرّ يقَرّ
حذفت الاولى من راءى اِقْرِرْن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى عن همزة الوصل ويؤيّده قراءة نافع
وعاصم بالفتح من قَرِرْت اَقَرّ وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع وَلَا تَبَرَّجْنَ
ولا تتبخترن فى مشيكنّ تَبَرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأُولَى تبرّجا مثل تبرّج النساء فى ايّام الجاهليّة القديمة قيل
هى ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الّذى وُلد فيه ابرٰهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى
وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهليّة الاخرى ما بين عيسى ومحمّد عم وقيل الجاهليّة
الاولى جاهليّة الكفر قبل الاسلام والجاهليّة الاخرى جاهليّة الفسوق فى الاسلام ويعضده قوله عم لابى
الدرداء انّ فيك جاهليّة قال جاهليّة كفر او اسلام قال بل جاهليّة كفر وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فى سائر ما امركنّ به ونهاكنّ عنه إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ
الذنب المدنّس لعرضكم وهو تعليل لامرهنّ ونهيهنّ على الاستيناف ولذلك عمّم الحكم أَهْلَ ٱلْبَيْتِ
نصب على النداء او المدح وَيُطَهِّرَكُمْ عن المعاصى تَطْهِيرًا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير
للتنفير عنها ، وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلىّ وابنيهما رضى اللّه عنهم لما رُوى انّه عم
خرج ذاتَ غدوة عليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من شعر اسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثمّ جاء علىّ فأدخله
فيه ثمّ جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثمّ قال انّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
والاحتجاجُ بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجّة ضعيفٌ لانّ التخصيص بهم لا يناسب ما قبل
الآية وما بعدها والحديثُ يقتضى انّهم من اهل البيت لا انّه ليس غيرهم (۳۴) وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِى
بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهنّ من
حيث جعلهنّ اهل بيت النبوّة ومَهْبِط الوحى وما شاهدن من بُرَحاء الوحى ممّا يوجب قوّة الايمان
والحرص على الطاعة حثّا على الانتهاء والايتمار فيما كلّفن به إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا يعلم ويدبّر ما
يصلح فى الدين ولذلك خيّركنّ ووعظكنّ او يعلم من يصلح لنبوّته ومن يصلح ان يكون اهل بيته
ركوع ۲ (۳۵) إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ الداخلين فى السلم المنقادين لحكم اللّه وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ
المصدّقين بما يجب ان يصدّق به وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْقَانِتَاتِ المداومين على الطاعة وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ

في القول والعمل وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ على الطاعات وعن المعاصي وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ المتواضعين لله جزء ٢٢
بقلوبهم وجوارحهم وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ بما وجب في مالهم وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ الصوم المفروض ركوع ٢
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ عن الحرام وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ بقلوبهم وألسنتهم أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً لما اقترفوا من الصغائر لانهنّ مكفّرات وَأَجْرًا عَظِيمًا على طاعاتهم ، والآية وعد لهنّ ولامثالهنّ على الطاعة والتدرّع بهذه الخصال روى انّ ازواج النبيّ قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير فما فينا خير نُذْكَر به فنزلت وقيل لمّا نزل فيهنّ ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت ، وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروريّ وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين وليس بضروريّ ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على انّ اعداد المُعَدّ لهم للجمع بين هذه الصفات (٣٦) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ما صحّ له إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا اى قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بانّ قضاءه قضاء الله لانّه نزل في زينب بنت جحش بنت عمّته اميمة بنت عبد المطّلب خطبها رسول الله صلعم لزيد بن حارثة فأبت هي واخوها عبد الله وقيل في امّ كلثوم بنت عُقْبة وهبت نفسها للنبيّ فزوّجها من زيد أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله ، والخيرة ما يُتَخَيَّر ، وجمع الضمير الاوّل لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انّهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم ، وقرأ الكوفيّون وهشام يَكُونَ بالياء وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا بيّن الانحراف عن الصواب (٣٧) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بما وفّقك الله فيه وهو زيد بن حارثة أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ زينب وذلك انّه عم ابصرها بعد ما انكحها ايّاه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلّب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبيّ وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك أرابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الّا خيرا ولكن لشرفها تتعظّم عليّ فقال له امسك عليك زوجك وَاتَّقِ اللَّهَ في امرها فلا تطلّقها ضرارا وتعلّلا بتكبّرها وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وهو نكاحها ان طلّقها او ارادة طلاقها وَتَخْشَى النَّاسَ تعييرهم ايّاك به وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ان كان فيه ما يُخْشَى ، والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانّه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فانّ الأَوْلى في امثال ذلك ان يصمت او يفوّض الامر الى ربّه فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا حاجة بحيث ملّها ولم يبق له فيها حاجة وطلّقها وانقضت عدّتها زَوَّجْنَاكَهَا وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زَوَّجْتُكَهَا والمعنى انّه امر بتزويجها

جزء ۲۲ منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انّها كانت تقول لسائر ازواج النبيّ انّ اللّه تولّى انكاحى ركوع ۲ وانتنّ زوّجكنّ اولياؤكنّ وقيل كان زيد السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بيّن على قوّة ايمانه لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ اِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا علّة للتزويج وهو دليل على انّ حكمه وحكم الامّة واحد الّا ما خصّه الدليل وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ امره الّذى يريده مَفْعُولًا مكوّنا لا محالة كما كان تزويج زينب (٣٨) مَا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُ قسم له وقدّر من قولهم فرض له فى الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم سُنَّةَ ٱللَّهِ سنّ ذلك سنّة فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ من الانبياء وهو نفى الحرج عنهم فيما اباح لهم وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا قضاء مقضيّا وحكما مبتوتا (٣٩) ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ ٱللَّهِ صفة للّذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رِسَالَةَ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ تعريض بعد تصريح وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغى ان لا يُخشى الّا منه (٤٠) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُمْ على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابرٰهيم لانّهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وكلّ رسول ابو امّته لا مطلقا بل من حيث انّه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة ، وقرئ رَسُولُ ٱللَّهِ بالرفع على انّه خبر محذوف وَلَٰكِنَّ بالتشديد على حذف الخبر اى ولكنّ رسولَ اللّه من عرفتم انّه لم يعش له ولد ذكر وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وآخرهم الّذى ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاقَ بمنصبه ان يكون نبيّا كما قال عليه السلام فى ابرٰهيم حين توفّى لو عاش لكان نبيّا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانّه اذا نزل كان على دينه مع انّ المراد منه انّه آخر من نُبّئ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا فيعلم من يليق بأن يختم به النبوّة وكيف ركوع ۳ ينبغى شأنه (٤١) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا يغلب الاوقات ويعمّ انواع ما هو اهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا اوّل النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودتين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانّه العمدة فيها وقيل الفعلان موجّهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة (٤٢) هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ بالرحمة وَمَلَآئِكَتُهُ بالاستغفار لكم والاهتمام بما يُصلحكم والمرادُ بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصَّلْو وقيل الترحّم والانعطاف المعنوىّ مأخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصورىّ الّذى هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحّم عليهم

سيّما وهو سبب للرحمة من حيث انّهم مُجابو الدعوة لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ من ظلمات الكفر جزء ٢٢
والمعصية الى نور الايمان والطاعة وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم ركوع ٣
واستعمل فى ذلك ملائكته المقرّبين (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيّون يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبور او دخول الجنّة سَلَامٌ اخبار بالسلامة عن كلّ مكروه وآفة وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا هى الجنّة ولعلّ اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهمّ (٤٤) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا على من بُعثتَ اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدّرة وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته بِإِذْنِهِ بتيسيره وأُطْلِق له من حيث انّه من اسبابه وقيّد به الدعوة ايذانا بانّه امرٌ صعبٌ لا يتأتّى الّا بمعونة من جناب قدسه وَسِرَاجًا مُنِيرًا يُستضاء به عن ظلمات الجهالة ويُقتبس من نوره انوار البصائر (٤٦) وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعلّه معطوف على محذوف مثل فراقبْ احوال امّتك (٤٧) وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم وَدَعْ أَذَاهُمْ ايذاءهم ايّاك ولا تحتفل به او ايذاءك ايّاهم مجازاة او مؤاخذةً على كفرهم ولذلك قيل انّه منسوخ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فانّه يكفيكهم وَكَفَى بِٱللَّهِ وَكِيلًا موكولا اليه الامرُ فى الاحوال كلّها ولعلّه تعالى لمّا وصفه بخمس صفات قابل كلّا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لانّ ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشّرَ بالامر ببشارة المؤمنين والنذيرَ بالنهى عن مراقبة الكفّار والمبالاة باذاهم والداعىَ الى اللّه بتيسيره بالتوكّل عليه والسراجَ المنير بالاكتفاء به فانّ من اناره اللّه برهانا على جميع خلقه كان حقيقا ان يُكتفى به عن غيره (٤٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ تجامعوهنّ وقرأ حمزة والكسائىّ بألف وضمّ التاء فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ ايّام يتربّصن فيها بانفسهنّ تَعْتَدُّونَهَا تستوفون عددها من عددتُ الدراهم فاعتدّها كقولك كِلْتُه فاكتاله او تَعُدّونها والاسنادُ الى الرجال للدلالة على انّ العدّة حقّ الازواج كما اشعر به فما لكم ، وعن ابن كثير تَعْتَدُونَهَا مخفّفا على ابدال احدى الدالين بالياء او على انّه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها ، وظاهره يقتضى عدمَ وجوب العدّة بمجرّد الخلوة ، وتخصيص المؤمنات والحكمُ عامّ للتنبيه على انّ من شأن المؤمن ان لا ينكح الّا مؤمنة تخيّرا للنطفة ، وفائدةُ ثمّ ازاحةُ ما عسى يُتوهّم انّ تراخى الطلاق ريثما تُمكن الاصابةُ كما يؤثّر فى النَسَب يؤثّر فى العدّة فَمَتِّعُوهُنَّ اى ان لم يكن مفروضا لها فانّ الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المُتعة ويجوز ان يؤوّل التمتيع بما يعمّهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فانّ المتعة سُنّة للمفروض لها وَسَرِّحُوهُنَّ اخرجوهنّ من منازلكم اذ ليس

جزء ٢٢ لكم عليهنّ عدّة سَرَاحًا جَمِيلًا من غير ضرار ولا منع حقّ ولا يجوز تفسيره بالطلاق السُنّىّ لانّه مرتّب
ركوع ٣ على الطلاق والضمير لغير المدخول بهنّ (٤٩) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ٱللَّاتِى آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ مهورهنّ لانّ المهر اجرٌ على البُضع ، وتقييدُ الاحلال له باعطائها معجّلة لا لتوقف الحِلّ عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبيّة بقوله وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ فانّ المشتراة لا يتحقّق بدؤ امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه فى قوله وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ٱللَّاتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ ويحتمل تقييد الحلّ بذلك فى حقّه خاصّة ويعضده قولُ أُمِّ هانئٍ بنت ابى طالب خطبنى رسول اللّه فاعتذرت اليه فعذرنى ثمّ انزل اللّه هذه الآية فلم أَحِلّ له لانّى لم اهاجر معه كنتُ من الطُلقاء وَٱمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ نصب بفعل يفسّره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بانّ التى للاستقبال فانّ المعنى بالاحلال الاعلام بالحِلّ اى اعلمناك حلّ امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتّفق ولذلك نكّرها واختُلف فى اتّفاق ذلك والقائلُ به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خُزَيْمة الانصاريّة وامّ شريك بنت جابر وخَوْلة بنت حكيم ، وقرئ أَنْ بالفتح اى لأَنْ وهبتْ او مدّة أَنْ وهبت كقولك اجلسْ ما دام زيد جالسا إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا شرط للشرط الاوّل فى استيجاب الحلّ فانّ هبتها نفسها منه لا توجب له حلّها الّا بارادته نكاحها فانّها جارية مجرى القبول ، والعُدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبىّ مكرّرا ثمّ الرجوع اليه فى قوله خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ايذانٌ بانّه ممّا خُصّ به لشرف نبوّته وتقريرٌ لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتجّ به اصحابنا على انّ النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لانّ اللفظ تابع للمعنى وقد خُصّ عم بالمعنى فيختصّ باللفظ ، والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه ، وخالصةً مصدرٌ مؤكّد اى خَلَصَ احلالُها او احلالُ ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حالٌ من الضمير فى وهبَتْ او صفةٌ لمصدر محذوف اى هبةً خالصةً (٥٠) قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِى أَزْوَاجِهِمْ من شرائط العقد ووجوب القَسْم والمهر بالوطئ حيث لم يسمّ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ من توسيع الامر فيها انّه كيف ينبغى ان يُفرَض عليهم ، والجملة اعتراض بين قوله لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ومتعلّقه وهو خالصة للدلالة على انّ الفرق بينه وبين المؤمنين فى نحو ذلك لا لمجرّد قصد التوسيع عليه بل لمعانٍ تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا لما يعسُر التحرّز عنه رَحِيمًا بالتوسعة فى مظانّ الحرج (٥١) تُرْجِى مَنْ تَشَآءُ مِنْهُنَّ تؤخّرها وتترك مضاجعتها وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشَآءُ وتضمّ اليك من تشاء وتضاجعها او تطلّق من تشاء وتمسك من تشاء ، وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص تُرْجِى بالياء والمعنى واحد وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ طلبت ممّن عَزَلْتَ طلّقت بالرجعة فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ فى شىء من ذلك ذٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا

آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قُرّة عيونهنّ وقلّة حزنهنّ ورضاهنّ جميعا لانّ حكم جزء ٢٢
كلّهنّ فيه سواء ثمّ ان سوّيت بينهنّ وجدن ذلك تفضّلا منك وان رجّحت بعضهنّ علمن انّه بحكم ركوع ٣
اللّه فتطمئنّ نفوسهنّ وقرئ تُقِرّ بضم التاء وأَعْيُنَهُنّ بالنصب وتُقَرّ على البناء للمفعول ، وكلّهنّ
تأكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهنّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ فاجتهدوا في احسانه
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا بذات الصدور حَلِيمًا لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يُتّقى (٥٢) لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ
بالياء لانّ تأنيث الجمع غير حقيقيّ وقرأ البصريّان بالتاء مِنْ بَعْدُ من بعد التسع وهو في حقّه كالاربع
في حقّنا او من بعد اليوم حتّى لو ماتت واحدة لم يحلّ له نكاح اخرى وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ
فتطلّق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومنْ مزيدة لتأكيد الاستغراق وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ حسن
الازواج المستبدَلة وهو حال من فاعل تبدّل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغّله في التنكير وتقديره
مفروضا اعجابك بهنّ واختُلف في انّ الآية مُحْكَمة او منسوخة بقوله ترجيء من تشاء منهنّ وتُؤوي
اليك من تشاء على المعنى الثاني فانّه وان تقدّمها قراءةً فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحلّ لك
النساء من بعد الاجناس الاربعة اللّاتي نُصّ على احلالهنّ لك ولا ان تبدّل بهنّ ازواجا من اجناس اخر
إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ استثناء من النساء لانّه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ رَّقِيبًا فتحفّظوا امركم ولا تتخطّوا ما حدّ لكم (٥٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ركوع ٤
إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ الّا وقتَ أن يؤذن لكم او الّا مأذونا لكم إِلَىٰ طَعَامٍ متعلّق بيؤذن لانّه متضمّن معنى
يُدْعَى للاشعار بانّه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان أُذن كما اشعر به قوله غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ
غير منتظرين وقته او ادراكه حالٌ من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجرّ صفةً لطعامٍ
فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريّين ، وقد امال حمزة والكسائيّ
اناه لانّه مصدر أَنَى الطعامُ اذا ادرك وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنْتَشِرُوا تفرّقوا ولا تمكثوا ،
والآية خطابٌ لقوم كانوا يتحيّنون طعامَ رسول اللّه صلعم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه
مخصوصةٌ بهم وبأمثالهم والّا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام
لمُهِمّ وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمّع له عطفٌ على
نَاظِرِين او مقدّرٌ بفعل اى ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستأنسين إِنَّ ذَٰلِكُمْ اللبث كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ
لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشغاله فيما لا يعنيه فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ من اخراجكم لقوله وَٱللَّهُ لَا
يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ يعنى انّ اخراجكم حقّ فينبغي ان لا يُترك حياء كما لم يتركه اللّه ترْك الحيي
فامركم بالخروج ، وقرئ لَا يَسْتَحِي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا

جزء ٢٢ شيئا ينتفع به فَاسْأَلُوهُنَّ المتاع مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ ستر روى انّ عمر قال يا رسول الله يدخل عليك البرّ
ركوع ٤ والفاجر فلو امرت امّهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انّه عم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فأصابت
يده رجل يد عائشة فكره النبيّ ذلك فنزلت ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ من الخواطر النفسانيّة
الشيطانيّة وَمَا كَانَ لَكُمْ وما صحّ لكم أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ ان تفعلوا ما يكرهه وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ
مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا من بعد وفاته او فراقه وخصّ الّتى لم يدخل بها لما روى انّ اشعث بن قيس تزوّج
المستعيذة فى ايّام عمر فهمّ برجمها فأُخبر بانّه عم فارقها قبل ان يمسّها فتركها من غير نكير إِنَّ ذَٰلِكُمْ
يعنى ايذاءه ونكاح نسائه كَانَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته
حيّا وميّتا ولذلك بالغ فى الوعيد عليه فقال (٥٤) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا كنكاحهنّ على السنتكم أَوْ تُخْفُوهُ
فى صدوركم فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا فيعلم ذلك فيجازيكم به وفى هذا التعميم مع البرهان على
المقصود مزيد تهويل ومبالغة فى الوعيد (٥٥) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ آبَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَانِهِنَّ وَلَآ
أَبْنَآءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَاتِهِنَّ استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روى انّه لمّا نزلت آية الحجاب
قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله أَوَنكلّمهنّ ايضا من وراء حجاب فنزلت ، وانّما لم يذكر العمّ
والخال لانّهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمّى العمّ ابا فى قوله واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او
لانّه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما وَلَا نِسَآئِهِنَّ يعنى نساء المؤمنات وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصّة وقد مرّ فى سورة النور وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ فيما أُمرتنّ به
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا لا يخفى عليه خافية (٥٦) إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَآئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ
يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ اعتنوا انتم ايضا فانّكم اولى بذلك
وقولوا اللّهمّ صلّ على محمّد وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وقولوا السلام عليك ايّها النبيّ وقيل وانقادوا لأوامره ، والآية
تدلّ على وجوب الصلوة والسلام عليه فى الجملة وقيل تجب الصلوة كلّما جرى ذكره لقوله عم رَغِمَ
انف رجل ذُكِرْتُ عنده فلم يصلّ علىّ وقوله من ذُكرت عنده فلم يصلّ علىّ فدخل النار فأبعده
الله وتجوز الصلوة على غيره تبعا وتُكره استقلالا لانّه فى العُرف صار شعارا لذكر الرسول صلعم ولذلك
كُرِه ان يقال محمّد عزّ وجلّ وان كان عزيزا وجليلا (٥٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يرتكبون ما
يكرهانه من الكفر والمعاصى او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو
ذلك وذكرُ الله للتعظيم له ومن جوّز اطلاق اللفظ على معنيين فسّره بالمعنيين باعتبار المعمولين
لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ابعدهم من رحمته فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا يهينهم مع الايلام (٥٨) وَٱلَّذِينَ
يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا بغير جناية استحقّوه بها فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا
ظاهرا قيل انّها نزلت فى منافقين كانوا يؤذون عليّا وقيل فى اهل الافك وقيل فى زناة كانوا يتبعون

النساء وهنّ كارهات (٥٩) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ جزء ٣٣
يغطّين وجوههنّ وأبدانهنّ بملاحفهنّ اذا برزن لحاجة ، ومنْ للتبعيض فانّ المرأة تُرخى بعض جلبابها ركوع ٥
وتتلفّع ببعض ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ يميّزن من الاماء والقينات فَلَا يُؤْذَيْنَ فلا يؤذيهنّ اهل الريبة
بالتعرّض لهنّ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا لما سلف رَحِيمًا بعباده حيث يراعى مصالحهم حتّى الجزئيّات منها
(٦٠) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ عن نفاقهم وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ضعف ايمان وقلّة ثبات عليه او فجورٌ
عن تزلزلهم فى الدين او فجورهم وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ يُرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين
ونحوها من ارجافهم وأصله التحريك من الرجفة وهى الزلزلة سمّى به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير
ثابت لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ لنأمرنّك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرّهم الى طلب الجلاء ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ عطف
على لنغرينّك وثمّ للدلالة على انّ الجلاء ومفارقة جوار الرسول اعظم ما يصيبهم فِيهَا فى المدينة إِلَّا قَلِيلًا
زمانا او جوارا قليلا (٦١) مَلْعُونِينَ منصوب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اى لا يجاورونك
الّا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا لانّ ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبلها (٦٢) سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ مصدر مؤكّد اى سنّ اللّٰه ذلك فى الامم الماضية
وهو ان يقتل الّذين نافقوا الانبياء وسعوا فى وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ
تَبْدِيلًا لانّه لا يبدّلها ولا يقدر احد ان يبدّلها (٦٣) يَسْأَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ عن وقت قيامها استهزاء
وتعنّتا او امتحانا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ ٱللَّهِ لم يُطلع عليه ملكا ولا نبيّا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا
شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لانّ الساعة
فى معنى اليوم ، وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنّتين (٦٤) إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا
نارا شديدة الاتّقاد (٦٥) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا يحفظهم وَلَا نَصِيرًا يدفع العذاب عنهم
(٦٦) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ تُصرّف من جهة الى جهة كاللحم يُشوى بالنار او من حال الى حال
وقرئ تَقَلَّبُ بمعنى تتقلّب وتُقَلِّبُ ، ومتعلّق الظرف يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا فلن
نُبتلى بهذا العذاب (٦٧) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا يعنون قادتهم الّذين لقّنوهم الكفر ، وقرأ
ابن عامر ويعقوب سَادَاتِنَا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا بما زيّنوا لنا (٦٨) رَبَّنَا آتِهِمْ
ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ مثلَى ما آتيتنا منه لانّهم ضلّوا وأضلّوا وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا كثير العدد وقرأ عاصم
بالباء اى لعنا هو اشدّ اللعن واعظمه (٦٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ ركوع ٦
مِمَّا قَالُوا فأظهر براءته من مقولهم يعنى مؤدّاه ومضمونه وذلك انّ قارون حرّض امرأة على قذفه بنفسها

جزء ٢٢ ركوع ٦ فعصمه الله كما مرّ في القصص او اتّهمه ناس بقتل هرون لمّا خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومرّوا به حتّى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله فأخبرهم ببراءته او قرفوه بعيب في بدنه من برص او أُدرة لفرط تستّره حياء فأطلعهم الله على انّه برئ منه وَكَانَ عِنْدَ ٱللّٰهِ وَجِيهًا ذا قربة ووجاهة وقرئ وَكَانَ عَبْدًا لِلّٰهِ وَجِيهًا (٧٠) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ في ارتكاب ما يكرهه فضلا عمّا يؤذي رسوله وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا قاصدا الى الحقّ من سدّ يسدّ سدادا والمراد النهي عن ضدّه كحديث زينب من غير قصد (٧١) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ يوفّقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ويجعلها مكفّرة باستقامتكم في القول والعمل وَمَنْ يُطِعِ ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ في الاوامر والنواهي فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا (٧٢) إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنْسَانُ تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسمّاها امانة من حيث انّها واجبة الاداء والمعنى انّها لعظمة شأنها بحيث لو عُرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك لأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوّته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا حيث لم يف بها ولم يراع حقّها جَهُولًا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة الّتي تعمّ الطبيعيّة والاختياريّة وبعرضها استدعاؤها الّذي يعمّ طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤدّيها فتبرأ ذمّته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتّى منه والظلم والجهالة الخيانة والتقصير وقيل انّه تعالى لمّا خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انّي فرضت فريضة وخلقت جنّة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخّرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا ولمّا خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمّله ما يشقّ عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعلّ المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهنّ اعتبارها بالاضافة الى استعدادهنّ وبابائهنّ الاباء الطبيعيّ الّذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليّته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوّة الغضبيّة والشهويّة وعلى هذا يحسن ان يكون علّة للحمل عليه فانّ من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوّتين حافظا لهما عن التعدّي ومجاوزة الحدّ ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما (٧٣) لِيُعَذِّبَ ٱللّٰهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ ٱللّٰهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ تعليل للحمل من حيث انّه نتيجته كالتأديب للضرب في ضربته تأديبا، وذكر التوبة في الوعد اشعار بانّ كونهم ظلوما جهولا في جبلّتهم لا يخلّيهم عن فرطات وَكَانَ ٱللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا حيث تاب عن فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم، قال عم من قرأ سورة الاحزاب وعلّمها اهله وما ملكت يمينه أُعطي الامان من عذاب القبر.

سُورَة سبا

مكيّة وقيل الّا قوله ويرى الّذين اوتوا العلم الآية وآيها اربع وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٢٢ ركوع ٧

(١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُ مَا فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ لانّ ما فى الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيّد على المطلق فانّ الوصف بما يدلّ على انّه المنعم بالنعم الدنيويّة قيّد الحمد بها، وتقديم الصلة للاختصاص فانّ النعم الدنيويّة قد تكون بواسطة من يستحقّ الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ الّذى احكم امور الدارين ٱلْخَبِيرُ ببواطن الاشياء (٢) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر والكنوز والدفائن والاموات وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا كالحيوان والنبات والفلزّات وماء العيون وَمَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ للمفرّطين فى شكر نعمته مع كثرتها او فى الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر (٣) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ انكارٌ لمجيئها او استبطاءٌ استهزاءً بالوعد به قُلْ بَلَىٰ ردّ لكلامهم واثبات لما نفوه وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ تكرير لايجابه مؤكّدا بالقسم مقرّرا بوصف المقسم به بصفات تقرّر امكانه وتنفى استبعاده على ما مرّ غير مرّة وقرأ حمزة والكسائىّ عَلَّامِ ٱلْغَيْبِ للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عَالِمُ ٱلْغَيْبِ بالرفع على انّه خبرُ محذوف او مبتدأٌ خبره لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وقرأ الكسائىّ لا يَعْزِبُ بالكسر وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ جملة مؤكّدة لنفى العزوب، ورفعهما بالابتداء ويؤيّده القراءة بالفتح على نفى الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرّة بانّه فتح فى موضع الجرّ لامتناع الصرف لانّ الاستثناء يمنعه اللّهمّ الّا اذا جُعل الضمير فى عَنْهُ للغيب وجُعل المُثْبَت فى اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شىء الّا مسطورا فى اللوح (٤) لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ علّةٌ لقوله لتأتينّكم وبيانٌ لما يقتضى اتيانها أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ لا تعب فيه ولا منّ عليه (٥) وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِى آيَاتِنَا بالابطال وتزهيد الناس فيها مُعَاجِزِينَ مسابقين كى يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو مُعَجِّزِينَ اى مثبّطين عن الايمان من اراده

جزء ٢٢ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ من سيّئ العذاب أَلِيمٌ مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص (٦) وَيَرَى ركوع ٧ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ويعلم اولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامّة او مسلمي اهل الكتاب ٱلَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ القران هُوَ ٱلْحَقَّ ومن رفع الحقّ جعل هو مبتدأً والحقّ خبره والجملة ثاني مفعولَيْ يرى وهو مرفوعٌ مستأنف للاستشهاد بأولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوبٌ معطوف على ليجزى اى وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انّه الحقّ عيانا كما علموه الان برهانا وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ الّذى هو التوحيد والتدرّع بلباس التقوى (٧) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قال بعضهم لبعض هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يعنون محمّدا عليه الصلوة والسلام يُنَبِّئُكُمْ يحدّثكم باعجب الاعاجيب إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ انّكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزّق اجسادكم كلّ تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا ، وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دلّ عليه ما بعده فانّ ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بانّ ، وممزّق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مُزّقتم وذهبت بكم السيول كلّ مذهب وطُرحتم كلّ مطرح ، وجديد بمعنى فاعل من جدّ كحديد من حدّ وقيل بمعنى مفعول من جدّ النسّاجُ الثوبَ اذا قطعه (٨) أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ جنونٌ يُوهمه ذلك ويُلقيه على لسانه ، واستُدلّ بجعلهم ايّاه قسيمَ الافتراء غيرَ معتقدين صدقَه على انّ بين الصدق والكذب واسطة وهو كلّ خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بيّنٌ لانّ الافتراء اخصّ من الكذب بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَالِ ٱلْبَعِيدِ ردٌّ من اللّه عليهم ترديدَهم واثباتٌ لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يُرجَى الخلاص منه وما هو مؤدّاه من العذاب وجعله رسيلا له فى الوقوع ومقدّما عليه فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له ، والبُعْد فى الاصل صفة الضالّ ووصف الضلال به على الاسناد المجازىّ (٩) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ تذكير بما يعاينونه ممّا يدلّ على كمال قدرة اللّه وما يحتمل فيه ازاحةً لاستحالتهم الاحياء حتّى جعلوه افتراء وهزوًا وتهديدًا عليها والمعنى أَعَمُوا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكّروا أَهُمْ اشدّ خلقا ام هي وأنّا ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البيّنات ، وقرأ حمزة والكسائىّ يَشَأْ وَيَخْسِفْ وَيُسْقِطْ بالياء لقوله افترى على اللّه والكسائىّ وحده بادغام الفاء فى الباء وحفص كِسَفًا بالتحريك إِنَّ فِي ذَٰلِكَ النظر والفكر فيهما وما يدلّان عليه لَآيَةً لدلالة لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ راجع الى ربّه فانّه يكون كثير التأمّل ركوع ٨ فى امره (١٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا اى على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوّة والكتاب والمُلك والصوت الحسن يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ رجّعي معه التسبيح او النوحة

على الذنب وذلك إمّا بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها ايّاه على التسبيح اذا تأمّل ما فيها او جزو ٢٢
سيرى معه حيث سار وقرئ أُوبِي من الاوب اى ارجعى فى التسبيح كلّما رجع فيه وهو بدل من فضلا ركوع ٨
او من آتينا باضمار قولنا او قلنا وَٱلطَّيْرَ عطف على محلّ الجبال ويؤيّده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائيّة العارضة بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لأوّبى وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره ' وكان الاصل ولقد آتينا داود منّا فضلا تأويب الجبال والطير فبدّل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظم شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره فى نفاذ مشيئته فيها وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ جعلناه فى يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرْق بالآلة او بقوته أَنِ ٱعْمَلْ أمرناه أن اعملْ وأنْ مفسّرة او مصدريّة سَابِغَاتٍ دروعا واسعات وقرئ صَابِغَاتٍ وهو اوّل من اتّخذها وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وقدّرْ فى نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدّرْ مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقْلَق ولا غلاظا فتخْرِق وردّ بأنّ دروعه لم تكن مسمّرة ويؤيّده قوله وألنّا له الحديد وَٱعْمَلُوا صَالِحًا الضمير فيه لداود واهله إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فأجازيكم عليه (١١) وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ اى وسخّرنا له الريح وقرئ ٱلرِّيحُ بالرفع اى ولسليمان الريحُ مسخّرة وقرئ ٱلرِّيَاحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ جريها بالغداة مسيرةُ شهر وبالعشىّ كذلك وقرئ غَدْوَتُهَا وروْحَتُهَا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ النحاس المذاب اساله له من معدنه فنبع منه نبوعَ الماء من الينبوع ولذلك سمّاه عينا وكان ذلك باليمن وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ عطف على الريح ومن الجنّ حال متقدّمة او جملة من مبتدإ وخبر بِإِذْنِ رَبِّهِ بأمره وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ ومن يعدل منهم عَنْ أَمْرِنَا عمّا امرناه من طاعة سليمان ' وقرئ يُزِغْ من ازاغه نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ عذاب الآخرة (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ قصورا حصينة ومساكن شريفة سمّيت بها لانّها يُذَبّ عنها ويحارَب عليها وَتَمَاثِيلَ وصُوَرا هى تماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعْبدوا نحوَ عبادتهم وحُرْمةُ التصاوير شرعٌ مجدَّدٌ روى انّهم عملوا له اسدَيْن فى اسفل كرسيّه ونسرَيْن فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعَيْهما واذا قعد اظلّه النسران باجنحتهما وَجِفَانٍ وصحاف كَٱلْجَوَابِ كالحياض الكبار جمعُ جابية من الجباية وهى من الصفات الغالبة كالدابّة وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها ٱعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا حكايةٌ عمّا قيل لهم ' وشكرا نصبٌ على العلّة اى اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لانّ العمل له شكرٌ او الوصف له او الحال او المفعول به وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ المتوفّر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثرَ اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقّه لانّ توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن

جزء ٢٢ ركوع ٨

الشكر (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ اى على سليمان مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ ما دلّ الجنّ وقيل آله اِلَّا دَابَّةُ ٱلْأَرْضِ اى الأَرَضةُ اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثّر الخشبة من فعلها يقال أَرِضَت الأَرَضةُ الخشبةَ أَرْضًا فأَرِضَتْ أَرَضًا مثل أَكَلَت القوادحُ الاسنانَ أَكْلًا فأَكِلَتْ أَكَلًا تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ عصاه من نَسَأْتُ البعيرَ اذا طردته لانّها يُطْرَد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومِنْسَاءَتَهُ على مِفْعَالَة كميضَاءة فى ميضأة ومن سَأَتِهِ اى طرف عصاه مستعار من سأة القوس وفيه لغتان كما فى قَحَة وقِحَة وقرأ نافع وابو عمرو مِنْسَاتَه بالف بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ علمت الجنّ بعد التباس الامر عليهم أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ انّهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حين ما وقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيره الى ان خرّ او ظَهَرت الجنّ وأنْ بما فى حيّزه بدلٌ منه اى ظهر انّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب وذلك انّ داود اسّس بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليهما السلام فمات قبل تمامه فوصّى به الى سليمان فاستعمل الجنّ فيه فلم يتمّ بعدُ اذ دنا اجله وأُعْلِم به فاراد ان يعمّى عليهم موته ليتمّوه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلّى متّكئا على عصاه فقبض روحه وهو متّكئ عليها فبقى كذلك حتّى اكلتها الأَرَضة فخرّ ثمّ فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه (١٤) لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ لاولاد سبا بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانّه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلبُ همزته الفا ولعلّه اخرجه بين بين فلم يؤدّه الراوى كما وجب فِي مَسَاكِنِهِمْ فى مواضع سُكناهم وهى باليمن يقال لها مَأْرِب بينها وبين صَنْعاء مسيرةُ ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائىّ بالكسر حملا على ما شذّ من القياس كالمَسْجِد والمَطْلِع آيَةٌ علامةٌ دالّةٌ على وجود الصانع المختار وانّه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مُجازٍ للمُحْسِن والمُسِيء معاضدةٌ للبرهان السابق كما فى قصّتى داود وسليمان جَنَّتَانِ بدل من آيةٌ او خبرُ محذوف تقديره الآيةُ جنّتان وقرئ بالنصب على المدح والمرادُ جماعتان من البساتين عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ جماعةٌ من يمين بلدتهم وجماعةٌ عن شمالها كلّ واحدة منهما فى تقاربها وتضامّها كانّها جنّة واحدة او بستانا كلّ رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُ حكايةٌ لما قال لهم نبيّهم او لسانُ الحال او دلالةٌ بانّهم كانوا احقّاء بأن يقال لهم ذلك بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ استيناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدةُ الّتى فيها رزقكم بلدةٌ طيّبة وربّكم الّذى رزقكم وطلب شكركم ربٌّ غفور فرطات من يشكره وقرئ الكلّ بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد

جزء ٢٢ ركوع ٨ واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامّة (١٥) فَأَعْرَضُوا عن الشكر فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ سيل الامر العرم اى الصعب من عَرِمَ الرجل فهو عارم وعَرِم اذا شَرِسَ خُلُقُه وصَعُبَ او المطر الشديد او الجُرَذ اضاف اليه السيل لانّه نقب عليهم سكْرا ضربته لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المُسَنَّاة التى عُقدت سكرا على انّه جمع عَرِمة وهى الحجارة المركومة وقيل اسم وادٍ جاء السيل من قِبَله وكان ذلك بين عيسى ومحمّد عليهما الصلوة والسلام وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ ثمرٍ بَشِع فانّ الخمط كلّ نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الأراك او كلّ شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى كونه بدلا او عطف بيان وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ معطوفان على اكل لا على خمط فانّ الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنّتين ، ووصف السدر بالقلّة لانّ جناه وهو النبق ممّا يطيب اكله ولذلك يُغْرَس فى البساتين ، وتسمية البدل جنّتين للمشاكلة والتهكّم ، وقرأ ابو عمرو أُكُلِ بغير تنوين اللام والحرميّان بتخفيف أُكْل (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روى انّه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيّا فكذّبوهم ، وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا ٱلْكَفُورُ وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الّا البليغ فى الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص نُجَازِى بالنون وَٱلْكَفُورَ بالنصب (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا بالتوسعة على اهلها وهى قرى الشأم قُرًى ظَاهِرَةً متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ بحيث يقيل الغادى فى قرية ويبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ الشأم سِيرُوا فِيهَا على ارادة القول بلسان الحال او المقال لَيَالِىَ وَأَيَّامًا متى شئتم من ليل ونهار آمِنِينَ لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدّة سفركم فيها او سيروا فيها ليالى اعماركم وايّامها لا تلقون فيها الّا الامن (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا أَشِروا النعمة وملّوا العافية كبنى اسرائيل فسألوا اللّه ان يجعل بينهم وبين الشأم مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزوّد الازواد فأجابهم اللّه بتخريب القرى المتوسّطة ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بَعِّدْ ويعقوب رَبُّنَا بَاعَدَ بلفظ الخبر على انّه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفّه وعدم الاعتداد بما انعم اللّه عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ رَبَّنَا بَعُدَ او بُعِّدَ على النداء واسناد الفعل الى بين وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ حيث بطروا النعمة ولم يعتدّوا بها فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ يتحدّث الناس بهم تعجّبا وضربَ مَثَلٍ فيقولون تفرّقوا أَيْدِى سَبَا وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ وفرّقناهم غاية التفريق حتّى لحق غسّان منهم بالشأم وأَنْمار بيثرب وجُذام بتهامة والأَزْد بعُمان إِنَّ فِى ذَلِكَ فى ما ذكر لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ عن المعاصى شَكُورٍ على النعم (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ اى صدق فى ظنّه او صدق بظنّ

جزء ٢٢ ظنّه مثل فعلته جَهْدَك ويجوز ان يعدّى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وَعْدَه لانّه نوع من القول
ركوع ٨ وشدّده الكوفيّون بمعنى حقّق ظنّه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظنّ مع التشديد
بمعنى وجده ظنّه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنّه الصدقَ حين خيّله اغواءهم وبرفعهما
والتخفيف على الابدال وذلك امّا ظنّه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات او ببنى آدم حين
رأى اباهم النبىّ ضعيف العزم او ما رُكّب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها
من يفسد فيها فقال لأضلّنّهم ولأغوينّهم فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ الّا فريقا هم المؤمنون لم يتّبعوه
وتقليلهم بالاضافة الى الكفّار او الّا فريقا من فرق المؤمنين لم يتّبعوه في العصيان وهم المخلصون
(٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ تسلّط واستيلاء بوسوسة واستغواء إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ مِمَّنْ
هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ الّا ليتعلّق علمنا بذلك تعلّقا يترتّب عليه الجزاء او ليتميّز المؤمن من الشاكّ او
ليؤمن من قُدّر ايمانه ويشكّ من قُدّر ضلاله والمرادُ من حصول العلم حصول متعلّقه مبالغةً ، وفي نظم
ركوع ٩ الصلتين نكتة لا تخفى وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ محافظ والزنتان متآخيتان (٢١) قُلِ للمشركين
ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ اى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زَعَمَ حُذف الاوّل لطول الموصول بصلته
والثانى لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثانى لانّه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا
يملكون لانّهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمّكم من جلب نفع او دفع ضرّ لعلّهم يستجيبون
لكم ان صحّ دعواكم ثمّ اجاب عنهم اشعارا بتعيّن الجواب وانّه لا يقبل المكابرة فقال لَا يَمْلِكُونَ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ من خير او شرّ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ في امرٍ ما وذكرهما للعموم العُرْفىّ او لانّ آلهتهم
بعضها سماويّة كالملائكة والكواكب وبعضها ارضيّة كالاصنام او لانّ الاسباب القريبة للشرّ والخير سماويّة
وارضيّة والجملة استيناف لبيان حالهم وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ من شركة لا خلقا ولا ملكا وَمَا لَهُ
مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ يُعينه على تدبير امرهما (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ فلا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون
اذ لا تنفع الشفاعة عند الله إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ان يَشْفع او اذن ان يُشْفع له لعلوّ شأنه ولم يثبت ذلك
واللام على الاوّل كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثانى كاللام في قولك جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة
والكسائىّ بضمّ الهمزة حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ غاية لمفهوم الكلام من انّ ثَمّ توقّفا وانتظارا للاذن اى
يتربّصون فزعين حتّى اذا كُشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة
وقد تقدّم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فَزَّعَ على البناء للفاعل وقرئ فُرِّغَ اى نُفى الوجل
من فَرِغَ الزادُ اذا فنى قَالُوا قال بعضهم لبعض مَا ذَا قَالَ رَبُّكُمْ في الشفاعة قَالُوا ٱلْحَقَّ قالوا قال القول
الحقّ وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اى مقوله الحقّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ
ذو العلوّ والكبرياء ليس لملك او نبىّ ان يتكلّم ذلك اليوم الّا باذنه (٢٣) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاوَاتِ

جزء ٢٢ وَٱلْأَرْضِ يريد به تقرير قوله لا يملكون قُلِ ٱللّٰهُ اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانّهم ان سكتوا او تلعثموا ركوع ٩ فى الجواب مخافةَ الالزام فهم مُقرّون به بقلوبهم وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اى وانّ احد الفريقين من الموحّدين المتوحّد بالرزق والقدرة الذاتيّة بالعبادة والمشركين به الجمادَ النازلَ فى ادنى المراتب الامكانيّة لَعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبيّنَين وهو بعد ما تقدّم من التقرير البليغ الدالّ على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من التصريح لانّه فى صورة الانصاف المُسْكِت للخصم المشاغِبِ ونظيرُه قولُ حَسّان

أَتَهْجوه ولستَ له بكُفْوٍ . فشرُّكما لخيركما الفداءُ

وقيل انّه على اللفّ والنشر وفيه نظرٌ ، واختلاف الحرفين لانّ الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلّع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضالّ كانّه منغمس فى ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصّى منها (٢٤) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ هذا ادخلُ فى الانصاف وابلغُ فى الاخبات حيث أُسْنِد الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطَبين (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا يوم القيمة ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ يحكم ويفصل بأن يُدْخِل المحقّين الجنّة والمبطلين النار وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة ٱلْعَلِيمُ بما ينبغى ان يقضى به (٢٦) قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ لأرى بايّ صفة الحقتموهم باللّه فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شُبَهِهم بعد الزام الحجّة عليهم زيادةً فى تبكيتهم كَلَّا ردعٌ لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بَلْ هُوَ ٱللّٰهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء المُلْحَقون به متّسمون بالذلّة متأبّية عن قبول العلم والقدرة رأسا ، والضمير للّه او للشأن (٢٧) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ الّا ارسالةً عامّةً لهم من الكفّ فانّها اذا عمّتهم فقد كفّتهم ان يخرج منها احدٌ منهم او الّا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ فيحملهم جهلهم على مخالفتك (٢٨) وَيَقُولُونَ من فرط جهلهم مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ يعنون المبشَّر به والمنذَر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربّنا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يخاطبون به رسول اللّه صلعم والمؤمنين (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ وَعْدُ يوم او زمانُ وَعْدٍ واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيّده انّه قرئ يَوْمٌ على البدل وقرئ يَوْمًا باضمارِ اعنى لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ اذا فاجأكم وهو جوابُ تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنّت والانكار

ركوع ١٠ (٣٠) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْآنِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ولا بما تقدّمه من الكتب الدالّة على النعت قيل انّ كفّار مكّة سألوا اهل الكتاب عن الرسول فأخبروهم انّهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الّذى بين يديه يوم القيمة وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ

جزء ٢٢ اى فى موضع المحاسبة يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يتحاورون ويتراجعون القول يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا

ركوع ١٠ يقول الأتباع لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا للرؤساء لَوْلَا أَنتُمْ لولا اضلالكم وصدّكم ايّانا عن الايمان لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ باتّباع الرسول عم (٣١) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمْ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ انكروا انّهم كانوا صادّين لهم عن الايمان واثبتوا انّهم هم الّذين صدّوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم (٣٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ اضراب عن اضرابهم اى لم يكن اجرامنا الصادّ بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتّى اعورتم علينا رأينا إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا والعاطف يعطفه على كلامهم الاوّل ، واضافة المكر الى الظرف على الاتّساع وقرئ مَكَرَّ ٱلَّيْلِ بالنصب على المصدر ومَكْرٌ ٱلَّيْلَ بالتنوين ونصب الظرف ومَكَرُّ ٱلَّيْلِ من الكرور وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ واضمر الفريقان الندامة على الضلالة والاضلال واخفاها كلّ عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانّه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما فى اشكيته وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَالَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اى فى اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمّهم واشعارا بموجب اغلالهم هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى لا يُفعَل بهم ما يفعل الّا جزاء على اعمالهم ، وتعديته يجرى امّا لتضمين معنى يُقضَى او لنزع الخافض (٣٣) وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ تسلية لرسول اللّه صلعم ممّا مُنى به من قومه ، وتخصيص المتنعّمين بالتكذيب لانّ الداعى المُعظَم اليه التكبّر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك فى الشهوات والاستهانة بمن لم يَحظ منها ولذلك ضمّوا التهكّم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَافِرُونَ مقابلة الجمع بالجمع (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فنحن اولى بما تدّعونه ان امكن وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ امّا لانّ العذاب لا يكون او لانّه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب (٣٥) قُلْ ردّا لحسبانهم إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة فى الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ فيظنّون انّ كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما تكون للاستدراج كما قال

ركوع ١١ (٣٦) وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلَآ أَوْلَادُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ قربة ، وَالّتى امّا لانّ المراد وما جماعة اموالكم واولادكم او لانّها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بِالّذى اى بالشىء الّذى يقرّبكم إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا استثناء من مفعول تقرّبكم اى الاموال والاولاد لا تقرّب احدا الّا المؤمن الصالح الّذى ينفق ماله فى سبيل اللّه ويعلّم ولده الخير ويربّيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة

جزء ٢٢ اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء
ركوع ١١ على التمييز او المصدر لفعله الّذى دلّ عليه لَهُمْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَاتِ آمِنُونَ من المكاره وقرئ بفتح الراء
وسكونها وقرأ حمزة فى ٱلْغُرْفَةِ على ارادة الجنس (٣٧) وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا بالردّ والطعن فيها مُعَاجِزِينَ
مسابقين لانبيائنا او ظانّين انّهم يفوتوننا أُولٰئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ يوسّع عليه تارة ويضيّق عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار
وقتين وما سبق فى شخصين فلا تكرير وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ عوضا امّا عاجلا او آجلا
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ فانّ غيره وسط فى ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيّته (٣٩) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا المستكبرين
والمستضعفين ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا
لهم عمّا يتوقّعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانّهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم
ولانّ عبادتهم مبدأ الشرك وأصله ، وقرأ حفص بالياء فيهما (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ
انت الّذى نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانّهم بيّنوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم
ثمّ اضربوا عن ذلك ونفوا انّهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ اى الشياطين
حيث اطاعوهم فى عبادة غير اللّه وقيل كانوا يتمثّلون لهم ويخيّلون اليهم انّهم الملائكة فيعبدونهم
أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ الضمير الاوّل للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكلّ والثانى للجنّ
(٤١) فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا اذ الامر فيه كلّه له لانّ الدار دار الجزاء وهو المجازى
وحده وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ عطف على لا يملك مبيّن للمقصود
من تمهيده (٤٢) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا يعنون محمّدا عم إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ
يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ فيستتبعكم بما يستبدعه وَقَالُوا مَا هٰذَا يعنون القران إِلَّا إِفْكٌ
لعدم مطابقة ما فيه الواقع مُفْتَرًى باضافته الى اللّه سبحانه وتعالى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ
لامر النبوّة او للاسلام او للقران والاوّل باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ
ظاهر سحريّته ، وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول
فيه وما فى لمّا من المبادهة الى البتّ بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُمْ
مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا فيها دليل على صحّة الاشراك وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ يدعوهم اليه وينذرهم
على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم

والتسفيه لرأيهم ثمّ هدّدهم فقال (۴۴) وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كما كذّبوا وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ جزء ۲۲
وما بلغ هؤلاء عُشْرَ ما آتينا اولئك من القوّة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عُشْرَ ما آتينا ركوع ۱۱
هؤلاء من البيّنات والهدى فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فحين كذّبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ‹ ولا تكرير في كذّب لانّ الاوّل للتكثير والثانى
للتكذيب او الاوّل مطلق والثانى مقيّد ولذلك عطف عليه بالفاء (۴۵) قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ارشدكم ركوع ۱۲
وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دلّ عليه أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ وهو القيام من مجلس رسول الله صلعم او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله مُعْرِضا عن المراء والتقليد مَثْنَى وَفُرَادَى متفرّقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فانّ الازدحام يشوّش الخاطر ويخلّط القول ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا في امر محمّد وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحلّه الجرّ على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هي او اعنى مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ فتعلموا ما به من جنون يحمله على ذلك او استيناف منبّه لهم على انّ ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانّه لا يدعه ان يتصدّى لادّعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقّق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويُلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضمّ اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهاميّة والمعنى ثمّ تتفكّروا ايّ شيء به من آثار الجنون إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ قدّامه لانّه مبعوث في نَسَم الساعة (۴۶) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ايّ شيء سألتكم من اجر على الرسالة فَهُوَ لَكُمْ والمراد نفى السؤال كانّه جعل التنبّي مستلزما لاحد الامرين امّا الجنون وامّا توقّع نفع دنيوىّ عليه لانّه امّا ان يكون لغرض او غيره وأيّا ما كان يلزم احدهما ثمّ نُفى كلّ منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الّا من شاء ان يتّخذ الى ربّه سبيلا وقوله لا اسألكم عليه اجرا الّا المودّة في القربى واتّخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللّٰهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ مطّلع يعلم صدقى وخلوص نيّتى ‹ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائىّ وابو بكر باسكان الياء (۴۷) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه ‹ وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ صفةٌ محمولةٌ على محلّ انّ واسمها او بدلٌ من المستكنّ في يقذف او خبرٌ ثان او خبرُ محذوف وقرئ بالنصب صفةً لربّى او مقدّرا بأعنى وقرأ حمزة وابو بكر ٱلْغِيُوبِ بالكسر كالبِيُوت وقرئ بالفتح كالصَّبُور على انّه مبالغة غائب (۴۸) قُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ اى الاسلام وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ وزهق الباطل اى الشرك بحيث لم يبق له اثر مأخوذ من هلاك الحىّ فانّه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ فاليومَ لا يُبْدِى ولا يُعِيدُ

وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيدها او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل جزء ٢٢ ما استفهامية منتصبة بما بعدها (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ عن الحق فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي فان وبال ضلالى ركوع ١٢ عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامّارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي فانّ الاهتداء بهدايته وتوفيقه إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ يُدْرِك قول كلّ ضالّ ومهتد وفعله وان اخفاه (٥٠) وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا عند الموت او البعث او يوم بدر، وجوابُ لَوْ محذوف مثل لرأيتَ فظيعا فَلَا فَوْتَ فلا يفوتون الله بهرب او تحصّن وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب، والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيّده انه قرئ وَأَخْذٌ عطفا على محلّه اى فلا فَوْتَ هناك وهناك اخذٌ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ بمحمّد وقد مرّ ذكره في قوله ما بصاحبكم وَأَنَّى لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ فانه في حيّز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل لحالهم في الاستخلاص بالايمان بَعْدَ ما فات عنهم وبُعْدَ عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة، وقرأ ابو عمرو والكوفيّون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمّتها او انّه من نَأَشْتُ الشيء اذا طلبته قال رؤبة

اقحمنى جارُ ابى الجاموش اليك نَأْشَ القَدَرِ النَّؤُوشِ

او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله

تَمَنَّى نَئِيشًا أَنْ يكونَ أطاعَنى وقد حدثَتْ بعدَ الأمورِ أُمورُ

فيكون بمعنى التناول من بُعْد (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ بمحمّد او بالعذاب مِنْ قَبْلُ من قبل ذلك اوانَ التكليف وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ ويرجمون بالظنّ ويتكلّمون بما لم يظهر لهم في الرسول عم من المطاعن او في العذاب من البتّ على نفيه مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ من جانب بعيد من امره وهو الشُّبَه الّتى تمحّلوها في امر الرسول او حالِ الآخرة كما حكاه من قبلُ ولعلّه تمثيل لحالهم في ذلك بحالِ من يرمى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجالَ للظنّ في لحوقه وقرئ وَيُقْذَفُونَ على انّ الشيطان يُلْقى اليهم ويلقّنهم ذلك، والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيّعوه من الايمان في الدنيا (٥٣) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائيّ باشمام الضمّ للحاء (٥٤) كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ بأشباههم من كفرة الامم الدارجة إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ مُوقِع في الريبة او ذى ريبة منقول من المشكّك او الشاكّ نُعت به الشكّ للمبالغة، عن رسول الله صلعم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبيّ الّا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا •

سُورَةُ ٱلْمَلَائِكَةِ

مكيّة وآيها خمس واربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٢٢ ركوع ١٣ (١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ مبدعهما من الفطر بمعنى الشقّ كانّه شقّ العدم باخراجهما منه ، والاضافة محضة لانّه بمعنى الماضي جَاعِلِ ٱلْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلّغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ذوى اجنحة متعدّدة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكّلهم الله عليه فيتصرّفون فيه على ما امرهم به ولعلّه لم يُرِد به خصوصيّة الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روى انّه عم رأى جبريل ليلة المعراج وله ستّمائة جناح يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاءُ استيناف للدلالة على انّ تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدّى حكمته لا امرٌ تستدعيه ذواتهم لانّ اختلاف الاصناف والانواع بالخواصّ والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتّفقة وهو مُحال ، والآية متناولة زيادات الصُوَر والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انّما هو من جهة الارادة (٢) مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوّز السبب للمسبّب مِنْ رَحْمَةٍ كنعمة وأمن وصحّة وعلم ونبوّة فَلَا مُمْسِكَ لَهَا يحبسها وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ يطلقه واختلاف الضميرين لانّ الموصول الاوّل مفسّر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضبَ وفي ذلك اشعار بانّ رحمته سبقت غضبه مِنْ بَعْدِهِ من بعد امساكه وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه ٱلْحَكِيمُ لا يفعل الّا بعلم واتقان ثمّ لمّا بيّن انّه الموجد للمُلك والملكوت والمتصرّف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال (٣) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ احفظوها بمعرفة حقّها والاعتراف بها وطاعة مُوليها ثمّ انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحقّ ان يُشرَك به بقوله هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ فمن اىّ وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ، ورفع غَيْرُ للحمل على محلّ مِنْ خالق بأنّه وصفٌ او بدلٌ فانّ الاستفهام بمعنى النفي او لانّه فاعل خالق وجرّه حمزة والكسائيّ حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ، ويرزقكم صفة لخالق او استيناف مفسّر له او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله (٤) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ اى فتأسّ بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذّبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبّب ، وتنكير رسل للتعظيم

المقتضى زيادة التسلية والحثّ على المصابرة وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب جزء ٢٢
ركوع ١٣ (٥) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ بالحشر والجزاء حَقٌّ لا خُلْفَ فيه فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فيذهلكم
التمتّع بها عن طلب الآخرة والسعي لها وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ الشيطان بأن يمنّيكم المغفرة مع الاصرار
على المعصية فانّها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقّع كتناول السمّ اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ
بالضمّ وهو مصدر او جمع كقعود (٦) إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ عداوة عامّة قديمة فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا في
عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ
تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتّباع الهوى والركون الى الدنيا (٧) ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ (٨) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد
ركوع ١٤ لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر كلّه على الايمان والعمل الصالح وقوله (٩) أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ
سُوٓءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا تقرير له اى افمن زيّن له سوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتّى انتكس
رأيه فرأى الباطل حقّا والقبيح حسنا كمن لم يزيّن له بل وُفّق حتّى عرف الحقّ واستحسن الاعمال
واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وقيل تقديره
افمن زيّن له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ
عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيّهم واصرارهم على التكذيب والفاءات الثلاث
للسببيّة غير انّ الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبّب وجمع الحسرات للدلالة على
تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوى افعالهم المقتضية للتأسّف وعليهم ليس صلة لها لانّ
صلة المصدر لا تتقدّمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسّر عليه إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ فيجازيهم
عليه (١٠) وَٱللَّهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائىّ ٱلرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا على حكاية
الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالّة على كمال الحكمة ولانّ المراد بيان احداثها
بهذه الخاصّية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر
فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ وحفص بتشديد الياء فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بالمطر النازل
منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانّه سبب السبب او الصائر مطرا بَعْدَ مَوْتِهَا بعد يبسها ،
والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ
اى مثل احياء الموات نشور الاموات في صحّة المقدوريّة اذ ليس بينهما الّا احتمال اختلاف المادّة في المقيس
عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل في كيفيّة الاحياء فانّه تعالى يرسل ماء من تحت العرش
تنبت منه اجساد الخلق (١١) مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ الشرف والمنعة فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا اى فليطلبها من

جزء ٢٢ عنده فانّ له كلّها فاستغنى بالدليل عن المدلول اِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ
ركوع ١٤ بيان لما يُطْلَب به العزّة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودُهما اليه مجازٌ عن قبوله ايّاهما او صعود الكَتَبة بصحيفتهما ، والمستكنّ في يرفعه للكلم فانّ العمل لا يُقْبَل الّا بالتوحيد ويؤيّده انّه نُصِب العمل او للعمل فانّه يحقّق الايمان ويقوّيه او للّه وتخصيصُ العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة ، وقرئ يُصْعَدُ على البناءَيْن والمُصْعِدُ هو اللّهُ تعالى او المتكلّمُ به او المَلَكُ ، وقيل الكلم الطيّب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القران وعنه عم هو سبحانَ اللّه والحمدُ للّه ولا اله الّا اللّه واللّهُ اكبر اذا قالها العبد عرج بها المَلَكُ الى السماء فحيّا بها وجهَ الرحمن فاذا لم يكن عملٌ صالحٌ لم تُقْبَل وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّآتِ المكرات السيّآت يعنى مكرات قريش للنبيّ عم في دار النَّدْوة وتداوُرَهم الرأيَ في احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لا يُؤْبَه دونه بما يمكرون به وَمَكْرُ أُولٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ يَفْسد ولا ينفذ لانّ الامور مقدّرة لا تتغيّر به كما دلّ عليه بقوله (١٢) وَٱللّٰهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ بخلق آدم منه ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ بخلق ذرّيّته منها ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ذكرانا واناثا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ اِلَّا بِعِلْمِهِ الّا معلومةً له وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وما يُمَدّ في عمرِ من مصيره الى الكِبَر وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ من عمر المعمَّر لغيره بأن يعطى له عمرٌ ناقصٌ من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمرُه بجعله ناقصا والضميرُ له وان لم يُذْكَر لدلالة مقابله عليه او للمعمَّر على التسامح فيه ثقةً بفهم السامع كقولهم لا يثيب اللّه عبدا ولا يعاقبه الّا بحقّ وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة أُثْبِتت في اللوح مثل أن يكون فيه اِنْ حجّ عمرو فعمره ستّون سنة والّا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمرّ من عمره وينقضى فانّه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما ، وعن يعقوب وَلَا يَنْقُصُ على بناء الفاعل اِلَّا فِي كِتَابٍ هو علم اللّه او اللوح او الصحيفة اِنَّ ذٰلِكَ عَلَى ٱللّٰهِ يَسِيرٌ اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص (١٣) وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ضربُ مثل للمؤمن والكافر ، والفرات الّذى يكسر العطش والسائغ الّذى يسهل انحداره والاجاج الّذى يحرق بملوحته ، وقرئ سَيِّغ بالتشديد وسَيْغ بالتخفيف ومَلِحٌ على فَعِل وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا استطرادٌ في صفة البحرَيْن وما فيهما من النعم او تمامُ التمثيل والمعنى كما انّهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انّهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانّه خالَطَ احدَهما ما افسده وغيّره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتّفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصّيّة العظمى وهى بقاء احدهما على الفطرة الاصليّة دون الآخر او تفضيلٌ للاجاج على الكافر بما يشارك العذبَ من المنافع ، والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ فِى كُلٍّ مَوَاخِرَ تشقّ الماء بجريها لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ من فضل اللّه بالنُّقْلة فيها ، واللام

متعلّقة بمواخر ويجوز ان تتعلّق بما دلّ عليه الافعال المذكورة وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ على ذلك ، وحرف جزء ٢٢
الترجّي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال (١٤) يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ ركوع ١٣
وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى هي مدّة دوره او منتهاه او يوم القيمة ذٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ
الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء ، وفيها اشعارٌ بانّ فاعليّته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل
ان يكون له الملك كلاما مبتدأً في قِران وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ للدلالة على
تفرّده بالالوهيّة والربوبيّة ، والقطمير لفافة النَّواة (١٥) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ لانّهم جماد
وَلَوْ سَمِعُوا على سبيل الفرض مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبرّئهم منكم ممّا تدّعون
لهم وَيَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ باشراككم لهم يقرّون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايّانا تعبدون
وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ولا يخبرك بالامر مُخْبِرٌ مثل خبيرٍ به اخبرك وهو اللّه سبحانه فانّه الخبير به على
الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفيُ ما يدّعون لهم
(١٦) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ في انفسكم وما يعنّ لكم ، وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم ركوع ١٥
كانّهم لشدّة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وانّ افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير
معتدّ به ولذلك قال وخُلق الانسان ضعيفا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ المستغني على الاطلاق المُنْعِم على
سائر الموجودات حتّى استحقّ عليهم الحمد (١٧) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ بقوم آخرين
أطْوَع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه (١٨) وَمَا ذٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ بمتعذّر او متعسّر (١٩) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَىٰ ولا تحمل نفسٌ آثمةٌ اثمَ نفس اخرى وامّا قوله وليحملُنّ اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي
الضالّين المضلّين فانّهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلّ ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من
اوزار غيرهم وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ نفس اثقلها الاوزار إِلَىٰ حِمْلِهَا تحمّل بعض اوزارها لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ لم تُجَب
بحمل شيء منه نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
ولو كان المدعوّ ذا قرابتها فأضمر المدعوّ لدلالة إِن تَدْعُ عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو أَوْلى
من جعل كان التامّة فانّها لا تلائم نظم الكلام إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ غائبين عن
عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ فانّهم المنتفعون بالانذار لا غيرُ ،
واختلاف الفعلين لما مرّ وَمَن تَزَكَّىٰ ومن تطهّر عن دنس المعاصي فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ اذ نفعه لها
وقرئ وَمَنِ ٱزَّكَّىٰ فَإِنَّمَا يَزَّكَّىٰ وهو اعتراض مؤكّد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانّهما من جملة
التزكّي وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ فيجازيهم على تزكّيهم (٢٠) وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ الكافر والمؤمن وقيل

جزء ٢٢ هما مثلان للصنم والله عزّ وجلّ وَلَا ٱلظُّلُمَاتُ وَلَا ٱلنُّورُ ولا الباطل ولا الحق وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ولا
ركوع ١٥ الثواب ولا العقاب ولَا لتأكيد نفى الاستواء وتكريرها على الشقّين لمزيد التأكيد ، والحرور فَعُول من
الحرّ غلب على السموم وقيل السموم ما يهبّ نهارا والحرور ما يهبّ ليلا (٢١) وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا
ٱلْأَمْوَاتُ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاوّل ولذلك كرّر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء
إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَآءُ هدايته فيوفّقه لفهم آياته والاتّعاظ بعظاته وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى ٱلْقُبُورِ
ترشيح لتمثيل المصرّين على الكفر بالاموات ومبالغة فى اقناطه عنهم إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ فما عليك الّا
الانذار وأمّا الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه فى المطبوع على قلوبهم (٢٢) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِٱلْحَقِّ محقّين
او محقّا او إرسالا مصحوبا بالحقّ ويجوز ان يكون صلة لقوله بَشِيرًا وَنَذِيرًا اى بشيرا بالوعد الحقّ
ونذيرا بالوعيد الحقّ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ اهل عصر إِلَّا خَلَا مضى فِيهَا نَذِيرٌ من نبىّ او عالم يُنْذِر عنه
والاكتفاء بذكره للعلم بانّ النذارة قرينة البشارة سيّما وقد قُرن به من قبل او لانّ الانذار هو
المقصود الاهمّ من البعثة (٢٣) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ
بالمعجزات الشاهدة على نبوّتهم وَبِٱلزُّبُرِ كصحف ابرهيم وَبِٱلْكِتَابِ ٱلْمُنِيرِ كالتورية والانجيل على ارادة
التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين (٢٤) ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا
ركوع ١٦ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ اى انكارى بالعقوبة (٢٥) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهَا اجناسها او اصنافها على انّ كلّا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوها
وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ اى ذو جُدَد اى خُطَط وطرائق يقال جُدّة الحمار للخطّة السوداء على ظهره
وقرئ جُدُدٌ بالضمّ جمع جديدة بمعنى الجُدّة وجَدَدٌ بفتحتين وهو الطريق الواضح بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهَا بالشدّة والضعف وَغَرَابِيبُ سُودٌ عطف على بيض او على جدد كانّه قيل ومن الجبال ذو جدد
مختلف اللون ومنها غرابيب متّحدة اللون وهو تأكيد مُضْمَر يفسّره ما بعده فانّ الغربيب تأكيد
للاسود ومن حقّ التأكيد ان يتبع المؤكَّد ونظيرُ ذلك فى الصفة قول النابغة • والمؤمن العائذات
الطّيرَ • وفى مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَابِّ وَٱلْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ كاختلاف الثمار والجبال إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَآءُ اذ شرط الخشية
معرفة المخشىّ والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عم انّى اخشاكم
للّه واتقاكم له ولهذا أتبعه ذكر افعاله الدالّة على كمال قدرته ، وتقديم المفعول لانّ المقصود حصر
الفاعليّة ولو اخّر انعكس الامر ، وقرئ برفع اسم اللّه ونصب العلماء على انّ الخشية مستعارة للتعظيم

فانّ المعظَّم يكون مَهيبا إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انّه معاقبٌ للمُصرّ على جزء ٢٢
طغيانه غفورٌ للتائب عن عصيانه (٢٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ ٱللَّهِ يداومون قراءته او متابعةَ ما فيه ركوع ١٦
حتّى صارت سِمةً لهم وعنوانا ، والمرادُ بكتاب اللّه القرانُ او جنسُ كتب اللّه فيكون ثناء على المصدّقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذّبين وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً كيف اتّفق من غير قصد اليهما وقيل السرّ فى المسنونة والعلانية فى المفروضة يَرْجُونَ تِجَارَةً تحصيلَ ثواب بالطاعة وهو خبرُ إِنَّ لَنْ تَبُورَ لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفةٌ للتجارة وقوله (٢٧) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ علّةٌ لمدلوله اى ينتفى عنها الكساد وتنفق عند اللّه ليوفّيهم بنفاقها اجورَ اعمالهم او لمدلول ما عُدّ من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفّيهم او عاقبةٌ ليرجون وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ على ما يقابل اعمالَهم إِنَّهُ غَفُورٌ لفرطاتهم شَكُورٌ لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وهو علّة للتوفية والزيادة او خبرُ إنّ ويرجون حال من واوِ انفقوا (٢٨) وَٱلَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَابِ يعنى القرانَ ومِنْ للتبيين او الجنسَ ومِنْ للتبعيض هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ احقّه مصدّقا لما تقدّمه من الكتب السماويّة حالٌ مؤكّدة لانّ حقّيته تستلزم موافقته ايّاه فى العقائد وأصولِ الاحكام إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ عالم بالظواهر والبواطن فلو كان فى احوالك ما ينافى النبوّة لم يُوحِ اليك مثلَ هذا الكتاب المعجز الّذى هو عيار على سائر الكتب ، وتقديمُ الخبير للدلالة على انّ العمدة فى ذلك الامور الروحانيّة (٢٩) ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبّر عنه بالماضى لتحقّقه او ورّثناه من الامم السالفة ، والعطفُ على انّ الّذين يتلون والّذى اوحينا اليك اعتراضٌ لبيان كيفيّة التوريث ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا يعنى علماء الامّة من الصحابة ومن بعدهم او الامّة بأسرهم فانّ اللّه اصطفاهم على سائر الامم فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ بالتقصير فى العمل به وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ يعمل به فى اغلب الاوقات وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ بضمّ التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلّم والسابق العالم وقيل الظالم المُجْرِم والمقتصد الّذى خلط الصالح بالسيّء والسابق الّذى ترجّحت حسناته بحيث صارت سيّاته مكفّرة وهو معنى قوله عم امّا الّذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنّة يُرْزَقون بغير حساب وامّا الّذين اقتصدوا فاولئك يحاسَبون حسابا يسيرا وامّا الّذين ظلموا انفسهم فاولئك يُحْبَسون فى طول المحشر ثمّ يتلقّاهم اللّه برحمته وقيل الظالم الكافر على انّ الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولانّ الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلّة والاقتصاد والسبق عارضان ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا مبتدأ وخبر ، والضميرُ للثلاثة او للّذين او للمقتصد والسابق فانّ المراد بهما الجنس ، وقرئ جَنّةُ عَدْنٍ وجَنّاتِ عَدْنٍ منصوبة بفعل

جزء ٢٢ بعسّره الظاهر وقرأ ابو عمرو يُدْخَلُونَهَا على بناء المفعول يُحَلَّوْنَ فِيهَا خبر ثانٍ او حال مقدّرة ، وقرئ
ركوع ١٦ يَحْلَوْنَ من حَلِيَت المرأة فهى حالٍ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين وَلُؤْلُؤًا
عطف على ذهبٍ اى من ذهبٍ مرصّع باللؤلؤ او من ذهبٍ فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا
على محلّ من اساور وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣١) وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ همّهم من
خوف العاقبة او همّهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها ، وقرئ الحُزْن
إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ للمذنبين شَكُورٌ للمطيعين (٣٢) ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ دار الاقامة مِن فَضْلِهِ من إنعامه
وتفضّله اذ لا واجب عليه لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ تعب وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ كلال اذ لا تكليف فيها ولا
كدّ أتبع نفىَ النصب نفىَ ما يتبعه مبالغةً (٣٣) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ لا يحكم
عليهم بموت ثانٍ فَيَمُوتُوا فيستريحوا ونصبه باضمار أَنْ وقرئ فَيَمُوتُونَ عطفا على يقضى كقوله ولا
يُؤْذَنُ لهم فيعتذرون وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا بل كلّما خبت زيد إسعارها كَذَٰلِكَ مثل ذلك الجزاء
نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ مبالغ فى الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يُجْزَى على بناء المفعول واسناده الى كلّ وقرئ
يُجَازَى (٣۴) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا يستغيثون يفتعلون من الصُراخ وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة
لجهر المستغيث صوته رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ باضمار القول ، وتقييد العمل الصالح
بالوصف المذكور للتحسّر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بانّ استخراجهم لتلافيه
وانّهم كانوا يحسبون انّه صالح والآن تحقّق لهم خلافه أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ
جواب من اللّه وتوبيخ لهم ، وما يتذكّر فيه متناولٌ كلّ عمر يمكّن المكلّف فيه من التفكّر والتذكّر
وقيل ما بين العشرين الى الستّين وعنه عم العمر الّذى اعذر اللّهُ فيه الى ابن آدم ستّون سنة ، والعطف
على معنى اولم نعمّركم فانّه للتقرير كانّه قيل عمّرناكم وجاءكم النذير وهو النبىّ او الكتاب وقيل
ركوع ١٧ العقل او الشيب او موت الاقارب (٣٥) فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ يدفع العذاب عنهم (٣٦) إِنَّ ٱللَّهَ
عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
تعليل له لانّه اذا علم مُضْمَرات الصدور وهى اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها (٣٧) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مُلْقَى اليكم مقاليدُ التصرّف فيها وقيل خَلَفًا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع
خليف فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ جزاء كفره وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا بيان له والتكرير للدلالة على انّ اقتضاء الكفر لكلّ واحد من الامرين مستقلّ
باقتضاء قبحه ووجوب التجنّب عنه والمراد بالمقت وهو اشدّ البغض مقتُ اللّه وبالخسار خسارُ الآخرة
(٣٨) قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لانّهم جعلوهم

شركاء لله او لانفسهم فيما يملكونه أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ بدل من أرأيتم بدل الاشتمال لانّه بمعنى اخبروني كانّه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني ايّ جزء من الارض استبدّوا بخلقه أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقّوا بذلك شركةً في الالوهيّة ذاتيّةً أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا ينطق على انّا اتّخذناهم شركاء فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ على حجّة من ذلك الكتاب بانّ لهم شركة جعليّة ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا، وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائيّ عَلَى بَيِّنَاتٍ فيكون ايماء الى انّ الشرك خطير لا بدّ فيه من تعاضد الدلائل بَلْ إِنْ يَعِدُ ٱلظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا لمّا نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلافَ او الرؤساء الأتباعَ بانّهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرّب اليه (٣٩) إِنَّ ٱللّٰهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا كراهةَ ان تزولا فانّ المُمْكن حالَ بقائه لا بدّ له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لانّ الامساك منعٌ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا ما امسكهما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادّة مسدّ الجوابَيْن ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّا كما قال تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشقّ الارض (٤٠) وَأَقْسَمُوا بِٱللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ وذلك انّ قريشا لمّا بلغهم انّ اهل الكتاب كذّبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكوننّ اهدى من احدى الامم اى من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامّة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ يعني محمّدا عم مَا زَادَهُمْ اى النذيرُ او مجيئُه على التسبّب إِلَّا نُفُورًا تباعدا عن الحقّ (٤١) ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ بدل من نفورا او مفعول له وَمَكْرَ ٱلسَّيِّءِ اصله وأن مكروا المكر السيّء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثمّ بُدّل أنْ مع الفعل بالمصدر ثمّ اضيف، وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل وَلَا يَحِيقُ ولا يحيط ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر، وقرئ وَلَا يُحِيقُ ٱلْمَكْرَ اى ولا يُحيق الله فَهَلْ يَنْظُرُونَ ينتظرون إِلَّا سُنَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ سنّة الله فيهم بتعذيب مكذّبيهم فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللّٰهِ تَبْدِيلًا (٤٢) وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللّٰهِ تَحْوِيلًا اذ لا يبدّلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحوّلها بأن ينقله من المكذّبين الى غيرهم وقوله (٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ استشهاد عليهم بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشأم واليمن والعراق من آثار الماضين وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللّٰهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ ليسبقه ويفوته فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا بالاشياء

جزء ٢٢ ركوع ١٧

*

جزء ٢٢ كلّها قديرًا عليها (٤٤) وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللّٰهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا من المعاصى مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا ظهر الارض ركوع ١٧ مِنْ دَابَّةٍ من نَسَمة تدبّ عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابّة الانس وحده لقوله وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى هو يوم القيٰمة (٤٥) فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللّٰهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا فيجازيهم على اعمالهم ، عن النبيّ صلعم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنّة أن ادخل من ايّ باب شئت •

سُورَةُ يس

مكّيّة وآيها ثلث وثمانون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٨ (١) يس كالم فى المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طيّء على انّ اصله يا أُنَيْسِين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل مُنُ اللّه فى أَيْمُنُ اللّه وقرئ بالكسر كجَيْرِ وبالفتح على البناء كأَيْنَ او الاعراب على اتْلُ ياسينَ او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضمّ بناء كحَيْثُ او اعرابا على هذه ياسينُ وامال الياء حمزة والكسائىّ وابو بكر وروح وادغم النون فى واو وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ ابن عامر والكسائىّ ويعقوب وابو بكر وورش وهى واو القسم او العطف ان جعل يس مُقْسَمًا به (٢) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ لمن الّذين أُرسلوا (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو التوحيد والاستقامة فى الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكنّ فى الجارّ والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دلّ عليه لمن المرسلين التزاما (٤) تَنْزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ خبرُ محذوف والمصدرُ بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ وحفص بالنصب على اضمار اعنى او فعله على انّه على اصله وقرئ بالجرّ على البدل من القرآن (٥) لِتُنْذِرَ قَوْمًا متعلّق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ قوما غيرَ مُنْذَرٍ آباؤهم يعنى آباءهم الاقربين لتطاول مدّة الفترة فيكون صفة مبيّنة لشدّة حاجتهم الى ارساله او الّذى انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذارَ آبائهم على المصدر فَهُمْ غَافِلُونَ متعلّق بالنفى على الاوّل اى لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله انّك لمن المرسلين على الوجوه الاخرى اى ارسلناك اليهم لتنذرهم فانّهم غافلون (٦) لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ يعنى قوله لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس اجمعين فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لانّهم ممّن علم انّهم لا يؤمنون (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِى أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تُغْنى عنهم الآياتُ والنذرُ بتمثيلهم بالّذين غُلّت اعناقهم فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخلّيهم يطاطئون رءوسهم فَهُمْ مُقْمَحُونَ رافعون رءوسهم غاضّون ابصارهم فى انّهم لا يلتفتون لفْتَ الحقّ ولا يعطفون اعناقهم نحوه

جزء ٢٣ ولا يطاطئون رءوسهم له (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ركوع ١٨ وبمن احاط بهم سدّان فغطّى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدّامهم ووراءهم فى انّهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل ، وقرأ حمزة والكسائيّ وحفص سَدًّا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضمّ وقرئ فَأَعْشَيْنَاهُمْ من العَشَى ، وقيل الآيتان فى بنى مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ رأس النبىّ صلعم فأتاه وهو يصلّى ومعه حجرٌ ليدمغه فلمّا رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتّى فكّوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزوميّ آخرُ انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله تعالى (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ سبق تفسيره فى البقرة (١٠) إِنَّمَا تُنْذِرُ انذارا يترتّب عليه البغية المرومة مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ اى القران بالتأمّل فيه والعمل به وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او فى سريرته ولا يغترّ برحمته فانّه كما هو رحمن منتقم قهّار فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ

(١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى الاموات بالبعث او الجهّال بالهداية وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وَآثَارَهُمْ الحسنة كعلم علّموه وحبيس وقفوه والسيّئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم ركوع ١٩ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ يعنى اللوح المحفوظ (١٢) وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا ومثّل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضَرْب واحد اى مثال واحد وهو يتعدّى الى مفعولين لتضمّنه معنى الجعل وهما مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ على حذف مضاف اى اجعلْ لهم مَثَلَ اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يُقتصر على واحد ويُجعل المقدَّر بدلا من الملفوظ او بيانا له ، والقرية انطاكية إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ بدل من اصحاب القرية ، والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسنادُه الى نفسه فى قوله (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ لانّه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا فقوّينا وقرأ ابو بكر مخفّفا من عزّه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولانّ المقصود ذكرُ المعزَّز به بِثَالِثٍ هو شمعون فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ وذلك انّهم كانوا عَبَدَة اصنام فأرسل اليهم عيسى اثنين فلمّا قربا من المدينة رأيا حبيبا النجّار يرعى غنما فسألهما فأخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشُفى على ايديهما خلقٌ وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما النا الهٌ سوى آلهتنا قالا من اوجدك وآلهتك قال حتّى انظر فى امركما فحبسهما ثمّ بعث عيسى شمعون فدخل متنكّرا وعاشر اصحابَ الملك حتّى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فأنس به فقال له يوما سمعتُ انّك حبست رجلين فهل سمعتَ ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الّذى خلق كلّ شىء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنّى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتّى انشقّ له بصرٌ وأخذا بُنْدُقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون ارأيتَ لو سألتَ إلٰهك حتّى يصنع

جزء ٢٢ مثل هذا حتّى يكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سرّ الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضرّ ولا ينفع ثمّ
ركوع ١٩ قال إن قدر الهكما على احياء ميّت آمنّا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايّام فقام وقال انّى أُدْخلت فى سبعة اودية من النار وانّى احذّركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فُتحت ابواب السماء فرأيتُ شابّا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فلمّا رأى شمعون انّ قوله قد اثّر فيه نصحه فآمن فى جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا لا مزيّة لكم علينا تقتضى اختصاصكم بما تدّعون ، ورفع بشر لانتقاض النفى المقتضى اعمالَ مَا بالّا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ وحى ورسالة إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ فى دعوى رسالته (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ استشهدوا بعلم اللّه وهو يجرى مجرى القسم وزادوا اللام المؤكّدة لانّه جوابٌ عن انكارهم (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ الظاهر البيّن بالآيات الشاهدة بصحّته وهو المحسّن للاستشهاد فانّه لا يحسن الّا ببيّنة (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ تشأّمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادّعوه واستقباحهم له وتنفّرهم عنه لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عن مقالتكم هذه لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ سببُ شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طَيْرُكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ وُعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيّرتم او توعّدتم بالرجم والتعذيب ، وقرئ بالف بين الهمزتين وبفتح أَنْ بمعنى أَتطيّرتم لأن ذكّرتم وإن وأن بغير استفهام وأَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فمن ثمّ جاءكم الشؤم او فى الضلال ولذلك توعّدتم وتشأّمتم بمن يجب ان يُكرَم ويُتبرّك به (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى هو حبيب النجّار كان ينحت اصنامهم وهو ممّن آمن بمحمّد عم وبينهما ستّمائة سنة وقيل كان فى غار يعبد اللّه فلمّا بلغه خبر الرسل اظهر دينه قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا على النصح وتبليغ الرسالة وَهُمْ مُهْتَدُونَ الى خير الدارين (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي على قراءة غير حمزة فانّه يُسكّن الياء فى الوصل ، تلطّف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ مبالغةً فى التهديد ثمّ عاد الى المساق الاوّل (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا لا تنفعنى شفاعتهم وَلَا يُنْقِذُونِ بالنصرة والمظاهرة (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فانّ ايثارَ ما لا ينفع ولا يدفع ضرّا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضرّ واشراكه به ضلالٌ بيّنٌ لا يخفى على عاقل ، وقرأ نافع ويعقوب وابو عمرو بفتح الياء (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ، وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح

البآء فَٱسْمَعُونِ فاسمعوا ايمانى وقيل الخطاب للرسل فانّه لمّا نصح قومه اخذوا يرجمونه فأسرع نحوهم جزء ٢٣ قبل ان يقتلوه (٢٥) قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قيل له ذلك لمّا قتلوه بُشْرَى له بانّه من اهل الجنّة او اكراما ركوع ١٩ واذنا فى دخولها كسائر الشهداء او لمّا همّوا بقتله رفعه اللّه الى الجنّة على ما قاله الحَسَنُ وانّما لم يقل لَهُ لانّ الغرض بيان المقول دون المقول له فانّه معلوم ، والكلام استيناف فى حيّز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربّه بعد تصلّبه فى نصر دينه وكذلك قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ فانّه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول وانّما تمنّى علْمَ قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثْلها بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على دأْب الاولياء فى كظم الغيظ والترحّم على الاعداء او ليعلموا انّهم كانوا على خطا عظيم فى امره وانّه كان على الحقّ ، وقرئ ٱلْمُكَرَّمِينَ ، ومَا خبريّةٌ او مصدريّةٌ والباء صلةُ يعلمون او استفهاميّةٌ جاءت على الاصل والباء صلةُ غفر اى بأىّ شىء غفر لى يريد به المهاجرةَ عن دينهم والمصابرةَ على اذيّتهم (٢٧) وَمَا أَنْزَلْنَا حزب ٢٣ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ من بعد اهلاكه او رفعه مِنْ جُنْدٍ مِنَ ٱلسَّمَآءِ لاهلاكهم كما ارسلنا يومَ بدرٍ والخندقِ ركوع ١ بل كَفَيْنَا أَمْرَهم بصيحة مَلَك وفيه استحقارٌ لاهلاكهم وايماءٌ بتعظيم الرسول عم وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ وما صحّ فى حكمتنا أن ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدّرنا لكلّ شىء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل مَا موصولةٌ معطوفةٌ على جندٍ اى وممّا كنّا منزلين على من قبلهم من حجارةٍ وريحٍ وامطارٍ شديدة (٢٨) إِنْ كَانَتْ ما كانت الاخذةُ او العقوبةُ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً صاح بها جبريل وقرئت بالرفع على كان التامّة فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ميّتون شُبّهوا بالنار رمزا الى انّ الحىّ كالنار الساطعة والميت رمادها كما قال لَبِيد

وما المرء الّا كالشهاب وضوئه   يحور رَمادا بَعْدَ اذ هو ساطعُ

(٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ تعالَىْ فهذه من الاحوال الّتى من حقّها ان تحضرى فيها وهى ما دلّ عليها مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ فانّ المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خيرُ الدارين احقّاء بأنْ يتحسّروا او يُتحسّر عليهم وقد تلهّف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلَيْن ويجوز ان يكون تحسّرا من اللّه عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنَوْه على انفسهم ويؤيّده قراءةُ يَا حَسْرَتَا ونصبُها لطولها بالجارّ المتعلّق بها وقيل باضمارِ فعلها والمنادَى محذوفٌ وقرئ يَا حَسْرَةَ ٱلْعِبَادِ بالاضافة الى الفاعلِ او المفعولِ ويَا حَسْرَهْ بالهاء عَلَى ٱلْعِبَادِ باجراء الوصل مجرى الوقف (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا الم يعلموا وهو معلّق عن قوله كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ ٱلْقُرُونِ لانّ كَمْ لا يعمل فيها ما قبلها وإنْ كانت خبريّة لانّ اصلها الاستفهام (٣١) أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ بدل من كَمْ على المعنى اى الم يروا كثرةَ إهلاكنا مَنْ قبلهم كونَهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف

جزء ٢٣ (٣٢) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ يومَ القيمة للجزاء ، وإنْ مخفّفة من الثقيلة واللامُ في الفارقة
ركوع ١ وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لمّا بالتشديد بمعنى الّا فتكون إنْ نافية ، وجميع
ركوع ٢ فعيل بمعنى مفعول ، ولدينا ظرف له او لمحضرون (٣٣) وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ وقرأ نافع بالتشديد أَحْيَيْنَاهَا خبرٌ للارض والجملة خبرُ آية او صفةٌ لها اذ لم يرد بها معيّنة وهي الخبرُ او المبتدأُ والآية خبرها او استيناف لبيان كونها آية وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا جنس الحبّ فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ قدّم الصلة للدلالة على انّ الحبّ مُعْظَمُ ما يؤكل ويعاش به (٣٤) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحبّ فانّ الدالّ على الجنس مُشْعِرٌ بالاختلاف ولا كذلك الدالّ على الانواع ، وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحبّ والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصُنْع وَفَجَّرْنَا فِيهَا وقرئ بالتخفيف والفجرُ والتفجيرُ كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى مِنَ الْعُيُونِ اى شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيونَ ومنْ مزيدةٌ عند الاخفش (٣٥) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ثمر ما ذكر وهو الجنّات وقيل الضمير للّه على طريقة الالتفات والاضافةُ اليه لانّ الثمر بخلقه ، وقرأ حمزة والكسائيّ بضمّتين وهو لغة فيه او جمعُ ثمار وقرئ بضمّة وسكون وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ عطف على الثمر والمرادُ ما يُتّخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد انّ الثمر بخلق اللّه لا بفعلهم ويؤيّد الاوّل قراءة الكوفيّين غير حفص بلا هاء فانّ حذفه من الصلة احسن من غيرها أَفَلَا يَشْكُرُونَ امرٌ بالشكر من حيث انّه انكار لتركه (٣٦) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا الانواع والاصناف مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ من النبات والشجر وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ الذكر والانثى وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وازواجا ممّا لم يُطْلعهم اللّه عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته (٣٧) وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ نُزيله ونكشف عن مكانه مستعارٌ من سلخ الجلد والكلامُ في اعرابه ما سبق فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ داخلون في الظلام (٣٨) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا لحدّ معيّن ينتهي اليه دَوْرُها فشُبّه بمستقرّ المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فانّ حركتها فيه يوجد فيها ابطاء بحيث يظنّ انّ لها هناك وقفة قال • والشمس حَيْرَى لها بالجوّ تدويمُ • او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدّر لكلّ يوم من المشارق والمغارب فانّ لها في دورها ثلثمائة وستّين مشرقا ومغربا تطلع كلّ يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثمّ لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطَع جريها عند خراب العالم ، وقرئ لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا اى لا سكونَ فانّها متحرّكة دائما ولَا مُسْتَقَرٌّ على انّ لا بمعنى ليس ذٰلِكَ الجري على هذا التقدير المتضمّن للحِكَم الّتي تَكِلّ الفِطَنُ عن احصائها تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الغالب بقدرته على كلّ مقدور الْعَلِيمِ المحيط علمه بكلّ معلوم (٣٩) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مسيره مَنَازِلَ او سَيْرَه في منازل وهي ثمانية وعشرون الشَرْطان البُطَيْن الثريّا الدَبَران الهَقْعة الهَنْعة الذراع النَثْرة الطَرْف الجَبْهة الزُبْرة الصَرْفة العوّاء السماك الغَفْر الزُبانَى الاكليل

BEIDHAWII

COMMENTARIUS IN CORANUM

EX CODD. PARISIENSIBUS DRESDENSIBUS ET LIPSIENSIBUS

EDIDIT

INDICIBUSQUE INSTRUXIT

H. O. FLEISCHER

DR. THEOL. ET PHILOS. ET LL. OO. P. O. LIPS.

VOLUMEN II.

LIPSIAE, MDCCCXLVIII

SUMTIBUS FRIDERICI CHRISTIANI GUILIELMI VOGELII.

TYPIS GUIL. VOGELII, FILII.



المجلد الثاني